The Queen of Palmyra

ZENOBIA

زنوبيا

رواية

د. سالي مجدي



زنوبيا

الكتاب: زنوبيا
المؤلفة: سالي مجدي
تصميم الغلاف: محمد علي
تدقيق لغوي: أحمد زكي
رقم الإيداع: ٢٠٢١/١٣٥٦٢
الترقيم الدولي: ٠-٢٧٦-٧٧٨-٩٧٧-٩٧٨
الطبعة الأولى: ٢٠٢١



٢٠ عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧
info@noonpublishing.net

زنوبيا

روايـــــــــــــة

سالي مجدي



دار الكتب والوثائق القومية

فهرسة أثناء النشر

مجدي، سالي

زنوبيـا: روايـة/ سـالي مجـدي. الجيـزة: ن للنـشر والتوزيـع، ٢٠٢١

٣١٢ص، ١٤×٢٠ سم

تدمك: ٠-٢٧٦-٧٧٨-٩٧٧-٩٧٨

١- القصص العربية

أ- علي، محمد (مصمم غلاف)

ب-زكي، أحمد (مدقق لغوي)

ج- العنوان

رقم الإيداع/ ٢٠٢١/١٣٥٦٢

التاريخ/ ٢٠٢١/٦/٦

٨١٣

إهـــداء

أثنـاء الحمـى ودرجـة الحـرارة العاليـة والمـرض راودتنـي فكـرة غريبـة عجيبـة وبعـد أن طلـب مني الأطبـاء إجـراء مسحة و تأكـدت مـن إيجابيـة نتيجتهـا وأني أصبـت بفـيروس الكورونـا اللعـين كان أمامـي أيـام طويلـة مـن العـزل تخطـت العـشرون يومـا.. فتحـت حاسـوبي الـذي لم يلتـزم بالتباعـد الإجتماعـي وجـازف بمرافقتـي وقـررت أن أقـضي أيـام العـزل مـع فكـرتي الغريبـة التـي ولـدت وسـط تخاريـف حمـى الكورونـا وسـيطرت عـلى عقـلي فوجـدت نفـسي أبلورهـا وأتفـرغ لهـا بسـبب أيـام العـزل والعزلـة وأحولهـا إلى قصـة شـدتني وكبلتنـي لتغرقنـي في أحداثهـا وأخـذ يتجاذبنـي أبطالهـا وبـدأت أسـطر أولى فصولهـا وأضـع بنيتهـا الأساسـية وأنـا مصابـة بفـيروس الكورونـا والتـي لم تنتهـي أحداثهـا إلا بعـد قرابـة عـام كامـل مـن العمـل الشـاق

فلتأخـذوا إجـراءات احترازيـة وترتـدوا كماماتكـم قبـل قـراءة صفحـات تلـك الروايـة

الروايـة التـي وجـدت نفـسي اليـوم -برغـم كرهـي لـه- أهديهـا إليـه

ذلك الفيروس اللعين.

فيروس كورونا.

فلك الفضل في ولادة تلك الرواية أيها البغيض.

مصر.. عام (٢٧٣) ميلاديا.

تصاعـدت أصـوات سـنابك الخيـل الأصيـل وهـي تسـير الهوينـي موازيـة لشـاطىء البحـر المتوسـط المتلاطمـة أمواجـه.. يحيطهـم صـوت الريـاح المحملـة برائحـة يـود البحـر مختلطـة بصـوت صفـير الرمـال القـادم مـن الصحـراء مـع صـوت انفجـار أمـواج البحـر عنـد ملامسـتها الأرض يقاطعهـم صـوت صهيـل أحـد الخيـول مـن آن لآخـر..

كان الوجـوم والخـوف والتوتـر يخيمـون عـلى فرسـان الخيول السـتة الصامتين وكل منهـم متجهـم لا يعـرف مـاذا يخبـئ لهـم القـدر في نهايـة تلـك الرحلة..

قطـع الصمـت صـوت كبيرهـم الشـيخ الـذي يمتطـي أول الخيـول ويتقدمهـم، والـذي كان يملـك صـوت قـوى النـبرات وهـو يقـول:

- أنتـم الآن خـارج سـجلات التاريـخ ورفعـت عنكـم أقـلام المؤرخـين.. فاسـتعدوا.. فأنتـم مقبلـون عـلى كشـف أهـم أسرار الملكـة (كليوباتـرا).. ملكـة مـصر.

سـاد الصمـت للحظـات ليتابـع تأثـير كلماتـه عـلى الموجوديـن ثـم تابـع بصوتـه المهتـز المميـز الرخيـم:

- الملكـة العظيمـة (كليوباتـرا) أعـدت خطـة هـروب غـير مألوفـة وعبقريـة، ربمـا لم يشـهدها الزمـان مـن قبـل لتنفيذهـا في حالـة هزيمتهـا مـن قبـل الرومان، لكنهـا فى اللحظـة الحاسـمة اختـارت الإنتحـار دون سـبب واضـح بعـد هزيمتهـا في معركـة أكتيـوم البحريـة، وربمـا ادخـر الزمـن خطـة هروبهـا العجيبـة لكـم لتنتظركـم بعـد ثلاثمائـة عـام لإنقاذكـم مـن نفـس العـدو..

صهـل أحـد الخيـول بقـوة وكأنمـا يؤمـن عـلى كلامـه ورفـس بقدمـه الرمـال الرطبـة لشـاطىء البحـر الفـيروزي، بينـما رفـع العجـوز عينيـه نحـو مـكان قريـب بـدأ يظهـر شـيئا فشـيئا ثـم أكمـل وكأنمـا يحلـم:

- بعـد قليـل سـنصل إلى التحفـة الهندسـية العبقريـة التـي صممهـا جـدي الأكـبر المهنـدس (أنديـروس) عـام ٣٥ قبـل الميـلاد في عهـد الملكـة (كليوباتـرا).. طالمـا تسـاءل النـاس عـن هـذا المـكان البعيـد وعـن سر ذلـك التمثـال الضخـم الـذي يمكـث فى هـذا المـكان بجوار حمامهـا، وظنوه حمامـا ترفيهيا فقط وأسـموه بـ(حـمام (كليوباتـرا).. تصـور سـاذج للغايـة أن تتحـرك الملكـة (كليوباتـرا) كل تلـك المسـافة سـفرا تاركـة حروبهـا خلفهـا ومملكتهـا لـكي تسـتجم وتلهـو بمـاء البحـر، ولكنـه تصـور خـدم سريـة الأمـر..

تنهد الشيخ وهم صامتون يستمعون إليه فاستدرك:

- ستعرفون كل شيء الآن.. ها نحن وصلنا.

سرعـان مـا ظهـر شـاطئ بـارع الجـمال أمامهـم، يغـشى أبصارهـم لمعـان تمثـال ذهبـي ضخـم مرصـع بالجواهـر والأحجـار الكريمـة يشـبه (أبـا الهـول) فى تصميمـه العـام ولكنـه يأخـذ طابـع العـصر البطلمـي، يقـف شـامخا مزينـا بالنقـوش الإغريقيـة البطلمية التـي تمجـد الملكـة العظيمـة (كليوباتـرا)، وعـلي بعـد أمتـار بجانـب التمثـال يوجـد كهـف حـمام الملكـة (كليوباتـرا) المنحـوت داخـل صخـرة ضخمـة عـلى شـاطئ البحـر المتوسـط وطُليـت جدرانـه مـن الخـارج بالذهـب المنصهـر ليهبـط منـه درج حجـري مكسـو بالرخـام، لـه سـور ذهبـي يمتـد بجسر رخامـي كالممـشى مخترقـا الصخـور حتـى الشـاطئ الرمـلي الجـاف ويقـف عـلى بوابتـه تمثـالان للملكـة (كليوباتـرا) تقـف في شـموخ بجسـدها الرشـيق لتسـتقبلهم.

كانـت تمتطـي إحـدى الخيـول امـرأة جميلـة ترتـدي فسـتانا حريريـا لونـه ذهبـي يكسـوه وشـاح أحمـر قـانٍ يتطايـر حولهـا ليكسـو جسـدها وجسـد جوادهـا الأبيـض، وخلفهـا تسـير أربعـة خيـول يمتطيهـا رجـلان أحدهـما شـاب مفتـول العضـلات والآخـر رجـل أكـبر منـه عمـرا وصبـي بعمـر الخامسـة عـشرة عامـا وطفـل صغـير وسـيم ولكنـه يجيـد ركـوب الخيـل بخـلاف الشـيخ الـذي

يتقدمهـم جميعـا.

دارت عيونهـم جميعـا صامتـين برغـم روعـة المـكان وهبطـوا عـن جيادهـم تاركـين الجيـاد تسـتمتع باللهـو بمـاء البحـر قبـل أن يتبعـوا خطـى الرجل المسـن.. كان يبـدو كسـاحر قديـم باللحيـة البيضـاء الطويلـة والشـعر الأبيـض الطويـل المسترسـل المعقـوف وثوبـه الفضفـاض الأبيـض يسـتند إلى عصـاه التـي تشـق الأرض في قـوة لا تتناسـب مـع عمـره الـذي تجـاوز المائـة عـام..

راقبـه الموجـودون وهـو يصعـد فـوق ذيـل التمثـال الضخـم الـذي يلتـف حـول نفسـه صانعـا سـاحة مسـتديرة صخريـة ذهبيـة صغـيرة وأشـار لهـم أن يتبعـوه.. كانـت صغـيرة لكنهـا اتسـعت لهـم جميعـا..

ضغـط الشـيخ عـلى نقـش محـدد بقمـة الذيـل فانضغـط بسـهولة في تجويـف مخصـص لـه ثـم مـد يـده ورفـع حجـرا كريمـا لأعـلى داخـل مجـرى مصمـم لـكي يبـدو كالنقـوش المحيطـة، وتراجـع قليـلا..

اهتـزت السـاحة وارتفـع الذيـل رافعـا إياهـم كأنـه مصعـد كهربـائي حديـث فى مشـهد مبهـر جعلهـم يشـهقون، توقـف الذيـل موازيـا لقمـة رأس التمثـال فانكمـش الطفـل والصبـي في جسـد المـرأة وهـم ينظـرون لأسـفل لـيروا أمـواج البحـر الغاضبـة وهـي ترتطـم بجسـد التمثـال مـن الخلـف لتنفجـر عـلى الصخـور، وكأن التمثـال هـو الحـد الفاصـل بـين الشـاطىء وتلـك المنطقـة العميقـة الغاضبـة مـن البحـر خلفـه، جـذب الشـيخ مـا يشـبه خصلـة حجريـة حمـراء مـن رأس التمثـال الشـبيه بـرأس أبي الهـول فتحركـت معـه فى سلاسـة كأنهـا ذراع ضخـم منفصـل يختفـي عـلى شـكل خصلـة منحوتـة.. جذبـه لتنفـرج في قمـة رأس التمثـال فجـوة كبـيرة مسـتديرة بداخلهـا منزلـق حلـزوني حجـري أملـس مطـلي بالفضـة الناعمـة المصقولـة الملسـاء كالمـرآة..

نظـر الموجـودون إلى مـا يحـدث وقلوبهـم تـدق في عنـف شـديد يـكاد يخلـع ضلوعهـم.. يشـعرون بـأن خوفهـم مـن الإمبراطـور الرومـاني أهـون مـما هـم

مقبلين عليه.. امتلأت وجوههم بعلامات الخوف.. العيون المتسعة والوجوه الشاحبة والأيدي التي صارت ترتجف، ومع ذلك تقدموا وهبطوا عبر تجويف الرأس منزلقين بنعومة وأمان واحدا تلو الآخر دون أن يفصح أحدهم عن مشاعره ليبدأ الانبهار الحقيقي عند وصولهم لقلب التمثال المصمت..

كنز مثل كنوز الأحلام..

المكان كله يلتمع بالضوء المنعكس من الذهب المحيط بهم الذي يعكس أشعة الشمس المتسللة عبر الشقوق المخفية بحرفية..

المكان يعج بالذهب والعملات والتماثيل فضلا عن الكنوز التي وضعتها الملكة (كليوباترا) لتخفيها في قلب التمثال..

كنوز بديعة تخطف الألباب تحيط بمغطس مائي كبير مطلي من الداخل بالفضة والتي تتلألأ مع حركة ماء البحر الصافي التى تملؤه بشكل ما نقية زرقاء هادئة، وأشعة الشمس التي تدخل عبر المدخل المفتوح في قاعة تجعل الماء مضيئا متلألئا بشكل ساحر..

وبرغم كل ذلك السحر.. فالمكان مازال يبدو مخيفا!

صوت الهواء..

تردد أنفاسهم اللاهثة..

دقات قلوبهم المتسارعة..

ضربات الأمواج وهي تصطدم بالجسد الحجري للتمثال فى الخارج.. وثورة البحر المحذر لهم!

مد العجوز يده المعروقة والتي خط عليها الزمن آثاره إلى ذراع جانبي آخر يشده بهدوء، وسرعان ما أفرغ الماء تماما من المسبح الفضي وأخذ

مستوى الماء في الانخفاض السريع حتى صار جافا..

أشار إليهم بابتسامة خفيفة ليهبطوا داخله عبر الدرج الجانبي الرخامي ففعلوا ذلك ووقفوا أمام جدار داخلي لجسم المسبح منحوت عليه وجه الملكة (كليوباترا)..

مرة أخرى مد الشيخ يده وسحب ما يمثل رأس الكوبرا البارز من التاج الذي يعلو شعر (كليوباترا)، فبرز من خلفه ذراع آخر معدني جذبه بقوة ليدور الجدار بالأرض المقابلة له في لحظة ليقذف بهم فى عنف إلى داخل ممر مظلم رطب ليسقط الستة على ركبهم ودقات قلوبهم تزداد عنفا واضطرابا..

استجمعوا أنفاسهم وهم ينهضون من على الأرض يلتقطون ما تبقى من عقولهم ليجدوا أنفسهم في نفق طويل مظلم لا يرون فيه أى شيء تقريبا.. حتى أضاء العجوز شمعة صغيرة أخرجها من حقيبته الجلدية المعلقة بكتفه أنارت لهم خطاهم؛ فأخذوا يتبعون صوته الذي يرشدهم وهم متشبثون بأيدي بعضهم البعض ولم يخفى عليهم ملاحظة برودة كفوف بعضهم ليعلموا أن وباء الهلع قد أصابهم جميعا بنجاح..

كانوا منبهرين صامتين خائفين مذعورين..

هل عبروا بوابة إلى عالم مسحور موازٍ؟ لا يعلمون..

هل حقا كل ذلك العالم يخفيه التمثال الذي يجلس صامتا بجوار حمام (كليوباترا)؟

في نهاية النفق الطويل الرطب الخانق قابلتهم بوابة أخرى قادتهم إلى غرفة صخرية بها خمسة توابيت مفتوحة وصندوق صغير نحاسي في المنتصف..

نظرت المرأة الجميلة إلى الشيخ الذي يقودهم بعد طول صمت وانبهار

وأزاحــت غطــاء رأس الوشــاح الأحمــر عــن شــعرها الأســود الحالــك الناعــم الطويـل وقالـت بصـوت خافـت لأول مـرة:

- هل سنختبىء هنا يامعلمي؟

- نعم..

أردف أحد الرجال باستعطاف وصوت متحشرج:

- سنموت جوعا وعطشا ياحكيم..

ابتسم الشيخ ابتسامة واثقة وقال بصوت خافت:

- لا.. لن تموتوا.. بل ستخلدون!

قالهـا ورفـع يـده بالشـمعة إلى أحـد أطـراف المـكان فاشـتعلت شـمعة أخـرى مثبتـه بالجـدار، ومنهـا انتقـل اللهـب إلى عـدد مـن الشـموع حـول المـكان وكأنـه شـبح يطـوف بالنـار بسرعـة، وفى لحظـات كان الضـوء البرتقـالي يلـف حائـط الغرفـة الصخريـة بضـوء متراقـص جعـل الهـواء حـارا خانقـا لا يحتمـل..

قال الرجل الآخر بقلق واضح:

- المكان كالقبر.. أين سننام؟

- في تلـك التوابيـت التـي أمامنـا يـا بنـي.. لكنهـا ليسـت كـما تعتقـد. حـين ترقـد داخلهـا سـتعلم الحقيقـة.

اقـترب الصبـي والطفـل يمسـكان أطـراف ثـوب المـرأة مـع همهـمات خـوف لا إراديـة قبـل أن تحتضنهـما المـرأة لتهـدىء مـن روعهـما قليـلا..

كانـا خائفـين مرتجفـين كقطتـين صغيرتـين تحـت الأمطـار فى ليلـة شـتاء قاسـية يلـوذان بهـا لـكي تنقذهـما فاحتضنتهـما وضمتهـما لصدرهـا وهـي في الحقيقـة تكتسـب الأمـان منهـما في تلـك اللحظـة، فقـال الشـيخ:

- ستختفون هنا ولن يعرف مكانكم أحد سواي.. من يراكم سيحسبكم تماثيل جامدة بلا روح، ولكنكم سوف تعودون للحياة على الفور عندما أعيدكم أنا.. لن تشعروا بألم أو خوف، سيمضي الأمر وكأنما أغمضتم أعينكم ثم فتحتموها مرة أخرى وقد انتهى كل شيء..

قالت المرأة بخوف مطلق:

- تماثيل؟ عم تتحدث، نحن لم..

قاطعها بحزم وصوته يهز المكان:

- حكيت لك يامولاتي أثناء رحلتنا إلى هنا عن رأس (ميدوسا)، فهل تذكرين ما حكيت؟

هبت نسمة هواء هزت الشموع كأنما تراقصت رعبا بشكل مخيف مع ذكر (ميدوسا)، فابتلع الجميع ريقهم فى خوف متزايد قبل أن ترد المرأة بتردد وصوت خافت:

- نعم أذكر.. كانت (ميدوسا) صبية جميلة غير أنها مارست الرذيلة مع (بوسيدون) في معبد (أثينا) مما جعل (أثينا) تغضب.. فحولتها إلى امرأة بشعة المظهر وحولت شعرها إلى ثعابين سامة، وكان كل من ينظر إلى عينيها يتحول إلى حجر.. قتلها (بروسيوس) بمساعدة (هرمس) حيث تسلل إليها وهي نائمة وقطع رأسها.. ثم استخدم رأسها لتحويل أعدائه إلى تماثيل من الحجر..

هز العجوز رأسه راضيا وأردف:

- ربما لا يعرف أحدكم أن (كليوباترا) -بحكم أصولها الإغريقية البطلمية- استطاعت بعد عناء الحصول على رأس (ميدوسا) من اليونان وأخفتها هنا..

أشار إلى الصندوق النحاسي فنظر الجميع إلى بعضهم بعيون متسعة..

فأكمـل الشـيخ:

- هنا.. في ذلك الصندوق الصغير النحاسي..

كهنـة (مـصر) العظـام أضافـوا تعديـلا عليهـا وجعلـوا (ميدوسـا) تحـول البـشر إلى تماثيـل حجريـة بشـكل مؤقـت وليـس بشـكل دائـم بطقـوس تسـمح بالعـودة للحيـاة باسـتخدام دمـاء القرابـين البشريـة وتلـك التوابيـت التـي صنعـت خصيصـا لطقـوس العـودة حسـب متتاليـة حسـابية زمنيـة تحـدد مواعيـد الطقـوس سـأعلمكم إياهـا..

نظر إليهم وهم فاغري الأفواه وأكمل:

- كـما وعدتكـم سـأعود إليكـم بمجـرد هـدوء الأوضـاع في الإمبراطوريـة الرومانيـة في الخـارج بعـد شـهر أو شـهرين أو عـام عـلى الأكـثر.. وسـأبدأ طقوس الإحيـاء بدمـي أنـا وعـلى مـن يعـود منكـم اسـتكمال طقـوس إحيـاء الجميـع.

لن تحتاجوا إلى طعام أو شراب أو نوم..

سـتتجمد قلوبكـم وتتخلصـون مـن كثـير مـن مشـاعر الحـب والكراهيـة التـي تضعـف البشر..

ستمتلكون قوة بدنية خارقة ولن تعرفوا الموت..

ستقف أعماركم جميعا عند عمركم اليوم.. وستصبحون خالدين..

ستكتسـبون مـن الحجـر أفضـل الصفـات التـي سـتجعلكم سـادة العـالم.. وسـتقهرون الرومـان.. وتسـتعيدوا مملكتكـم.

بعثـت كلماتـه شـيئا مـن الشـجاعة والاطمئنـان البسـيط فى قلوبهـم لأول مـرة، ومـا أن انتهـى مـن كلامـه حتـى أشـار لهـم بالنـوم داخـل التوابيـت، فاسـتلقوا داخـل التوابيـت الخمسـة المفتوحـة وهـم مستسـلمون..

أوقـد الشـيخ شـموعا أخـرى في الأرض راسـما نجمـة خماسـية بدمـاء قـط

صغير كان يحمله دوما في جراب قماشي على كتفه لتصبح التوابيت هي رؤوس النجمة الخماسية فى مشهد مهيب، وفي قلبها وضع الصندوق النحاسي المغلق الذي يحوي.. رأس (ميدوسا)!

أخرج سكين نحت حادا متصلا بأنبوب جانبي يحمل الذهب السائل كالحبر الذي أخذ يملأ النقش الذي يكتبه واقترب من جدار وهو يحمل شمعة بيده الأخرى ونقش وهو يتلو ما يكتبه بصوت جهوري ليعلق بأذانهم وعقولهم وعيونهم المعلقة عليه وهم يرددون خلفه ما يقوله بأصوات مرتعشة:

أيتها الأجساد الكامنة داخل الصخور الجوفاء..
ستعودون حين تمتصوا الذكريات والحياة من الدماء..
ستحكمون العالم بأجساد لا تضعف ولا تعرف الفناء..
ستنفضون عنكم الصخر في ميقات لا يخلف النداء..
أنصاف أوقات تفصل بين الموتى والأحياء..
ستقفون أشداء لا يقهركم جوع ولا عطش ولا بكاء..
ستتعلمون من الصخر كيف تصبحون أشداء..
إن تخلى أحدكم عن وعده للآخر فسيعود إلى الحجر كما جاء..
فاحموا أرواحكم التي تسكن الرؤوس الصماء..
وإن عدتم ستمتلكون العالم بأيديكم الخمسة الأقوياء.

مع كلماته اهتز الكهف اهتزازات خفيفة وسمع الجميع صوت الصخر يئن وكأنما يعترض على ما يحدث..

سعل الشيخ مرة أو مرتين من تأثير الغبار الناتج عن النحت لكنه لم يتوقف..

كلماته وأسلوبه الصارم أوقعا الخوف في قلوبهم مرة أخرى..

ينتظرهم مصير لا يدرون عنه شيء وهم يسمعون صوت ارتطام أمواج البحر بالصخور حولهم ثم اقترب الشيخ من الصندوق ووقف أمامه وربط عينيه بعصابة قماشية ليخفيها وقال لهم وهو يتحسس غطاء الصندوق بيده المعروقة:

- الآن سأفتح الصندوق وستنظرون إلى رأس (ميدوسا) وعندها ستتحولون إلى تماثيل فورا.. سأتلو بعض التعاويذ السحرية التي تضمن عودتكم.. هل أنتم جاهزون؟

نظروا إلى بعضهم البعض بخوف؛ فقالت المرأة بشجاعة مصطنعة وهي تنظر إلى الطفلين مشجعة إياهم:

- مستعدون وواثقون فيك يامعلمي..

- إذن.. إلى اللقاء أيها الأبطال.

فتح الصندوق بالفعل وهو يرتل بعض التعاويذ الغير مفهومة.. لمس الرأس وأمسك بها دون أن يراها لكيلا يلقى مصيرهم..

رفع يده بالرأس التى فتحت عينيها وصرخت فى وجوه الحاضرين.. شعر بالثعابين اللزجة تتلوى بين يديه محاولة الفرار من الرأس الملعونة، لكنه ظل ثابتا إلى أن وضعها مرة أخرى فى الصندوق وهدأت الرأس مرة أخرى وأغلق الصندوق عليها لاهثا، ورفع عصابة عينيه..

لم يعد هناك أي شخص حي هنا باستثنائه..

اختفت الأنفاس المضطربة وتوقفت القلوب الخائفة المتسارعة النبضات.

تحـرك ببـطء وأغلـق أغطيـة التوابيـت الحجريـة وهـو يطبـع قبلـة عـلى جبـين كلٍ منهـم، ثـم حمـل الصنـدوق الـذي يحتـوي عـلى رأس ميدوسـا وأطفـأ الشـموع وأغلـق البـاب خلفـه ليختفـي كأنـه حائـط طبيعـي متجهـا إلى النفـق الـذي يصـل إلى قلـب المسـبح الموجـود بجـوف التمثـال وهـو يتـكىء عـلى عصاه.

ولكن..

ظهـر أمامـه شـبح أسـود يغلـق عليـه الطريـق؛ فرفـع شـمعته أمامـه لـيرى بوضـوح..

كان رجـلا مـن رجـال القبائـل البربريـة القريبـة مـن المـكان يقـف لـه في النفـق الطويـل الـذي يصـل إلى قلـب التمثـال شـاهرا سـيفه الحـاد.

يبـدو أن أحـد البربـر قـد اتبعهـم خلسـة وعـرف سر رأس التمثـال والمسـبح وكنـوزه وذهبـه.. لم يلتفـت أحدهـم إلى أن هنـاك قـدم سـابعة خلفهـم تتبعهم..

لم يضع ذلك في حسبانه!

ارتجـف الشـيخ رعبـا.. فلـم يكـن يرهـب المـوت ولذلـك كان المـوت يبتعـد عـن طريقـه دومـا.. أمـا اليـوم فيهابـه؛ ولذلـك هـرول المـوت إليـه.. فموتـه في تلـك اللحظـة يعنـي أنهـم لـن يعـودوا ثانيـة إلى الحيـاة خـلال عـام عـلى الأكـثر كـما وعدهـم.. كيـف لم يفكـر في ذلـك! مـاذا سـيحدث لهـم إن قتلـه ذلـك الشـاب البربـري الـذي يشـهر سـلاحه؟ مـاذا سـيحدث إن مـات سرهـم بموتـه.

فلا أحد يعرف سرهم سواه الآن..

وقبـل أن يتوسـل لـه ليتركـه حيـا سـبق السـيف توسـله ليشـق طريقـه إلى قلـب الرجـل الشـيخ ليخـر قتيـلا بالنفـق وهـو يشـير بيـده تجـاه الجـدار المغلـق الـذي يقبـع خلفـه الخمسـة توابيـت..

حـاول أن يزحـف تجاههـم يسـابق المـوت ليعيـد أحدهـم سريعـا للحيـاة

بدمائـه السـائلة وينقذهـم مـن التحـول الأبـدي إلى تماثيـل بموتـه وهـو يـرى بصعوبـة وسـط ظـلام المـوت الرجـل البربـري في الاتجـاه الآخـر يحمـل الصنـدوق النحـاسي الـذي بداخلـه رأس (ميدوسـا) في لهفـة متخيـلا أن بـه كنـزا آخـرا أو مـا شـابه ويهـرب بـه مغلقـا بـاب النفـق خلفـه لينفـرد بكنـوز التمثـال.

عم الظلام وقررت الروح المسنة فراق جسده للأبد..

رحـل البربـري تـاركا خلفـه جثـة الشـيخ ملقـاة بمنتصـف النفـق وخلـف الجـدار المغلـق خمـس توابيـت بداخلهـم تماثيـل تغـط في سـبات عميـق..

لفـظ الشـيخ أنفاسـه الأخـيرة وهـو يتوسـل إلى المـوت أن يمهلـه دقائـق تكفـي أن يعـود إلى أحدهـم ويحييـه بدمائـه..

ولكن الموت أبى!

***

الفصل الأول

مصر عام ٢٠٢١

هبط المقدم (إياد) من سيارته بموقف السيارات الخاص بمديرية أمن (الإسكندرية) قادما من (القاهرة) وأخذ يطوي طرقات مبني مديرية أمن (الإسكندرية) بخطوته السريعة الواسعة، وضغط أزرار المصعد الذي انتقل بين الطوابق حتى انفرج بابه معلنا الوصول، فطوى الأرض بخطوته الواثقة حتى وصل لحجرة كبيرة جانبية في نهاية رواق ضيق فتح بابها ببصمة إصبعه بعد أن نظر لشاشة مسحت ملامح وجهه بشعاع حاد أحمر.

كانت الغرفة هي غرفة الإجتماعات السرية والتي تعتبر من أهم غرف المبنى.. حوائطها عازلة للأصوات.. فقط من يُدعى لأي اجتماع بها يسجل بصمة إصبعه ووجهه مسبقا لدي مكتب الأمن ليتمكن من الدخول إليها.

على حائطها شاشة عرض كبيرة وفي المنتصف منضدة دائرية محاطة بالمقاعد وأمام كل مقعد وضع لوح رقمي (تابلت).

جذب (إياد) أقرب مقعد لرأس المنضدة وجلس يفكر وهو عاقد ذراعيه أمام صدره.. ياترى ما هي تلك العملية السرية التي دُعي لها من (القاهرة) خصيصا؟

فمن المعروف أن تلك الغرفة لا يدور بداخلها إلا اجتماعات العمليات الخطيرة؛ إما عمليات سياسية حساسة أو عمليات جاسوسية معقدة أو عمليات تخص أمن الدولة أو عمليات تهدد الأمن العام وخرجت من نطاق المنطق أو بها أمر ما حساس للغاية، فهي غرفة من يُدعى إلى الاجتماع فيها من الضباط لا ينام الليل ويشعر برهبة وفزع من ماهو

مقدم عليه، عكس (إياد) الذي كان متحمسًا وسعيدًا طوال الليلة السابقة للاجتماع يتخيل ماهي درجة صعوبة القضية التي اختاروه من أجلها لينتقل من مكتبه بمديرية أمن (القاهرة) تاركا أطفاله ووالدته متجها إلى (الإسكندرية).

وبغض النظر عن نوعية العملية التي هو مدعو للاجتماع في تلك الغرفة المهمة بسببها كان هناك سؤال آخر يلح على تفكيره: هل سيقوم بالعملية بمفرده أم سيشاركه أحد الضباط الآخرين؟ فالغرفة خاوية!

إنه لا يرهب العملية بقدر رعبه من شريكه بها فإنه يكره هؤلاء الشركاء الذين يعرقلون التفكير والحركة.

تلفت في الغرفة مللًا ثم عاد لانتظاره وفتح هاتفه ليتنقل بين صور طفليه الجميلين.

(إياد) من أمهر ضباط المباحث في الثلاثينيات من عمره.. لم يعد يسند إليه قضايا المخدرات والقتل والسرقة العادية، بل عادة ماتوجه إليه قضايا أصعب وأخطر بكثير.. قضايا غامضة بشكل يخرج من نطاق العقل وكثيرا ما نجح في حل ألغازها وذاع صيته بوزارة الداخلية.. هذا بخلاف قوته البدنية وقدراته القتالية، فأطلق عليه زملاءه لقب (شارلوك هولمز) المباحث المصرية.

نظر إلى ساعته ليكتشف أنه حضر قبل موعد الاجتماع بعشر دقائق؛ فها هي الثامنة إلا عشر دقائق صباحا.. فغرز أصابعه بين خصلات شعره الأسود الناعم ليعود به للخلف.. فهو تعود أن يأتي دائما مبكرا عن ميعاده.

انفرج باب الغرفة في تلك اللحظة ودخلت شابة في بداية الثلاثينات جميلة فارعة القوام كعارضات الأزياء ترتدي بدلة نسائية سوداء كلاسيكية تحتها قميص أزرق حريري، شعرها بني قصير ناعم وكثيف، ملامح وجهها

منمقة رقيقة، ذات عيون عسلية واسعة تشبه عيون القطط، ترتدي نظارة طبية، وتحمل جهاز كمبيوتر شخصي (لابتوب) في حقيبة تحملها في يدها..

وقف (إياد) لرؤيتها منبهر؛ فآخر ما كان يتوقعه هو أن يشاركه غرفة العمليات تلك الجميلة الفاتنة التي تمتلك كل ذلك الحُسن والجمال والأنوثة.. صافحها بحرارة وبابتسامة عريضة.

حقا هو لا يعرفها من قبل؛ ولكن الجميلات يصافحَن بتلك الحرارة على كل حال!

وبما أنها دلفت إلى الغرفة وبصمة إصبعها ووجهها مسجلان مسبقا وسُمح لها بالدخول؛ فمن المؤكد أنها ستكون زميلة قضيته القادمة، وسيكون هناك الكثير من والصراخ والانهيارات والـ(أوووه) والـ(يع) و(الإنقاذ من الأشرار)! ومن الجيد أن وزنها قليل فربما اضطر لحملها وهو يعدو بها من الأشرار لينقذها فتقول له (أحبك)! ومن الجيد أنه منفصل!

يجب أن يدقق، هل ما في إصبعها هذا خاتم زواج أم خاتم عادي بعد أن...

- أنا دكتورة (أميرة الجمّال) ، أهلا بك..

انعقد بين حاجبي (إياد) وأطلق كحة بسيطة؛ فقد عاد لتوه من الفيلم الهندي الكوميدي الهابط الذي دار بذهنه خلال ثوانٍ مضت قائلا لها بجدية:

- دكتورة! دكتورة بأي تخصص يادكتورة(أميرة)؟

عدلت (أميرة) منظارها الطبي وهي تقول بصرامة وجدية لا تتناسب مع جمالها الطفولي الرقيق:

- دكتورة (أميرة الجمّال).. أستاذ دكتور بقسم الآثار والدراسات اليونانية

الرومانيـة بكليـة الآداب جامعـة (الإسـكندرية).. دكتـوراه في الآثـار والتاريـخ الرومـاني والإغريقـي.

لم يخـفِ (إيـاد) تعجبـه مـن عمـل شريكـة المهمـة الأمنيـة السريـة القادمـة وهـو يقـول:

- كلية الآداب قسم آثار ودراسات يونانية رومانية.. قلتي ذلك حقا!

أخرجت زفيرا طويلا وقالت بطريقة جادة:

- واضـح أنـك لا تعلـم ماهـي طبيعـة المهمـة التـي نحـن هنـا بسـببها أيهـا المقـدم حتـى الآن!

كان مـن الواضـح أن (أمـيرة) تعلـم الكثـير عـن الأمـر وتتحـدث بقـوة وصلابـة وثبـات انفعـالي وثقـة وحـزم جعلتـه ينـسى فـورا قصـة إنقاذهـا وحملهـا والهـروب بهـا التـي راودتـه منـذ لحظـات.. فمـع كلماتهـا الأولى عـرف أنـه أمـام شـابة قويـة صلبـة للغايـة.

- وهـل تعلمـي أنـتِ يادكتـورة (أمـيرة) مـا الأمـر؟ لقـد أُسـتُدعِيتُ مـن (القاهـرة) بالأمـس فقـط وبالفعـل لم يخـبرني أحـد بعـد بطبيعـة المهمـة.

خلعت نظارتها الطبية ووضعتها أمامها وهي تبتسم بثقة وتقول:

- بالتأكيـد أعلـم.. ولكـن أُفضـل أن لا أتحـدث قبـل أن يبـدأ الاجتـماع رسـميا ويُطلـب منـي البـوح بمـا لـدّي مـن معلومـات لحضرتـك في التوقيـت المناسـب.

ابتسـمت لـه ابتسـامة لطيفـة ثـم همـت بفتـح حقيبـة الكمبيوتـر المحمـول ووضعتـه أمامهـا وانشـغلت بـه لتغلـق الحـوار مؤقتـا معـه بشـكل لبـق.

- مرحبا (إياد).. مرحبا (أميرة).

كان من دخل لتوه هو مدير مديرية الأمن بـ(الإسكندرية)..

- الأمر خطير إذن.. مدير الأمن بنفسه؟

قالهـا (إيـاد) لنفسـه.. ثـم عـاد لينظـر إلى (أمـيرة) التـي أعـادت ارتـداء نظارتهـا الطبيـة عـلى وجههـا.

قال مدير الأمن:

- لـن أضيـع الوقـت ياشـباب.. الأمـر جـدا خطـير ونحـن حرفيـا ربمـا نسـابق الزمـن.. أيهـا المقـدم (إيـاد)؛ لقـد رشـحك العديـد مـن القـادة في الداخليـة لهـذه القضيـة الغريبـة والتـي يتابعهـا وزيـر الداخليـة ورئيـس الـوزراء شـخصيا.. لـن أخفيـك سرا أن الأمـر غريـب وصعـب ومريـب وخطـير ولا أعـرف كيف سـأشرحه ولكـن دكتـورة (أمـيرة) ستسـاعدني في الأمـر..

كان (إياد) يشير برأسه متفهما ليسمع كل كلمه سَتُقال:

- في محافظـة (مـرسى مطـروح) تحديـدا عنـد منطقـة مـزار حـمام (كليوباتـرا) السـياحي، ومنـذ سـتة أشـهر مضـت تـم الإبـلاغ عـن اكتشـاف خمسـة مـن التوابيـت الحجريـة الأثريـة مغلقـة بإحـكام والتـي تَبـينَ مـن المُعاينـة الأولى أنهـا تعـود إلى العـصر الرومـاني.

مـا وجدنـاه لم نجـده داخـل مقـبرة صحراويـة أو كهـف مغلـق؛ بـل وجدنـاه داخـل صخـرة ضخمـة طبيعيـة تـبرز مـن داخـل البحـر عـلى مسـافة بسـيطة مـن الشـاطىء وحـمام (كليوباتـرا).. إنهـار جدارهـا فجـأة ليظهـر أنهـا لم تكـن مجـرد صخـرة مصمتـة؛ بـل كانـت مخبـأ مجـوف لـكل تلـك التوابيـت الأثريـة.. التوابيـت كانـت مبطنـة مـن الداخـل بمـواد عازلـة غريبـة وأنابيـب فارغـة صخريـة كنـا نعتقـد أنهـا وضعـت بتقنيـة معينـة لتحمـي التماثيـل مـن وصـول مياه البحـر إليهـا في حـال حـدوث أي تـسرب أو تشـقق لجدار الصخـرة الخارجـي كـما أنهـا كانـت مغلقـة بشـكل محكـم جـدا.

ضغـط عـلى زرار صغـير أمامـه لتظهـر عـلى الشاشـة الكبـيرة بعـض صـور

التوابيـت وهــى متراصة داخـل الصخـرة الضخمـة المنهـار جـزء مـن جدارهـا، ويظهـر البحـر حولهـا، وصـور أخـرى توضـح قـرب منطقـة الاكتشـاف الأثـري مـن مـزار حـمام (كليوباتـرا) السـياحي بـ(مـرسى مطـروح)..

قال (إياد) متعجبا:

- حتـى الآن كل ذلـك عظيـم واكتشـاف أثـري رائـع، لكـن مـن الواضـح أن الأمـر لم يقـف عنـد ذلـك الحـد بعـد ذلـك وحدثـت أمـور مريبـة متشـوق لسـماعها..

نظر له مدير الأمن موافقا وأكمل:

- بالضبـط.. كانـت تلـك فقـط هـي بدايـة كل الكـوارث.. في البدايـة تعاملنـا مـع الأمـر عـلى أنـه مجـرد اكتشـاف أثـري جديـد وتـم إبـلاغ وزارة الآثـار التـي أرسـلت فـورا وفـدا لمعاينـة الاكتشـاف الأثـري مـن كليـات الآثـار والآداب بجامعـات (الإسـكندرية) و(القاهـرة) و(المنصـورة) وغيرهـا والـذي كان ولحسـن حظنـا بينهـم دكتـورة (أمـيرة الجـمّال) والتـي أشـهد أنهـا أول مـن تنبـأ بـأن الأمـر ليـس طبيعيـا وليـس مجـرد اكتشـاف أثـري، ورصـدت بعـد ذلـك العديـد مـن الأمـور الغريبـة وتتبعتهـا دون كلـل أو ملـل حتـى أثبتـت خطـورة الأمـر، والتـي عكفـت أشـهر عديـدة في تدويـن ملاحظـات واسـتنتاجات قويـة وحاربـت وحوربـت حتـى نجحـت في أن تجلـس أمامـك الآن عـلى تلـك الطاولـة وحرصـت عـلى إيصـال صوتهـا لي رغـم التجاهـل في بدايـة الأمـر مـن بعـض رجـال الداخليـة لهـا.. فدكتـورة (أمـيرة) هـي مـن عجلـت باكتشـافنا مـا نحـن بصـدده اليـوم هنـا، وهـذه هـي القصـة التـي سـترويها لـك هـي بنفسـها الآن.

نظر(إياد) لـ(أميرة) التي تحدثت وقالت:

- عندمـا وصلـت لمنطقـة الاكتشـاف الأثـري كان يملـؤني الحـماس لرؤيـة خبيئـة أو مقـبرة إغريقيـة أو رومانيـة ولكـن الأمـر لم يكـن كذلـك. أول سـؤال

قفز إلى ذهني بعد معاينة مكان الاكتشاف الأثري وكان يشير إلى أن الأمر مريب وغريب هو: كيف وضعت التوابيت داخل جسم صخرة طبيعية في قلب البحر؟ وكأن تلك الصخرة خُلقت حولها.. إنها مجرد صخرة كبيرة طبيعية وليست بناءً صناعيًا على كل حال.. كانت الصخرة منحوتة من الداخل ومجوفة كالغرفة الكبيرة ولكن لايوجد لها مدخل أو طريق دخول ظاهر لنا.. كما أن التوابيت تحتوي عادة على مومياوات وجثث بشرية وتوضع داخل مقبرة ليس داخل صخرة وسط البحر..

أخذت نفسا عميقا وهي تفتح بعض الصور على جهاز الكمبيوتر الخاص بها وتضغط عليها لينتقلوا إلى الشاشة الكبيرة المعلقة على الحائط؛ فاقتربت تقف بجوار الشاشة وهي تقول:

- تم نقل التوابيت الخمسة مغلقين تحت حراسة الشرطة فورا إلى قبو المتحف الروماني بـ(الإسكندرية) لفحصها بمعرفة اللجنة المرشحة من وزارة الآثار لدراستها ومعرفة هويتها ومحتواها وتحديد عمرها.. القبو عبارة عن مخزن تحت الأرض.. واسع بحجم المتحف نفسه لأعمال الترميم فقط، ومخزن لبعض الأثاث التالف، وغير مؤمن كتأمين المتحف نفسه.. تم إفراغ جزء كبير منه لتصطف فيه التوابيت، وتم فتح التوابيت في وجودي ووجود غيري من أساتذة التاريخ الروماني والتي كانت مغلقة جيدا بغطاء حجري ثقيل، وكان ذلك ما وجدناه بها..

أشارت إلى الشاشة بعد أن غيرت الصورة لتظهر صور للتوابيت وهي مفتوحة وأكملت:

- كان بداخل التوابيت تماثيل حجرية تعود إلى العصر الروماني وليست مومياوات أو جثث محللة كما كنا نتوقع أن نجد.. فمن المعروف أن التوابيت صنعت لوضع الجثث البشرية بعد الموت، ولم أسمع يوما عن تمثال يوضع داخل تابوت؛ فالتمثال يوضع على بوابة معبد أو في مقبرة

ليزينها ويـدل عـلى صاحبهـا، أو حتـى مدخـل مـكان هـام.. أتقبـل أن يوضـع التمثـال في أي مـكان ولكـن ليـس داخـل تابـوت.. هـذا مـالم يحـدث في أي حضـارة شـهدتها الأرض.. كانـت تلـك هـي ثـاني ملاحظـة لي بعـد طبيعـة الصخـرة، أمـا ثالـث ملاحظـة فكانـت عـن التماثيـل نفسـها.. فحالـة التماثيـل فـوق الممتـازة! نحتـت بدقـة لا يمكـن وصفهـا تـكاد تكـون مسـتحيلة آدميـا وفنيـا ولم تحـدث مـن قبـل في أعظـم تماثيـل العـالم في أي حضـارة؛ حتـى تجاعيـد البـشرة والرمـوش الحجريـة وأدق التفاصيـل البسـيطة الجسـدية حتـى في ثنيـات أقمشـة ملابسـهم.. كأنهـم بـشر نائمـون ولكـن بشرتهـم حجريـة! هـذا بخـلاف أنـه لا يوجـد أي نقـش عـلى التماثيـل يحـدد هويتهـم.. وهـا هـي عـدة صـور للتماثيـل وللوجـوه وللملابـس لـكي تـرى بنفسـك أيهـا المقـدم..

تحركـت (أمـيرة) بـين الصـور التـي أخذتهـا للتماثيـل والتـي حقًـا كانـت مبهـرة لدرجـة تشـعرك أنهـا صـور لبـشر حقيقيـين اسـتخدم فيهـا أحدهـم أحـد التطبيقـات الحديثـة التـي تحـول الصـورة إلى شـكل تمثـال.. التماثيـل أكـثر دقـة بكثـير مـن قـدرة أي فنـان عـلى النحـت حقًـا.. كانـت الصـور تسـتعرض أربـع تماثيـل بالتفصيـل لرجلـين بالغـين وصبـي وطفـل، أحدهـم رجـل ثلاثينـي ذو شـعر ناعـم ولحيـة طويلـة مفتـول العضـلات يرتـدي الـزي الرومـاني الشـهير الـذي يغطـي كتفًـا واحـدًا، أمـا الرجـل الآخـر فـكان أكـبر عمـرًا في الخمسـين مـن العمـر أصلـع نحيـف يرتـدي زيًـا مشـابهًا وعـلي وجهـه تجاعيـد..

أمـا الصبـي فيبلـغ حـوالي خمسـة عـشر عامًـا، يضـع طوقًـا حـول شـعره القصـير الناعـم جميـل المحيـا وسـيم لأقـصى درجـة، أمـا الطفـل الآخـر فـكان أصغـر منـه لا يتجـاوز العـاشرة مـن عمـره جميـل أيضـا ذو شـعر ناعـم طويـل.

بعـد انتهـاء دكتـورة (أمـيرة) مـن اسـتعراض الصـور عقـب المقـدم (إيـاد) قائـلًا: خمسـة توابيـت ومعنـا صـور أربعـة تماثيـل.. فـماذا كان بالتابـوت الخامـس يادكتـورة؟

وكأنها كانت تنتظر سؤاله.. فضغطت وهي صامتة على زرار لتنتقل إلى الصورة التالية لتقف الشاشة على صورة مقززة جعلته رغما عنه يشعر بالدوار والرغبة في القيء..

كانت الصورة لجثمان شاب عاري الجسد متحلل منتفخ أزرق اللون انفجرت أمعاؤه وعلى وجهه المتحلل علامات الهلع وقد وضع معه داخل التابوت فستان من القماش الحريري الذهبي اللون ووشاح أحمر ملوثان بدماء جافة بنية..

- كان هذا ما وجدناه في التابوت الخامس أيها المقدم..

جثة لشاب عشريني من عصرنا.. من الواضح أنه قد قتل منذ شهر كما أكد تقرير الطبيب الشرعي الذي استلم الجثة لتشريحها.. كما أنه أكد أن الجثة خالية من الدماء تماما.. وهناك آثار تعرضه لصدمة كهرومغناطيسية، ولا يوجد أي كدمات أو جروح سوى جرح كبير بكف يده، كما أن التابوت نفسه الذي كان الشاب بداخله كان به اختلاف آخر عن باقي التوابيت؛ فقد وجدنا به أنابيب حجرية بالجدران ممتلئة بدم الضحية المتجلط الجاف.. فيما عدا ذلك فالتابوت مماثل للآخرين..

سأل (إياد):

- هل تم التعرف على صاحب الجثة؟

رد مدير الأمن على سؤال (إياد):

- ما زال مجهولًا حتى اليوم.. فقد كان الشاب عاري الجسد منتفخ ومتحلل ومشوه الملامح، وبالطبع لا يحمل أي أوراق أو متعلقات، ولا يوجد تفسير منطقي لوجود جثة حديثة التحلل داخل تابوت أثري مغلق منذ ألفي عام على الأقل داخل جوف صخرة طبيعية ليس لها مدخل ولم تنهر وتسقط سوى قبل اكتشافنا التوابيت بيوم واحد فقط..

قالت (أميرة):

- لم تعلـق أيهـا المقـدم عـلى وجـود فسـتان نسـائي بجـوار الجثـة داخـل التابـوت!

استطرد (إياد) بهدوء وثقة:

- في انتظار شرحك يادكتورة للأمر..

قالت (أميرة):

- إنـه ليـس فسـتانًا يحمـل ماركـة أي مصنـع ولا هـو محـاك بمكينـات خياطـة حديثـة، بـل محـاك يدويًـا وبخيـوط غريبـة لا يعرفهـا العـصر الحـالي.. كان فسـتانًا مـن الحريـر الطبيعـي ذهبـيَ اللـون ومعـه وشـاح أحمـر يعـود إلى العـصر الرومـاني حياكـة وأقمشـة وصناعـة، ولكـن عمـر النسـيج نفسـه واقعيـا لم يتعـدَ عامًـا واحـدًا!

قاطعهـا (إيـاد) وهـو يضـع كفـه عـلى جبهتـه كأنـه يريـد اسـتيعاب كل ماتقولـه مـن كلام غريـب:

- فسّري أكثر يادكتورة (أميرة)!

خلعت عويناتها الطبية وقالت:

- أي أن الفسـتان صنـع حقًـا بالعـصر الرومـاني قديمًـا بأيـدي خياطـي ذلـك العـصر منـذ ألفـي عـام! ولكنـه في نفـس الوقـت وصـل إلينـا بشـكل مـا داخـل التابـوت حديثًـا وجديـدًا وكأنـه صنـع منـذ عـام واحـد فقـط ولم تمـر عليـه عوامـل تعريـة الزمـن الطبيعيـة.. لم يـذُب نسـيجها ويتعـرض إلى التلـف أو حتـى الشـياط والتمـزق بسـبب عوامـل الزمـن الطبيعيـة.. ألوانـه زاهيـة بصبغاتـه الأصليـة التـي عـبرت الزمـن لتصـل إلينـا وكأننـا نـراه بعـد عـام واحـد عـلى الأكثر مـن حياكتـه وصناعتـه وليـس بعـد ألفـي عـام كـما هـي حقيقتـه الفعليـة!

ثـم اسـتعرضت صـور الفسـتان.. كان مثـل الأزيـاء في المسرحيـات التاريخيـة، صنـع حديثًـا ولكـن شـكل الأقمشـة وطريقـة الحياكـة فعـلًا تؤكـد أنـه لم يصنـع في عصرنـا الحديـث كـما قالـت!

قال (إياد):

- إمـا أن أحدهـم ماهـر في خداعنـا.. أو أننـا نواجـه بوابـةً زمنيـةً بـين العـصر الرومـاني والعـصر الحـالي، أو أننـا أمـام طقـوس مريبـة وألغـاز تاريخيـة ميتافيزيقيـة تسـببت في جريمـة قتـل غامضـة!

قاطعه مدير الامن:

- بـل أمـام ثـلاث جرائـم قتـل أيهـا المقـدم؛ القصـة لم تنتـهِ هنـا.. إنهـا فقـط البدايـة منـذ سـتة أشـهر..

نظر (إياد) بقلق وتوتر وهو يسمع تعقيب مدير الأمن الذي أكمل:

- حتـى وقـت العثـور عـلى جثـة الشـاب المجهـول منـذ سـتة أشـهر كانـت الدكتـورة (أمـيرة) تـصرخ للجميـع بـأن الأمـر لـيس طبيعيًـا وخـارجٌ عـن نطـاق الجريمـة العاديـة، وأن ربمـا كان بالأمـر شيء مـن طقـوس السـحر الأسـود أو عـالم مـا وراء الطبيعـة أو الفجـوات الزمنيـة، مسـتعرضةً ملاحظاتهـا حـول الفسـتان وشـكل التماثيـل وطبيعـة اسـتخدام التوابيـت للجثـث وليـس التماثيـل والصخـرة.. إلى آخـر مـا شرحتـه لـك دكتـورة (أميرة) الآن مـن ملاحظـات تفصيلًا.. وأُصدقـك القـول أن وقتهـا لم تجـد (أمـيرة) مَـن يسـمعها، بـل اتهمهـا البعـض بالجنـون وحاربهـا البعـض لتصمـت، وبرغـم غرابـة قضيـة القتـل تلـك ووجـود الكثـير مـن علامـات الاسـتفهام الضخمـة التـي اسـتحال تفسـيرها والإجابـة عنهـا في تلـك الجريمـة لم يلتفـت أحـد إلى تحذيـرات دكتـورة (أمـيرة) المسـتميتة مـن عـدم بقـاء التوابيـت داخـل المتحـف الرومـاني دون حراسـة مشـددة ودون تحليـل دقيـق أولًا لماهيتهـا.. تمـت مصـادرة التابـوت فقـط الـذي يحتـوي عـلى

جثة الشاب ونُقل من المتحف بمعرفة رجال الداخلية لمعاينته جنائيًا.. أما الأربعة تماثيل فتم إعادتهم داخل التوابيت وأغلقت ووضعت بمخزن المتحف دون عرض بساحات العرض بالمتحف أو إعلان رسمي عن الاكتشاف لعدم التوصل لأي معلومات عنهم تاريخيًا، وتوقفت دراستهم أثريًا لحين الانتهاء من قضية القتل ومعرفة هوية القتيل في التابوت الخامس وكيف قُتِلَ قبل شهرٍ واحدٍ من اكتشاف التوابيت.. قُيِّدت الجريمة ضد مجهول بالطبع وعاد كلُّ شيءٍ هادئًا حتى مرت ثلاثة أشهر على تلك القضية وحدثت الجريمة الثانية..

استدار مدير الأمن تجاه الشاشة ليعرض صورةً لشاب ثلاثيني بسيط الملامح بشوش الابتسامة قائلا:

- (أحمد عبد الله).. مرشد ومترجم بالمتحف الروماني، يعمل به منذ عشر سنوات.. أعزب.. عمره خمس وثلاثون عامًا، خريج كلية الآثار جامعة (القاهرة).. مشهود له بالهدوء والأخلاق الحميدة.. ليس له أي عداوات.. حسن السمعة.. عضو نشط بجمعيات خيرية و(أدمن) للعديد من الجروبات الشهيرة على الإنترنت التي تقدم المساعدة للغير.

تنفس بعمق واستطرد:

- بعد ثلاثة أشهر من مكوث التوابيت الأربعة وبداخلها التماثيل مغلقة بقبو المتحف، لاحظ أحد زملائه غيابه عن العمل وعدم إجابته على الهاتف في اليوم التالي، فتواصلوا مع أهله الذين أكدوا أنه لم يعُد من العمل منذ اليوم السابق وأنهم يبحثون عنه هم أيضا! وقبل أن يتم الإبلاغ رسميًا بتغيبه من قِبَل أهله أبلغ عامل النظافة المسئول عن تنظيف قبو المتحف بأن هناك آثار دماء على أحد التوابيت من الخارج وأن هناك زي أبيض غريب كالذي يراه في الأفلام ملقى أرضا بجانب التابوت في الأرض.. على الفور تم إبلاغ دكتورة (أميرة) بالحضور

لأن إعادة فتح التابوت لابد وأن يكون بحضور خبير أثري من القائمين على فحصه منذ البداية بمعرفة وزارة الآثار لاعتباره أثرًا تحت الدراسة، وكانت دكتورة (أميرة) هي الأقرب لنا هنا بـ(الإسكندرية) ؛ حيث أن المعظم كانوا بمحافظات أخرى كـ(القاهرة) وغيرها.. فاتصل بها مدير المتحف وحضرت على الفور، وبرفع غطاء التابوت الحجري وجدوا (أحمد) يرقد بداخله جثةً عاريةً ولن أفاجئك بالطبع أن تقرير الطبيب الشرعي كان مطابق إلى تقرير الشاب الآخر المجهول من تصفية دماء لصدمة كهرومغناطيسية قبل الوفاة وجرح كف اليد.. لم يختلف التقرير إلا فقط في تحديد توقيت الوفاة الذي كان يؤكد أنه قُتل في الليلة السابقة فقط وليس منذ شهر كسابقه المجهول..

تنهد مدير الأمن واستطرد:

- وأيضا التابوت امتلأت أنابيبه الحجرية الداخلية بدماءٍ طازجةٍ تخص (أحمدعبد الله) الضحية.

قال (إياد) وهو ينظر إلى دكتورة (أميرة):

- وماذا عن التمثال الذي كان بداخل التابوت نفسه؟

فاجابت (أميرة) سريعا:

- اختفي تمثال الرجل الملتحي.. لم يكن له أثر بالقبو ولا بالمتحف كله!

فقال (إياد):

- وماذا عن الرداء الأبيض الروماني؟

فردت مبتسمة:

- نفس حال الفستان الأول.. صنع في العصر الروماني بخيوط وأقمشة وحياكة تعود لعصرهم ولكنه حديث الصناعة لم يمر على حياكته أكثر من

عام على الأكثر..

قال (إياد) بهدوء:

- وهل لي أن استنتج انه مطابق لرداء تمثال الرجل المختفي، أم أنا على خطأ ؟

ابتسمت (أميرة) بتفاؤل لاستنتاج شريك قضيتها وهي تقول بحماس:

- نعم.. فعلا.. كان هو نفس تصميم الرداء ولكن لم يعد حجريا.. تحول إلى نسيج قماشي!

ضغطت (أميرة) على زرار لتظهر على الشاشة صورة منقسمة إلى نصفين أحدهما للتمثال المختفي والآخر للرداء القماشي تظهر مدى التطابق بينهم في التصميم..

فقالت (أميرة) وقد ظهر عليها الارتياح:

- أنا الآن متفائلة بك أيها المقدم إلى أقصى حد، فأنت لست ضيق الأفق كسابقك.. وقتها كِدت أن أجن وأنا أصرخ لهم للمرة الثانية أننا أمام أمر خارق لقواعد العقل والمنطق وأذكرهم بالقضية الأولى وتفاصيلها.. وقتها عندما أخبرتهم بذلك عادت نظرات الجميع لي بأني مجنونة وغير موزونة ومختلة، وعندما استرجعت الصور الملتقطة للتمثال المختفي للرجل الملتحي عند اكتشافه لكي أؤكد لهم صحة كلامي عن ردائه، وأننا لسنا أمام حادث سرقة تمثال أثري وقتل جنائية بل أمام كارثة أكبر لا أحد يعلم أبعادها ومدي خطورتها، لم يسمعني وقتها أحد.. لا ضابط المباحث ولا مدير المتحف الروماني.. بل تم تهديدي من ضابط المباحث السابق أني إذا تحدثت أكثر بكلامي هذا سأُتَّهم رسميا بترويج الإشاعات وسيُزَجُّ بي في مصحَّةٍ عقلية أو السجن.. فكتبت تقريرًا طويلًا بكل ما أعرفه ورأيته واستنتجته ولاحظته منذ بداية الاكتشاف وتحذيري من خطورة تلك التوابيت وأن وراءها خطرٌ

عظيـمٌ ربمـا يهـدد العـالم وأرسـلته إلى مديريـة أمـن (الإسـكندرية).. بـل إلى مكتـب مديـر الأمـن شـخصيا لـكي أرضي ضمـيري.. ولكـن لا مجيـب..

فأكمل(إياد) بتهكم:

- حتى حدثت جريمة القتل الثالثة بالطبع.. أليس كذلك؟

فقال مدير الأمن مكملا ومبررا:

- وقتهـا تقريـر دكتـورة (أمـيرة) وصلنـي شـخصيًا، وكنـت عـلى علـم بحـدوث سرقـة تمثـال أثـري بالحجـم الطبيعـي مـن المتحـف الرومـاني تزامنـا مـع جريمـة قتـل (أحمـد عبـد اللـه) والتـي أصـدر النائـب العـام فـورًا قـرار بمنـع النـشر في تلـك القضيـة، ولكـن كان يجـب أن أتـرك المجـال أولًا لاسـتكمال التحقيقـات الجنائيـة الطبيعيـة قبـل الالتفـات لمـا هـو غـير طبيعـي..

فقال (إياد):

- وماذا أسفرت التحقيقات في سرقة التمثال وجريمة القتل الثانية؟

رد مدير الأمن:

- لا شيء.. لا أدلـة.. ولا حتـى بتفريـغ الكامـيرات توصلنـا إلى كيفيـة خـروج تمثـال بهـذا الـوزن والحجـم مـن قبـو المتحـف إلى خارجـه وكأنـه تبخـر.. كـما أن (أحمـد) لم يكـن لـه أي عـداءات أو علاقـات مريبـة.. غـير أنـه شـوهد مـن خـلال كامـيرات المراقبـة في نهايـة يـوم عملـه الأخـير يهبـط باتجـاه القبـو ثـم اقـترب مـن التابـوت ووقـف ينظـر حولـه كأنـه يبحـث عـن شـخص مـا ثـم وقـف بجـواره شـخص مجهـول أتى مـن داخـل القبـو وليـس مـن الخـارج يغطـي كامـل جسـده بـرداء أسـود يفـترض أنـه كان في القبـو مـن البدايـة، وحـدث وميـض قـوي للإضـاءة وأغلقـت الأضـواء ثـم توقـف تسـجيل الكامـيرات في الظـلام عنـد هـذا الحـدث.

أدار مدير الأمن المقطع على الشاشة ليشاهد (إياد) و(أميرة) ماحكاه تفصيلًا.. بعد انتهاء المقطع المصور قال (إياد):

- إذا اتفقنا على أن ذا الرداء الأسود المجهول هو المتهم الرئيسي في جريمة قتل (أحمد)، فكيف لشخص واحد أن يحمل تمثالًا يزن طنًا على الأقل ويخرج به من المتحف دون أن يتم رصده!

أكملت (أميرة):

- هذا إذا كان بشرًا طبيعيًا.. والتمثال خرج كتمثال حجري!

فقال (إياد) متفهما ماترمي اليه (أميرة):

- وإلى من تعود تلك التماثيل تاريخيا؟ وماذا تمثل؟

ردت (أميرة):

- مجهولون.. فالتوابيت لا تحتوي إلا على طلاسم سحرية ولا يوجد أى نقش أو كتابة أو خراطيش تدل على شخصية أصحاب التماثيل، كل ما استطعنا الوصول إليه هو أنهم من العصر الروماني وأنهم من علية القوم، كما أنهم عاشوا بين القرن الأول والثاني بعد الميلاد وذلك حددناه من تصميم ملابسهم ورقيها ولم نستدل على شخصياتهم الحقيقية تحديدا!

فسأل (إياد):

- ومتي حدثت جريمة القتل الثالثة؟

قال مدير الأمن وهو يضع صورة شاب بدين أشقر الشعر عسلي العيون على الشاشة لم يبذل (إياد) مجهودا ليدرك أنه الضحية الثالثة..

- كان هذا الشاب هو ضحية الجريمة الثالثة.. كانت الحراسة مشددة على المتحف الروماني بعد جريمة قتل (أحمد عبد الله) وظل خوف كل العمال والموظفين من الاقتراب من القبو مستمرا حتى ولو للنظافة في

بداية الأمر.. ثم عادت الأمور تدريجيًا لطبيعتها مع الوقت في المتحف والتحقيقات كالعادة لم تصل إلى أي استنتاج يقبله العقل.. بعد مرور شهرين بالتمام والكمال من جريمة قتل (أحمد) كانت الضحية الثالثة بانتظارنا وبنفس التفاصيل، هذه المرة محامٍ شاب اسمه (سعيد بدير) لديه مكتب صغير في منطقة (المندرة) وليس موظفًا بالمتحف أو له أي علاقة بالمتحف، واختفي تمثال آخر وحل محله في التابوت (سعيد) الذي عرفنا هويته بسهولة من بطاقته الشخصية وبطاقة نقابة المحامين بمحفظته داخل ملابسه..

- وهل وجدتم ملابس التمثال المختفي بجواره أيضا؟

ابتسمت (أميرة) وقالت:

- لا.. تلك المرة لم نجد ملابسا رومانية ولم يكن الجثمان عاريًا كجثمان (أحمد) والجثة المجهولة التي سبقتهم.. وكأن المجرم قد تعلم شيئًا ما من جرائمه السابقة أو أحدث تعديلًا على روتينه السابق في القتل لسببٍ ما وترك (سعيد بدير) بكامل ملابسه وفي جيبه محفظته تحمل هويته ولكن باقي التفاصيل ظلت واحدة بداية من تقرير تشريح الجثة مصفاة الدماء المعرضة لصدمة كهرومغناطيسية وجرح كف اليد ووجود الدماء في أنابيب التابوت تخص القتيل واختفاء تمثال الصبي، كما أن الكاميرات تم تعطيلها مسبقا بفعل فاعل ومن بعدها تم إغلاق القبو بباب من الفولاذ يفتح فقط بنظام بصمة الإصبع والذي لم يُضَف إليه إلا بصمات بعض العاملين بالمتحف فقط..

قال (إياد) مستجمعا معلوماته وهو يعد على أصابعه:

- وجدتم التوابيت والجثة الأولي منذ ستة أشهر، ولكن الجريمة الأولى تمت قبلها بشهر أي منذ سبعة أشهر، وبعد أربعة أشهر اختفي التمثال الروماني الملتحي وقتل (أحمد عبد الله) وبعدها بشهرين قتل (سعيد

بدير) المحامي واختفى تمثال الصبي، أي أن آخر جريمة حدثت منذ شهر واحد مضى!

هزوا له رأسهم إيجابا وقال مدير الأمن:

- بعد الجريمة الأخيرة، وبعد أيام من معاينة النيابة ورفع الأدلة وتفريغ الكاميرات كانت التحقيقات تتجه إلى اللاشيء مرة ثالثة.. أخرجت فورا التقرير الذي أرسلته دكتورة (أميرة) من درج مكتبي واتصلت بها لأقابلها فورا في مكتبي وأستمع إليها.. فهي أثبتت أنها كانت على حق منذ البداية ومنذ أول يوم لاكتشاف تلك التوابيت الملعونة.. ومايحدث كله يسير في اتجاه ما أشارت هي إليه من أننا أمام أحداثٍ كارثية خارجة عن نطاق العقل والمنطق، ونواجه شرًا مجهولًا.. إننا نواجه سحرًا وطقوسًا ملعونة أو فجوة زمنية بين عالمين، وربما جنٍ أو كيانٍ ما له رابطٌ تاريخيٌ بالعصر الروماني.. شيءٌ من هذا القبيل لا نعرف أي شرٍ سيحدث بعد ذلك ولا أجد خجلًا في إعلان ذلك لأنني شخصيًا صرت أجزم أن الأمر سيتعدي مجرد جرائم قتل واختفاء تماثيل غريبة لانعلم ما مصيرها ولا ماذا تحمل لنا، ولا نعلم حتي ما هدفها ولا أعرف إلى أين سيقودنا مايحدث في تلك التوابيت اللعينة التي لا نفهم ماهيتها!

ولكني أعرف جيدا أن الدكتورة (أميرة) كانت على حق وتعلم الكثير وربما كان أمامنا مصير مجهول ربما يكون أكثر بشاعة مما نواجه اليوم.

تنفس مدير الأمن بعمق وأكمل:

- عرضت الأمر على وزير الداخلية والذي اقتنع بخطورة الأمر رغم صعوبة استيعابه وتصديقه وأخذ قرارًا فوريًا بأن يؤول الأمر إليك أيها المقدم (إياد) لثقة العديد من القيادات بذكائك وخبرتك وتاريخ كشفك غموض العديد من القضايا الكبيرة الغامضة الغريبة ومن الواضح أن تلك القضية ستحتاج فيها إلى مشاركة دكتورة (أميرة) التي أثبتت أنها بعيدة

النظر وملمة بالكثير من طبيعة ما نواجهه تاريخيا وعلميا، وستجد باللوح الرقمي أمامك نسخة من كل التحقيقات والمحاضر والصور والمستندات التي ربما تحتاجها، ولن أؤكد عليك أن قوة الداخلية تحت أمرك إذا احتجتها في أي لحظة وفي أي مكان، وكل ماستحتاجه لحل لغز تلك الجرائم سيكون موجودًا بإذن الله، وأنا شخصيًا سأكون معك خطوة بخطوة .

عقب (إياد):

- أعتقد أني لن أحتاج فعلا سوى وجود دكتورة (أميرة) كمساعدة معي في التحقيقات؛ فلن أخفي انبهاري بحسها البوليسي وشدة ملاحظتها، كما أني سأحتاجها كثيرا فيما يخص المعلومات التاريخية والعلمية التي تخص العصر الذي أتت منه تلك التوابيت وتماثيلها.. فمن الواضح أن الأمر سيحتاج عقلًا ومعلوماتٍ أكثر من احتياجه لقوة عضلية ربما كان ما نواجهه هو كيان لايقتله الرصاص.. وهي بالفعل الشريك المثالي لمثل تلك القضية.

ابتسمت (أميرة) ممتنة وقال مدير الأمن:

- وأنا متفائلٌ جدا وواثق بقدرتك على إنهاء الأمر.

***

الفصل الثاني

عـاد (إيـاد) مـن مديريـة الأمـن إلى غرفتـه بالفنـدق المطـل عـلى البحـر في (الإسـكندرية) يحمـل اللـوح الرقمـي الـذي يحـوي كل الملفـات والتحقيقـات السـابقة الخاصـة بالقضيـة بعـد أن أخـذ رقـم هاتـف دكتـورة (أمـيرة) لكونهـا المسـاعدة الرسـمية لـه بتلـك القضيـة.

صنـع لنفسـه قدحًـا مـن القهـوة وجلـس عـلى أريكـة وثـيرة يقـرأ كل التحقيقـات السـابقة ويشـاهد الصـور المتعلقـة بالقضيـة ويسـترجع المعلومـات التـي سـمعها بالاجتـماع.

انتهـى (إيـاد) مـن قـراءة جميـع الملفـات، فوضـع اللـوح الرقمـي جانبـا وتنـاول هاتفـه واتصـل بـ(أمـيرة) قائـلا:

- آلو.. دكتورة (أميرة).. آسف لازعاجك.. هل الوقت مناسب؟

- مقـدم (إيـاد).. أُذكِّـرُكَ أننـى شريكتـك رسـميا في قضيـة هامـة جـدا.. وأن مـن حقـك أن تتصـل في أي وقـت وأن توقظنـي حتـى مـن النـوم إذا كان هنـاك جديـد بالقضيـة أو تحتـاج أي معلومـة.. فـإن اشـتراكي بتلـك القضيـة رسـميا ويعتـبر عمـلًا سـأتقاضى عليـه راتبًـا مـن الداخليـة وليـس عمـلًا تطوعيًّـا ذلـك بخـلاف حـماسي الشـخصي لتلـك القضيـة.

شـعر (إيـاد) بارتيـاح لأنـه - ولأول مـرة - يعمـل مـع امـرأة؛ فـكان قلقًـا بشـأن أن تعطلـه، ولكـن مـن الواضـح أنهـا شـخصية مسـئولة وعمليـة.

- لقـد انتهيـت لتـوي مـن قـراءة التحقيقـات السـابقة والتـي وجدتهـا مليئـة بالثغـرات القاتلـة جنائيـا والتقصـير الشـديد في التحقيقـات والمعاينـات لموقـع الحـادث.. سـأحتاج أن أعيـد بنفـسي التحقيـق ومعاينـة كل المواقـع وإعـادة

فتـح ملفـات كل الجرائـم منـذ البدايـة.

- هل تقصد قضية مقتل (أحمدعبد الله) والمتحف الروماني؟

- لا.. أقصـد البدايـة الحقيقيـة.. منـذ سـبعة أشـهر.. أريـد معاينـة الصخـرة المكسـورة في (مطـروح) كبدايـة.. الصخـرة التـي كان بداخلهـا التوابيـت وجثـة الشـاب المجهـول.. لم أجـد أي معاينـة أو تحقيـق في مـسرح الجريمـة الأولى.. حيـث بـدأ كل شيء.. في (مطـروح).

صمتت لحظة وقالت:

- أعتقـد أن أحـد الأسـاتذة المنتدبـين مـن كليـة آثـار جامعـة (القاهـرة) قـد عاينهـا يـوم نقـل التوابيـت.. أمـا أنـا كنـت مشـغولة بمراقبـة سـلامة إجـراءات النقـل والرفـع للتوابيـت ولم أدخـل للصخـرة لوجودهـا بداخـل البحـر وصعوبـة الوصـول إليهـا بملابـسي الرسـمية.. أعتقـد أنـه قـال أن ليـس بهـا أي شيء مهـم أو غـير طبيعـي وأصـدر تقريـرًا بشـأنها، سـأبحث لـك عنـه و...

قاطعها (إياد):

- مـع احترامـي لـه.. لقـد عاينهـا تاريخيـا وعلميـا ولكـن معاينتـي أنـا الجنائيـة سـتختلف.. لا أدري كيـف لم تُعايَـن جنائيًـا خاصـة في وجـود جثـة مكتَشَـفة مجهولـة وجريمـة قتـل.. كان يجـب الرجـوع بالتحقيقـات إلى منطقـة الاكتشـاف الأثـري نفسـه ومعرفـة كيـف وصـل ذلـك الشـاب إلى قلـب الصخـرة الطبيعيـة ورفـع أي دليـل إن وجـد يخـص قضيـة القتـل.

- معـك حـق، لم يلتفـت أحـد إلى ذلـك قبلـك مـن الشرطـة.. فهـم اكتفـوا بمعاينـة التابـوت نفسـه ومصادرتـه.

فقال (إياد) متحمساً:

- إذن سـأتحرك الآن متجهًـا إلى (مـرسى مطـروح)، فاليـوم لم ينتصـف بعـد

وسأصل قبل غروب الشمس بوقتٍ كافٍ بإذن الله لمعاينة المكان..

قالت (أميرة) بحماس أكبر:

- سأكون معك.. أحتاج أن أراها أنا الأخرى من وجهة نظر تاريخية.. لا تنسَ أننا شركاء رسميا بالقضية ونكمل بعضنا البعض.. أنت جنائيا وأنا تاريخيا وعلميا.. سأخبر زوجي فقط وننتقل إلى هناك.

- أين أنتِ الآن؟

- بمكتبي في الكلية..

نظر (إياد) في ساعته وقال:

- الفندق قريب من الجامعة.. ربع ساعة من الآن وسأكون منتظرك عند باب الجامعة.. سنسافر حالا إلى (مطروح) لمعاينة الصخرة تاريخيا وجنائيا.

- في انتظارك أيها المقدم.

قالتها (أميرة) بحماس وهي تغلق الهاتف.. إنه يفكر بطريقة صحيحة مرتبة، ومتحمس لا يضيع لحظة.. يختلف كثيرا عن الضابط السابق الذي هددها حين أرادت أن تخبره بما تعرفه وكأنه يرفع شعار «طالما أنا لا أعرف ماحدث؛ إذن فهو لم يحدث!».

متحمسة بشكل جنوني ليس طمعا في المكافأة الضخمة التي وعدها بها مدير الأمن والتي ستعني شراء بيت أحلامها بدلا من الشقة الإيجار التي تقطنها هي وزوجها المهندس (خالد)، ولكن ربما لأن القضية بالنسبة لـ(أميرة) أصبحت قضية تخص تحديًا شخصيًا وانتصارًا لنفسها وكرامتها بسبب ماعانته من تهديدات ذلك الضابط المتعنت السابق لكي تصمت ولا تتحدث كثيرا عن خطورة الأمر عندما كان يغلق قضايا القتل بجملة

عقيمـة: (تُقيَـد ضـد مجهـول!) بعـد تحقيقـات روتينيـة مليئـة بالخمـول..

لـن تنـسى تلـك الليلـة التـي قضتهـا في قسـم الشرطـة بـين العاهـرات والبلطجيـة والمسـجلات خطـر والسـارقات بـلا تهمـة ولا محـضر لـكي يُرهبهـا وتصمـت عـن قـول الحقيقـة التـي تعرفهـا وتكـف عـن تحذيـر الجميـع مـن الخطـر الـذي تـراه جليـا.. لـن تنـسى كيـف عاشـت - وهـي أسـتاذة الجامعـة الراقيـة - الرعـب والهلـع منـه حتـى كتبـت الخطـاب الموجـه لمديـر الأمـن شـخصيا بـكل ماتعرفـه ومـا يحـدث لهـا مـن ذلـك الضابـط وبعدهـا وفـورا كـف عـن أذاهـا وملاحقتهـا كعدوتـه فقـط لأنهـا تسـعى لفتـح قضايـا قتـل تراهـا كارثيـة ويغلقهـا هـو كسـلا وتقاعصـا.. حتـى تواصـل معهـا مديـر الأمـن شـخصيا ودعاهـا معتـذرا وشـاكرا كل جهودهـا داعيـا إياهـا للانضـمام رسـميا إلى فريـق عمـل تلـك القضيـة بخطـاب رسـمي مـن وزارة الداخليـة إلى جامعـة (الإسـكندرية) ..

تتمنى أن يصدق حدسها وأن يكون (إياد) عكسه تماما كما تظن..

وقفـت (أمـيرة) في انتظـار (إيـاد) عـلى بـاب الجامعـة في تمـام الثالثـة عـصرا بعـد أن أبلغـت زوجهـا المهنـدس (خالـد) بسـفرها إلى (مطـروح) والـذي نصحهـا بالسـفر مـع المقـدم (إيـاد) وليـس بمفردهـا وهـو سـيمر ليأخـذ سـيارتها مـن داخـل مواقـف الكليـة.

اقـترب (إيـاد) منهـا وصعـدت إلى السـيارة جـواره وانطلـق بأقـصى سرعـة متخـذا الطريـق إلى (مـرسى مطـروح)..

كانـت السـيارة تسـير كالصـاروخ عـلى الطريـق ضاربـة عـرض الحائـط بالسرعـات المقـررة وقوانـين المـرور..

وكأن (إيـاد) يريـد أن يسـبق الشـمس في غروبهـا بمـدة كافيـة تسـمح لـه بمعاينـة الصخـرة في ضـوءٍ كافٍ وواضـح.

وبالفعل قطع الطريق بسرعة خيالية جعلته يقف بسيارته أمام حمام (كليوباترا) بعد أقل من ساعتين فقط!

وجد أمامه تلك الصخرة الضخمة التي يقع في منتصفها مدخل كهف حمام (كليوباترا) والتي يقصدها كل الزوار وبجانبها يقف التمثال الشبيه بـ(أبي الهول) والذي نحتته أمواج البحر لتخفي الكثير من تفاصيل هيكله الخارجي، ولكنه مازال يحتفظ بهيئته.

قال (إياد) وهو ينظر إلى المزار الاثري:

- أين الصخرة التي اكتشف بداخلها التوابيت؟

فردت (أميرة) وهي تشير إلى صخرة مهدمة الجدار داخل البحر ولكن ليست على عمق بعيد:

- ها هي..

فنظر لها (إياد) وهو يخلع حذاءه ويقذفه على الرمال بجانب السيارة وقال:

- اخلعي حذاءكِ واتركي هاتفك وحقيبتك في السيارة وتعالي معي.. سنذهب إلى الصخرة عبر البحر.. لن يضرنا إلا بعض البلل الذي سيجف!

- هاتفي مقاوم للماء، سآخذه معي ربما أحتاجه.

سارا داخل البحر بملابسهما بعد أن أفرغا جيوبهما من أي شيء سيتلف من الماء وتركاه بالسيارة وأخذا يخترقان البحر والصخور حتى وصلا إلى الصخرة وقد وصلت المياه إلى مستوى خصرهما؛ فتسلقا الصخور المكسورة ليجدا أنفسهما يدخلان إلى قلب الصخرة عبر الجدار المهدوم والذي كان مدخله مرتفعًا عن سطح البحر بمسافة حافظت على جفافه.

بمجرد أن خطيا بأقدامهما إلى داخل الصخرة هاجمهما صراخ مذعور

جعلهـما ينتفضـان في بـادىء الأمـر..

كان هنـاك فتـاة وصبـي مراهقـين بالداخـل يقبـلان بعضهـما في خلـوة رومانسـية ويتبـادلان الأحضـان؛ فـصرخ فيهـما (إيـاد) وهـو يشـهر سـلاحه فـإذا بهـما يهـرولان قفـزا إلى البحـر مـن داخـل الصخـرة!

كانـت الشـمس قـد مالـت نسـبيا اسـتعدادا لـوداع (مطـروح) فأصبحـت أشـعة الشـمس في اتجـاه مبـاشر إلى داخـل تجويـف الصخـرة وأنارتـه أكـثر وبشـكل أوضـح حيـث كانـت الحوائـط تنعكـس عليهـا أشـعة الشـمس الأفقيـة.

وقف (إياد) وقال بغضب وعصبية:

- ماهـذا العبـث.. كيـف يُـترك مـكان مهـم كهـذا دون حراسـة لعبـث المصطافـين والمراهقـين.. إنـه أصبـح وكـرا مثاليـا لـكل ماهـو غـير قانـوني! كهـف رائـع لـكل مايـزج إلى السـجون..

وانحنـى ليلتقـط بواقـي سـيجارة حشـيش ومحقـن بلاسـتيكي طبـي مسـتخدم مـن عـلى الأرض وهـو يزفـر مـن الغضـب ويقذفهـما مـرة أخـرى باشـمئزاز..

- إذا كان هنـاك أدلـة جنائيـة منـذ سـتة أشـهر فمـن المؤكـد أنهـا اختفـت بعـد كل ذلـك العبـث.

اقتربـت (أمـيرة) وهـي تنظـف عويناتهـا الطبيـة مـن قطـرات الميـاة ووقفـت أمـام أحـد الحوائـط وهـي تقـول بانبهـار:

- مقدم (إياد).. انظر إلى ذلك الحائط.. انظر ماذا به!

استدار ينظر إلى المكان الذي أشارت إليه وقال:

- (فاتن وحمادة) حب إلى الأبد؟!

زفرت (أميرة) بضيق ونفاذ صبر وقالت:

- لا أقصد ذلك قطعا.. تحت تلك القاذورات التي كتبت بالطباشور.. انظر جيدا.

- رأيتها.. رأيتها.. إنها نقوش ورسومات غريبة على الجدار تعكس لمعة ذهبية قوية مع أشعة الشمس..

فقالت له وهي تمسح بكم جاكت بدلتها المبلول الطبشور الأبيض لتُظهِر النقش بشكل أوضح.

- إنها لغة آرامية قديمة.

- وماهي تلك اللغة الآرامية؟

- إحدى اللغات القديمة.. إنها لغة سامية شرق أوسطية انطلقت مع قيام الحضارة الآرامية التدمرية في وسط (سوريا) في مدينه تسمى (تَدْمُر) شرق (دمشق) حاليا.. وكانت اللغة الرسمية في بعض ممالك العالم القديم، خصوصا الممالك التي وقعت تحت حكم الحضارة التدمرية، وتُعَدُ لغةً مقدسة.. تعود نشأتها للقرن العاشر قبل الميلاد، وأصبحت تلك اللغة مسيطرة حتى القرن الخامس بعد الميلاد ثم تراجعت بعد ذلك.. وقد كتب بها سفري (دانيال) و(عزرا) ومخطوطات البحر الميت، وهي أيضا لغة التلمود.. ويُقال أنها كانت لغة سيدنا (عيسى) عليه السلام ولغة تلامذته، وكانت لغة (مصر) ابتداءً من القرن الأول الميلادي.

استطردت وهي تحرك عينيها على الجدار بإعجاب:

- ومازالت تُستخدم تلك اللغة حتى الآن بين بعض معتنقي المسيحية في الشرق الأوسط خصوصا أتباع الكنائس السريانية الموجودة في (سوريا) و(تركيا) و(إيران) و(الأردن) وفي ولاية (ميتشيجان) الأمريكية أيضا وبين بعض مهاجري (السويد) و(ألمانيا) و(هولندا) خصوصا ذوي الأصل السوري أو الإيراني أو التركي المسيحي السرياني.. هم قلة بالطبع ولكنهم يحافظون

علـى تلـك اللغـة حيـة حتـى اليـوم..

نظر لها (إياد) بانبهار وقال:

- أشـهد أن وجـودك مهـم جـدا معـي في كل خطـوة تخـص تلـك القضيـة يادكتـورة (أمـيرة)..

- بالطبـع أنـا لا أتقـن ترجمـة اللغـة الآرميـه ترجمـة فوريـة.. ولكنـي أعرفهـا وأعـرف بعـض كلماتهـا.. سـألتقط صـورًا لتلـك النقـوش بشـكل واضـح وأترجمهـا بدقـة فـور عـودتي إلى المكتـب.

أخرجـت هاتفهـا المحمـول مـن جيبهـا المبتـل وأخـذت تلتقـط صـورًا للحائـط مـن أكـثر مـن اتجـاه، وكان انعـكاس أشـعة الشـمس المائلـة عليـه بشـكل مبـاشر جعـل النقـوش واضحـةً للغايـة ولامعـة بسـبب السـائل الذهبـي المكتوبـه بـه.

أثنـاء انشـغالها بتصويـر الحائـط اتجـه (إيـاد) إلى مدخـل جـوف الصخـرة مـن الداخـل وأخـذ يضـع يـده عـلى الحـواف المحيطـة بالمدخـل المهـدوم ثـم قـال لهـا:

- يا إلهي.. كيف لم ينتبه أحد إلى ذلك من قبل!

استدارت له بحماس لتري ماذا وجد.

فقـال لهـا مشـيرا إلى حـواف الجـدار المهـدوم والـذي صـار المدخـل الرئيـسي لجـوف الصخـرة:

- إن تلــك الصخــرة لم تنهــار طبيعيــا وإنمــا هُدِمَــتْ بفعــل فاعــل! مــن الداخــل.. وليــس مــن الخــارج.

شـهقت (أمـيرة) عندمـا لاحظـت مالاحظـه (إيـاد).. كان هنـاك آثـار أدوات حـادة تمـلأ الحـواف مـن الداخـل فقالـت:

- كأن أحدهم داخل الصخرة .. هدم جدارها وخرج!

أكمل(إياد):

- على حواف المنطقة المنهارة من الجدار في الجهة الداخلية توجد آثار واضحة لضربات فأس وبلطة أو أداة حادة كأدوات الهدم اليدوية.. أي أن أحدهم كان بالداخل يحاول هدمه ليخرج..

- كاد قلبي يقفز من بين ضلوعي لهول ماوجدناه الآن.. هل تعلم كم لغزًا جديدًا يطرحه اكتشافك هذا بوجود شخصٍ حيٍ أو كيان ما لا نعرف طبيعته بداخل تجويف صخرة طبيعية مغلقة من كل الجوانب في البحر.. كسرها من الداخل ليخرج إلى العالم تاركا خلفه جثة شاب مجهولة الهوية مقتول وتوابيت عمرها يتخطى الألفي عام تختفي واحدًا تلو الآخر؛ أي أنه وبأقرب تقدير منطقي سيكون عمر ذلك الكيان الفي عامٍ!

أكمل(إياد):

- سيكون عمره ألفي عام إذا وجدنا تفسيراً منطقيًا لطريقة دخوله إلى قلب الصخرة ... وإلا سيكون عمره من عمر الصخرة نفسها! وربما من عمر الأرض!

وضعت كفها على جبهتها، ثم غرست أصابعها في شعرها لتعود به إلى الخلف وهي تقول:

- يجب أن نحل كل تلك الأحجية.

***

الفصل الثالث

على كورنيش (مطروح) المقابل لشارع (الإسكندرية) وفي مبنى مديرية أمن (مطروح) جلس (إياد) و(أميرة) في مكتب مدير الأمن وهما مازالا مبتلين نوعا ما لم تجف ملابسهما بشكل كامل بعد يحتسيان قهوةً ساخنة بعد أن حدث اتصال هاتفي سريع بين (إياد) ومدير أمن (الإسكندرية) فور خروجه من موقع مزار حمام (كليوباترا) ليخبره (إياد) باختصار ماتوصل إليه والذي بدوره تواصل فورا مع مدير مديرية أمن (مطروح).

دخل مدير الأمن مرحبا وقال بحسن استقبال وبشاشة وحماس:

- أهلا بكم في (مرسى مطروح).. أعرف خطورة قضيتكما المكلفين بها وبالطبع نحن معكم وسنبذل قصارى جهدنا للتعاون معكما في أي أمر تطلبونه وأي معلومات تحتاجونها ستكون في أقصر وقت بين أيديكما.. وأنا بنفسي معكما هنا في كل خطوة..

رد (إياد) متفائلا:

- شاكر جدا لسيادتك تعاونك معنا واستقبالك لنا ولكن لي رجاء.. أولا أريد أن يتم إغلاق تلك الصخرة المفتوحة كالكهف عند حمام (كليوباترا) في أسرع وقت ممكن، بغض النظر عن أنها أحد أهم مسارح الجرائم في تلك القضية وكانت بداية كل شيء، فهي أيضا صارت الآن وكرا للمخدرات والدعارة.

- سيحدث بكل تأكيد.. إن قضية القتل الأولى كانت مسجلة بمباحث (الإسكندرية) حيث تم فتح التابوت هناك وليس هنا.. ولم يرسل أي أحد من أمن (الإسكندرية) إشارة لنا بذلك والقضية لم يتم فيها أي تحقيق

بـ(مطـروح) ولا حتـى أُرسـل إلينـا طلـب معاينـة لجـوف الصخـرة.. كـما أنهـا بالنسـبة لنـا مجـرد صخـرة طبيعيـة مكسـورة بداخـل البحـر لم ترسـل وزارة الآثـار أي بيـان بأهميتها وضرورة غلقها ولكـن بعـد ماعلمتـه منـك أعـرف أنـه كان خطـأً جسـيمًا غـير مقصـود، ونـادر الحـدوث.. سـيتم تداركـه حـالًا، فتلـك الصخـرة مهمـة جنائيـا وتاريخيـا..

فأكمل (إياد):

- ثـاني طلـب لي يتعلـق بالتحقيـق في جريمـة القتـل الأولى وقضيـة الجثـة المجهولـة.. الجثـة وجـدت منـذ سـتة أشـهر هنـا بـ(مطـروح) وتقريـر الطـب الشرعـي يؤكـد أن توقيـت الوفـاة كان قبـل شـهر مـضى مـن اكتشـاف الجريمـة.. أي أن الجريمـة تمـت منـذ سـبعة أشـهر سـابقة لشـخص محتمـل أنـه اختفـى في مدينـة (مـرسى مطـروح).

وضع يده على المكتب واقترب بوجهه وهو يقول باهتمام:

- أريـد أن يتـم حـصر بلاغـات التغيـب والفقـد في (مطـروح) في الفـترة بـين ثمـان لسـبع شـهور مضـت لشـباب بالغـين بـين العشريـن والثلاثـين مـن العمـر.

لاحـظ (إيـاد) بطـرف بـصره أن (أمـيرة) مشـغولة في تلـك الأثنـاء بهاتفهـا وتُحـرك أصابعهـا بعصبيـة وسرعـة عـلى الشاشـة، ومـن الواضـح أن هنـاك مـن يرسـل إليهـا رسـائل نصيـة يشـوبها التوتـر والضجـر والغضـب.

قال مدير الأمن بود:

- سـأكلف مـن يحـصر لـك بلاغـات التغيـب المطابقـة في أقـرب وقت، وسـيبدأ العمـل عـلى حصرهـم فـورًا، ومـن هـذه اللحظـة.. فنحـن هنـا في (مطـروح) مجتمـع هـادىء مسـالم قليـل الجرائـم، وبـإذن اللـه سـتجد مـا تبحـث عنـه سريعـا.. فقـط أتمنـى أن لا تكـون الضحيـة شـخصًا لم يُبلَـغ أحـدًا بغيابـه أو تـم اقتيـاده مـن خـارج (مـرسى مطـروح) حتـى لا تتسـع دائـرة البحـث..

تنهد مدير الأمن وأردف:

- اترك أمر حصر البلاغات لي ولرجالي وأما أنتم فعليكم الاغتسال من ماء البحر وأملاحه في الفندق الخاص بالشرطة والقريب هنا على الكورنيش .. استرِح أنت ودكتورة (أميرة) حتى الانتهاء من جمع البلاغات المطلوبة.. فقد علمت أنك جئت من (القاهرة) إلى (الإسكندرية) في الصباح ومنها إلى (مطروح) وبالتأكيد أنك منهك الآن وسيكون معك الرائد (حازم) من هذه اللحظة وحتى الانتهاء من تحقيقك ..أنتما ضيفانا.

رفع سماعة هاتفه ليحدث الرائد (حازم) الذي أتى مسرعًا ومرحبًا، ورافقهما حتى الفندق بعد أن اشتريا في الطريق ملابس جديدة أخرى ليستبدلانها بتلك المبتلة المالحة!

كان (إياد) - بحق - منهكًا.. فقد خرج من بيته في (القاهرة) منذ الساعة الرابعة والنصف فجرا وحتى الآن ولم يسترح لحظة واحدة لا جسديا ولا ذهنيا.. ولكن يغفر تعبه هذا بأنه قد حقق إنجازًا كبيرًا خلال أول ساعات من استلامه القضية فقد كان يشعر أنه وُفِّق في التوصل إلى طرف خيط البداية بشكل صحيح.. إنها هنا مطروح

تخطت عقارب الساعة العاشرة مساءا الآن..

دخل (إياد) إلى دورة مياه الغرفة الفاخرة ذات الإضاءة الضعيفة الدافئة المريحة واغتسل بماءٍ ساخن من أملاح ماء البحر التي كانت قد بدأت تلسع جلده وارتدى الملابس القطنية الجديدة التي اشتراها من أحد محال شارع (الإسكندرية) التجاري بـ(مطروح) وخرج ليلقي بجسده داخل ذلك المضجع الوثير الأبيض ليغرق بداخله وهو يُدثِّر جسده بالغطاء الدافىء، فشعر فورا بتلك الشكائر الثقيلة التى عُلقت بجفونه لتسحبها إلى أسفل ويسقط في النوم العميق..

ليجد نفسه يقف بين توابيتٍ وتماثيلٍ رومانية في معبد روماني قديم.. يتلفت بينهم وهي تنظر إليه بعيون حجرية متحركة ويقترب منه هودج ضخم تعلوه ملكةٌ رومانية جميلة تتحرك في حاشية من التماثيل التي تمتد أياديها الحجرية أمامها وما إن مروا أمامه حتى التفّت أيديها حول جسده تعتصر ضلوعه، وبدأ يسمع صوت تهشم عظامه فرأى الملكة الرومانية تتحول إلى هيئة (أميرة) وهي تصرخ وتبكي..

استيقظ على صوت امرأة غاضبة قريب منه.. حوار عصبي غاضب مصحوب ببكاء مكتوم انتزعه من كابوسه..

الصوت يأتي من الشرفة المطلة على كورنيش (مطروح)..

خرج إلى الشرفة وهو يسحب جسده من النوم ليجد الصوت يأتي من شرفة الغرفة المجاورة له مباشرة..

إنها (أميرة)!

كانت هي من تسكن الغرفة المجاورة وتقف بالشرفة مبتلة الشعر وقد أخذت حمامها واغتسلت.. تتشاجر مع أحدهم هاتفيا، ومن الواضح أن الأمر أخرجها عن هدوئها ورقتها التى شاهدهما منذ الصباح وجعلها على حافة الانهيار.

لم يميز الكلام ولم يسمح لعقله باستيعاب كلمات حوارها، وشعر بالخجل من نفسه أن يتجسس على أمورها الشخصية، فدخل إلى غرفته مرة أخرى وأغلق الشرفة جيدا وجذب الستائر الثقيلة وعاد إلى مضجعه وأغمض عينيه سريعًا مرة أخرى وهو يضع الوسادة فوق رأسه ويقسم ألا ينتزعه أحدٌ ثانيةً من حضن السبات العميق العزيز الذي يتمناه عقله الآن..

لم تمر دقائق حتى استيقظ على صوت إشعار رسالة في تطبيق (واتساب).. سحب الهاتف غاضبا ليضعه على وضع الطيران ولكنه لاحظ على الشاشة

الخارجيـة أن الرسـالة مـن (أمـيرة)، ففتـح الرسـالة وقرأها:

- مساء الخير مقدم (إياد)..

اعذرني..

سـأضطر إلى العـودة إلى (الإسـكندرية) الآن لظـروف طارئـة وسـاعود بـإذن اللـه في تمـام الثامنـة صباحـا..

كانت لاتزال تكتب وترسل، فاتصل بها فورا:

- مساء النور.. خيرا يادكتورة؟ هل حدث مكروه؟

أتاه صوتها مبحوحًا باكيًا منهارًا:

- خـيرا بـإذن اللـه.. لا تقلـق.. سـأرحل إلى (الإسـكندرية)، وسأسـتقل أي مواصـلات أو سـيارة أجـرة.. وسـأحرص أن أقابـل حضرتـك بالمديريـة في (مطروح) في تمـام الثامنـة صباحـا.

فرك عينيه وقال وهو يمسك رأسه ويتحدث كالمترنح من سكرات النوم:

- سـيارتك ليسـت معـك لقـد جئـتِ بسـيارتي يادكتـورة.. أنـا مـن أحضرتـك مـن (الإسـكندرية).. وأنـتِ في مسـئوليتي أمـام اللـه وأمـام زوجـك حتـى أعـود بـكِ.. فـلا يمكـن أن أوافـق أن تعـودي بمفـردك إلى (الإسـكندرية) مـع سـائق غريـب والسـاعة قـد تخطـت العـاشرة والنصـف مسـاءً الآن مـما يعنـي أنـكِ سـتصلين إلى (الإسـكندرية) بعـد منتصـف الليـل، كـما أنـكِ مـن الصبـاح الباكـر مرهقـة مثـلي.. العقـل والأمـان يطلـب أن تبيتـي هنـا بفنـدق الشرطـة وبحمايـة الشرطـة وفي الصبـاح سـأعود أنـا بـك إلى (الإسـكندرية) أو حتـى سـأكلف سـيارة تابعـة للمديريـة بتوصيلـك برفقـة عسـكري في وضـح النهـار حتـى ولـو لم ينتهـي عملنـا هنـا بـ(مطـروح).. عـودي أنـتِ واتـركي الأمـر لي.

ردت بصوت منكسر:

- أعـرف أن مـا تقولـه هـو الصـواب ومـا سـأفعله هـو الجنـون والغبـاء ياسيادة المقـدم.. ولكـن الأمـر أكـبر منـي ومـن تقديـري.. ليـس بيـدي القـرار.. يجـب أن أعـود الآن إلى (الإسـكندرية).. أنـا آسـفة لـك ولكـن أعـدك أن أكمـل البحـث في القضيـة معـك.

قالتهـا وصوتهـا يقـاوم بـكاءً عميقًـا بـكاء قهـرٍ وضعـفٍ لا بـكاء حـزن، فقـال (إيـاد) بشـفقة:

- هـل لي أن أعـرف مـاذا حـدث؟ أقسـم باللـه ليـس تطفـلًا ولكنـي حقًـا قلـق بشـأنك.

صمتـت وكان صمتهـا يقـول أن هنـاك الكثير ولكـن لا تحـب الحديـث عنـه، فاحـترم صمتهـا وقـال بحـزم:

- دقائـق وقابلينـي في بهـو الفنـدق، سـأعود بـك حـالا إلى (الإسـكندرية) بسـيارتي.. لـن أتـركك ترحلـين في تلـك السـاعة المتأخـرة لتسـافري عـبر مواصـلات عـلى طـرق مظلمـة مـع رجـال غريبـة في ذلـك الوقـت..

أغلـق الاتصـال دون أن ينتظـر إجابتهـا وأكمـل ارتـداء ملابسـه ونـزل مسرعـا بعـد أن دفـن رأسـه تحـت صنبـور الميـاه راجيًـا عقلـه أن يسـتيقظ ليجدهـا تجلـس باهتـة حزينـة مكسـورة العـين في انتظـاره كـما لـو كانـت تبدلـت عـن تلـك التـي قابلهـا ورافقهـا طـوال اليـوم..

كانت شاحبة إلى أقصى حد.. إلى حد يرعب!

طـوال الطريـق إلى (الإسـكندرية) كانـت (أمـيرة) تنظـر مـن نافـذة السـيارة شـاردة في الظـلام الـذي تشـقه السـيارة السريعـة.. لم يخفـى عـلى (إيـاد) ملاحظـة تلـك الدمعـة الهاربـة بـين اللحظـة والأخـرى مـن عينيهـا وصـوت تنفسـها المضطـرب اللاهـث الـذي يـدل عـلى كتمانهـا البـكاء بصعوبـة.. لم تنطـق بـأي كلمـة وهـو احـترم صمتهـا ولم يتحـدث طـوال الطريـق حتـى رن هاتفهـا

فجاوبت بصوت منهك:

- دقائق وسأصل إلى (الإسكندرية)..

أغلقت الهاتف دون سلام وعادت لصمتها..

وقف (إياد) تحت البناية التي قالت له (أميرة) بأنها تسكن بها، وهبطت من السيارة وهي تشكره كثيرا وتعتذر له عن تعبه..

لم يفت على(إياد) أن يرفع بصره للشرفات ليلاحظ شرفةً بالدور الأول مضاءة يقف فيها شابٌ متوسط القامة ذو شعر أسود ولحية قصيرة مستندا بذراعيه إلى السور وينظر لها بتربص الأسد إلى فريسته؛ ففهم على الفور أنه زوجها المهندس (خالد).

** ** ** ** **

دخلت (أميرة) إلى المنزل صامتة متعبة منهكة نفسيا وجسديا وذهنيا؛ فاقترب (خالد) بعد أن فتح الباب:

- أهلا ياهانم.. أهلايامحترمة.

صمتت (أميرة) ودخلت إلى الردهة دون أن ترد وهي تضغط أسنانها وكأنها تتوسل لفمها ألا ينفك عما بداخلها.. دخل (خالد) خلفها وهو يصرخ بغضب، وجذبها من كتفها ليجعلها تستدير رغما عنها:

- أنت لم تعودي بسيارة أجرة.. من صاحب تلك السيارة الفارهة الذي أتى بكِ من (مطروح)؟ أنتِ امرأة غير محترمة لم تجدي من يربيكِ أيتها الحيوانة..

نظرت له وغضب العالم يحتشد عند مقلتيها ووضعت حقيبتها جانبا وقلبها ينتفض لما واجهته من إهانة لتوها، فصرخ بها (خالد):

- ردي علي وإلا عليَ الطلاق..

التفتت إليه وقد وصلت لمرحلة من الانهيار التي كانت تتحاشاها بصمتها وقالت بصراخ:

- وإلا ماذا يا(خالد)؟ على ماذا القسم بالطلاق هذه المرة؟

أخذت نفسا عميقا وأكملت:

- إنه المقدم (إياد).. الذي لم يعرفني إلا اليوم صباحًا كما تعلم، وتعلم أيضا أني ذهبت برفقته وحسب نصيحتك واقتراحك أنت بألا أسافر بسيارتي وأسافر معه أفضل وأأمن.. وبرغم ذلك لم يقبل أن أعود في نصف الليل برفقة سائق أجرة غريب في طريق خطر ومظلم وبدون سيارتي وأنا منهكة ومتعبة.. رفض ورأى أن ما سيحدث لي بسببك سيعرضني لخطر.. ذلك الرجل الغريب الذي لا يعرفني شعر بمسئولية تجاه أمني فأعادني لبيتي برغم إرهاقه والمجهود الذي بذله وهو بالكاد يعرفني منذ ساعات.. قطعت مأمورية عمل تابعة للداخلية يتابعها وزير الداخلية شخصيا ليس بها أي مجال للرفاهية لكي ترى وجهي وتثبت لنفسك رجولتك وأنك تستطيع التحكم فيّ كالدمية التي تملكها لأعود إلى (مطروح) ثانية بعد ساعات قليلة لا تكفي حتى أن أنام لأكمل عملي دون أي مبرر منطقي لذلك السفر إلا إرضاء لغرورك فقط، وبعد أن تتأكد أنك استنفذت مالديَ من طاقة جسدية ونفسية.. تعلم أن مدير الأمن شخصيا كلفني بالاشتراك في تلك المأمورية السرية بخطاب رسمي موجه إلى عميد كلية الآداب بانتدابي للعمل بالداخلية بشكل استثنائي وبمقابل مادي كبير نحن بحاجة له.. وتعلم أيضا أني الوحيدة التي لديها الكثير من المعلومات عن الأمر منذ البداية، والقدر وضعني في قلب الأحداث رغما عني ولن يجدوا لي بديلًا بعد أن أصبح الأمر خطيرًا.. وتعرف أن واجبي الوطني قبل الإنساني يحتم علي ألا أتخلى عن تلك القضية، وقد كنت تشجعني وتسعى معي لإيصال صوتي لمدير الأمن وتشجعني على عدم الصمت أو الخوف وقت

تهديـد الضابـط السـابق لي.

قال (خالد) بعنف:

- وهـل معنـى ذلـك أن أرضى بـأن تبيـت زوجتـي المحترمـة بفنـدق بعيـدًا عـن بيتهـا؟ فليحـترق العمـل عـلى القضيـة عـلى كل شيء..

هزت (أميرة) رأسها موافقة وقالت:

- معـك حـق.. أنـت كرجـل محـترم ترفـض أن تبيـت زوجتـك المحترمـة في أمان في فنـدق الشرطـة تحـت حمايـة الأمـن حتـى الصبـاح.. وكرجـل محـترم أيضـا لا يـضرك أن تسـافر زوجتـك المحترمـة في طريـق سـفر مظلـم في منتصـف الليـل وهـي متعبـة دون سـيارتها برفقـة أي رجـل غريـب لا تعلـم نوايـاه وأخلاقـه.. وكرجـل محـترم أيضـا لا تملـك أن تـأتي لتأخـذني بنفسـك مـن (مطـروح) لأنـك أقسـمت بالطـلاق سـابقا ألا نخـرج سـويًا أو أركـب بجـوارك سـيارتك وتنفـذ هـذا فعليـا منـذ أكـثر مـن عـام..

أنـت تعـرف كل تحـركاتي وتعـرف أخلاقـي جيـدا وتعـرف كيـف تمـت تربيتـي وفي أي بيـت نشـأت.. تعـرف مـن الصبـاح أني في الطريـق إلى (مطـروح) لظـروف التحقيـق، وأخبرتـك أني ربمـا سـأبيت بهـا إذا تطلـب الأمـر وكنـت مرحبًـا بذلـك جـدًا في الصبـاح داعيًـا لي بالتوفيـق وسـعيدًا أني أثبـتُّ للجميـع أني كنـت عـلى حـق..

- ثم غيرت رأيي.. أنا حر!

نظرت بتحدٍ وغضب وأكملت:

- المقـدم (إيـاد) لا ذنـب لـه في تربصـك لي بـالأذى ليسـافر هـو بـين (الإسـكندرية) و(مطـروح) تنفيـذًا لقسـمك الغـير مـبرر بالطـلاق إن لم أبِـتْ بالمنـزل بـ(الإسـكندرية)، ثـم أعـود إلى (مطـروح) صباحًـا مـرة أخـرى دون أن نتناقـش بالعقـل أو المنطـق الـذي فقدنـاه منـذ زمـن.. إنـه القَسَـمُ القبيـح الـذي

أصبح يُسيِر حياتنا بأشكالٍ غير منطقية ويشوهها حتى جعلها كالمسخ الدميم عديم الملامح.. مجموعة قرارات غبية تأخذها وحدك دون نقاش أو حتى تقدير للظروف تذيلها بقسم الطلاق المستفز الغبي لتبتر أطراف علاقتنا شيئًا فشيئًا حتى جعلتها علاقة عاجزة مشوهة قبيحة توشك على الموت.. أصبحت حياتنا حياة تصيبني بالحزن والبكاء والقهر كلما انفردت بنفسي وتذكرت حالي.. أصبحت أنا فقط مجبرة على تنفيذ أي أمر مجنون يدور بذهنك دون نقاش لمجرد أن لسانك الغاضب المتهور سبق عقلك بالقسم وذيل به كلامك الغير موزون والذي صار يجعل حياتنا جحيمًا محققًا.. أصبحتُ أَذْبَلُ حين أعودُ إلى المنزل وأكون إلى جوارك.. وأستعيد سعادتي وحيويتي وإشراقي لحظة ابتعادي عنك..

هل تدري إلى أي حال وصلت يا(خالد)؟

وصلت لأن أشعر أني أبغض نفسي حين أكون معك وأحبها بعيدا عنك..

كان يسمعها بصمتٍ وعلى وجهه ابتسامة ثابتة صفراء لم تفهم معناها؛ فأكملت وهي تمسح دمعة ترقرقت في عينيها:

- سبق وأقسمت بالطلاق أننا لن نخرج مره أخرى سويا فأصبح مطلوبًا مني أن أكمل حياتي مع زوجي دون لقاء خارج المنزل ودون نزهة تجمعنا.. دون أن نذهب سويا إلى أي مناسبة عائلية.. دون عطلة على شاطىء بحر.. دون أن يحتضن كفي كفك وتتشابك أصابعنا ونحن نمشي متجاورين يوما، دون حتي أن نشتري لوازم البيت وأغراضه سويا.. لو شعرت بالتعب وأنت بجواري علي أن أبحث عن رجل غريب يذهب بي إلى الطبيب، وربما يحمل جسدي من لا أحلُّ له حتى لا يقع قسمك وتخرج معي خارج البيت وأصير طالقًا وأنت تعلم أن أهلي بـ(القاهرة) وليس لي هنا سوى الله وبعض الأصدقاء..

هل تعي أني امرأة متزوجة على سنة الله ورسوله ومحرومة أن أخرج

يوما بصحبة زوجي؟ أشتاق لأن أجلس مرة واحدة إلى جوار رجل أحبه يقود سيارته وأنا أجلس بجانبه أمسك يده ونستمع إلى أغنيتنا المفضلة وأتعلق بذراعه.. أتمنى أن لا أقف في ورشة صيانة سيارات بمفردي وأنا لا أفهم معظم ما يقولون وأهز رأسي حتى لا يفطنون أني أجهل تلك الأمور.. أحلم بأن يكون لي زوج يصونني ويحمل من عاتقي الحمول لا يزيدها.

ضحك ضحكة مصطنعة ثم قطعها فجأة وقال بعنف:

- أنتِ من اخترتِ أن تكوني رجلًا.. ألا ترين كيف أصبحتِ؟ أنا أيضا أراكِ رجلًا!

قالها وهو ينظر لها مبتسما بشماتة وكأنه يتلذذ بعصبيتها وقد حقق مراده، ثم ظل صامتًا مبتسمًا ببرود وكأنه يجني نجاحًا ما.. فأردفت:

- لم أختر ذلك.. أنت أجبرتني أن أحمل حمولة الرجال وأنت موجود في حياتي.. إن كنت أنا رجلا فتلك ليست تهمة أنفيها بل شهادة أعتز بها وأؤكدها.. لم تمسني كزوجة بالشهور بسبب قسم آخر بالطلاق أقسمته بألا تمسني وصار لكل منا غرفة نوم منفصلة.. قسم محرم أقسمته وأنت تبحث عن مشكلة مفتعلة وحتى تلك اللحظه لا أدرك ماذا كانت.. لربما كانت مباراة كرة قدم خسرها الزمالك وكأني كنت أنا المدرب أو حارس المرمى، أو ربما لأني لم أدخل الغرفة في اللحظة التي قلت لي فيها ادخلي وذهبت لأنجز شيئًا من أمور البيت قبل نومي. لا أستطيع أن أرسل لك رسالةً عبر (الواتساب) لقسمك بالطلاق ألا أراسلك عليه؛ والسبب أنك - وكما قلت – كنت تتشاجر مع صديقك وأنا اتصلت عليك أكثر من مرة في نفس الوقت بالصدفة فوجدت قَسَمًا مختلًا غبيًا بالطلاق تلاه حظر وسُباب وضرب!

نظر لها (خالد) بتحدي وهو يقول:

- ياااااه، متزوجة من مجنونٍ إذن.. مجنونٌ ولست رجلًا قادرًا على أن يحافظ عليك..

أكملي.. أكملي.

فقالت (أميرة) بتحدٍ:

- رأيك في نفسك يخصك.. أنا أسرد وقائع أعيشها فعليا وأشر إلى حرف قلته لم يحدث.. أنت تمتص طاقتي يا(خالد).. وها أنت اليوم تعرضني للخطر والتعب الغير مبرر وأنا في محافظة أخرى لظروف عمل وترمي بي للخطر والإرهاق بقسم طلاق مجنون ولا تستطيع حتى أن تاتي تأخذني من مكاني وإلا سأكون طالقًا منك بسبب قسم طلاقٍ ثانٍ لكي أنام في غرفتي وحيدة لمدة ساعتين على الأكثر بعيدا عنك بسبب قسم طلاق ثالث! تبًا لك ولقسمك وللطلاق ولزواجنا ولليوم الذي أحببتك ورأيتك به.

فتح هاتفه ونظر إليه صامتا وأخذ يحرك الشاشة بإصبعه وهو مبتسمٌ كأنه لا يسمع كل ماقالت أو كأنها فراغ لا قيمة له.. فاشتعلت غضبًا أكثر في تلك اللحظة لعدم احترامه لغضبها وعتابها؛ لتقول بتعجب وانفعال وهي تشعر أن قلبها ينتفض انتفاضات قوية ثائرة:

- لماذا أتيت؟! لماذا لم أبِت بغرفة الفندق بـ(مطروح) وأسترح وأنام ويقع الطلاق الذي سيزيح من عاتقي حملًا نفسيًا كبيرًا أعانيه بوجودك في حياتي؟ أنا حقًا مخطئة.. أنت أصبحت مصدر مشاكلي وتعبي وعصبيتي وانهياري الوحيد..

جذبت الهاتف من يده بعصبية وألقت به جواره على الأريكة وأكملت:

- هل تدرك أن عملي أصبح يزيح عن عاتقي خوفي من تربصك لخلق المشاكل معي دون سبب واضح وصريح؟

لقد أصبح قلبي يؤلمني إلى جوارك.. كأن العالم بأكمله يلهو بدهسه..

ماذا تقدم لي يا(خالد)؟

ماذا تقدم لي؟

أخبرني..

قال وهو يبحث عن رد:

- الحـب يـا (أمـيرة).. أنـا زوجـك (خالـد) حبيبـك.. الـذي تحديـت أهلـك وحاربتـي لتتمسـكي بـه الـذي بـدأت حياتـك معـه مـن الصفـر.

فردت بسرعة:

- الحب..أوشـك عـلى لفـظ أنفاسـه، ولم يبـق بيننـا إلا اسـتحيائي مـن أن أواجـه أهـلي وأصدقـائي وكل مـن قـال لي لا تتزوجيـه..

الأمان.. فقدته إلى جوارك..

الاحتواء.. لم يعد موجودًا..

الصداقة.. اختفت مع المشاكل!

علاقة زوجية.. انتهت بقسم بالطلاق مجنون منك..

أبناء.. لم ننجب ولن ننجب بالطبع بعد قسمك!

بيـت وعائلـة واسـتقرار.. لا نملـك، فهـا نحـن نقيـم بشـقة إيجـار جديـد وأنـت تفقـد أموالـك في رفاهيـات وكماليـات غـير موزونـة ودون مناقشـتي ودون أي تفكـير في بنـاء بيـت ومسـتقبل لنـا..

أخـبرني سـببًا واحـدًا يجعلنـي أتحملـك وأتحمـل عنفـك وضربـك وسـخافاتك وإهانتـك لي وتقليلـك مـن شـأني الدائـم وتربصـك لي بالشـجار وكأنـك تقصـد أن تدمـرني..

لقـد تزوجتـك فقـط لأني أحببتـك وأنـت تحبنـي، وإذا اختفـي ذلـك الحـب

فأنـا لسـت مجـبرة عـلى الإطـلاق عـلى اسـتكمال تلـك الحيـاة العقيمـة التعيسـة إلى جـوارك ولا مجـبرة عـلى تحمـل إهاناتـك وأخطـاؤك..

تنهدت بألم وأكملت:

- تعتقـد أن صمتـي وتحمـلي لإهاناتـك وضربـك لي طيلـة الفـترة الماضيـة ضعـف فتماديـت يومًـا بعـد يـوم حتـى انفجـرت واسـتنفذت كل فرصـك لتغيـير نفسـك وإنقـاذ حياتنـا..

ابتسـمت برغـم الدمـوع التـي تغـرق وجههـا وهـو يعيـد تنـاول هاتفـه ويبتسـم فـور فتحـه لمحادثـة مـا ويبـدأ في كتابـة الـرد لأحدهـم؛ فقالـت بكبريـاء وهـي تـزم شـفتيها المرتعشـتين:

- اغلـق هاتفـك اللعـين واحترمنـي واسـمعني يا(خالـد).. أنـا أعـرف أني دكتورة (أمـيرة) الناجحـة الجميلـة الفاتنـة القويـة العاليـة شـأنا وقـدرا وعلـما، والتـي لا تسـتحق أن يحـدث لهـا كل ذلـك القهـر والتـي يحترمهـا ويحبهـا الجميـع إلا أنـت.. يقدرهـا الجميـع وتذلهـا أنـت.. إنـك تعمـل ليـل نهـار عـلى هدمـي وهـدم ثقتـي في نفـسي..

يسعدني أن أخبرك أنك فشلت لأني مازلت أعرف قدر نفسي جيدا..

واسمح لي أن أخبرك وبرغم مجهودك أنك الفاشل الوحيد..

فشلت أن تكون زوجًا لي..

فشلت أن تكون حبيبًا لي..

فشلت أن تكون صديقًا لي..

فشلت أن تكون مجرد شريك بيت..

أنت فاشل يا(خالد)..

استدارت لتدخل غرفتها فتفاجأت به ينزل على وجهها بصفعات متعددة جعلت عينيها تظلمان لحظات ثم بدأ يجذبها من شعرها ليقذف برأسها في الحائط كأنه يفجرها وهو يركلها بقدمه في بطنها ويعيد ضربها بلكمات عنيفة وهي تصرخ حتى سقطت أرضا؛ فأكمل ضربًا فيها بقدمه ركلا..

انفجرت صراخًا بعد كم الضرب الذي تعرضت له بعنف جعل فمها وأنفها ينزفان دمًا وهي تشعر أن قلبها ينتفض انتفاضات قوية..

وقف يرمقها بصمت وقد اتسعت عيناه.. وهي تصرخ في الأرض ولا تقوى على الوقوف على قدميها مرة أخري؛ فهي دومًا كانت صامتة ومستسلمة حتي وإن وصل الأمر بينهما لأن يضربها!

إن انهارت كان انهيارها طفوليًا، ومهما حدث بينهما كانت تسامحه بمجرد أن يعتذر أو يشتري وردًا ويقبل رأسها ويبكي ندما علي ما فعله، وتعود لتبتسم في سلام وبقلب متسامح وأكبر رد فعل منها هو أن تغلق غرفتها وتبكي حتى تضعف وتتورم عيناها انتظارًا أن يقرر أن يعتذر لها ويصالحها.. فهو تعود أن يضربها على كل حال! ضربًا مبرحًا لا يتركها إلا بعد ان يرى الدماء وهي تسيل منها أو قد أصابتها عاهة مستديمة..

قال (خالد) بعنف وهو يركلها مرة أخرى بغل وكراهية:

- أنا زوجك وعندي ضغوط ومشاكل في حياتي وعليك أن تتحملي.. أنا أكرهك ولا أطيقك، وإن نطقتي كلمة أكثر سأضربك أكثر.. بل سأقتلك!

أنتِ لا تعرفين قيمتي.. أنتِ تبحثين عن النكد والمشاكل وقد تعبت من حياتي معك..

وكرهتك..

سأطلقك، وسأتزوج غيرك على كل حال وفي أقرب وقت..

لقد مللت من تلك الحياة..

أنا التعيس ليس أنتِ..

انتهت حياتنا..

سأطلقك..

أنا تعيس معك.. تعيس!

كانت عيناها تطلقان شرر الغضب؛ فوقفت تجمع عظامها المليئة بالكدمات وتقدمت نحوه.. كانت على وشك قتله بعد ضربه لها، ومن لطف الله به عدم وجود آلات حادة في طريقها إليه تصلح للقتل، وقالت وهي تجز على أسنانها وتصرخ وقد تملكها غضبٌ أكبر جعلها أقرب لمشاهد تحول فتاة رقيقة إلى وحش في الأفلام، وصرخت بصوت لا يتناسب مع مظهرها:

- ستطلقني إذن.. بالسلامة.. كم أنا سعيدة لذلك الخبر المفرح..

أقسم لك أنني كالسجين الذي سمع خبر إطلاق سراحه..

ألن تضربني بعد الآن؟ .. قلبي سيقف من السعادة..

ألن تذلني وتنهرني حين آتي لأقبل وجنتك ببراءة لتصفني أنني امرأة منحرفة؟

ألن تصدني بصراخ وسباب وطرد حين أتودد إليك راجية سماع كلمة واحدة طيبة منك؟

أين قسمك الجديد الذي ستذلني به وكأني أنفذ حكمًا في لعبة الشايب وإلا ستطلقني!

ألن تذلني قبلها بأمر من أوامرك؟

هل ستطلقني بسهولة دون العبث بي وبمشاعري وحياتي؟

هكذا ببساطة!!

لا أصدق طيبة قلبك!

ستتزوج أخرى لتضربها إذن لأنك لاتملك إلا ضرب النساء أيها الحيوان.

قالت وهي تصرخ أكثر حتي بح صوتها وبدأ يختفي وقد نفرت عروقها برقبتها وهي تشير إليه بإصبعها بتحدٍ:

- أقسم لك أنك مجنون يا(خالد) وتحتاج إلى علاج نفسي.. قدمت لك كل شيء وأنت من أنهيت علاقتنا بأفعالك وبقسم خلف قسم ومشاكل مفتعلة حتى صارت حياتنا أطلالًا بشعة مشوهة.. عليَّ أن أتحمل وأصبر وأنفذ أوامرك المختلة وأنا أتألم في صمت، وفي النهاية عندما أنفجر أكون أنا من تختلق المشاكل والنكد وأنت التعيس وأستحق الضرب والعنف؟ لا تخرج قبل أن تقول سبحان الله يا أخي!

صرت أتحاشى المشاكل معك وأتجنبك بقدر الإمكان دون فائدة.. أعتذر عن أفعالٍ لم أفعلها راجية السلام والأمان منك.. صرت أخاف أن أتحدث إليك بأي أمر يخصني أو آخذ برأيك في مشكلة ما حتى لا تجد من بين كلماتي غايتك في كلمة تختلق بسببها مشكلة معي لتصدر حكما جديدا مخبولا يسبقه قسم غبي بالطلاق يحول حياتي إلى جحيم أكبر مما أعيشه معك، أو أتلقى إهانة غير مقبولة، أو أقضي شهورا في مشكلة أنت نفسك لا تدرك ماسببها الحقيقي ولا كيف بدأت.. أنت لا تعرف عني شيئًا إلا بالكاد، وأنا لا أعرف عنك أي شيء أيضا!

طلقني أرجوك ولا تتراجع، فإنها رغبتي أكثر منك!

ابتعدت عنه خطوات وهي تمسح الدماء السائلة من جانب فمها وصوتها يرتعش كاتما البكاء:

- هل تذكر يوم طلبت منك رأيك في نوع الكحل الجديد بعيني؟ أنا لم أكن أريد رأيك بالمناسبة.. بل أريدك أن تنظر إلى عيني ربما تقول لي أن عيناي جميلتان.. ربما تلاحظ رموشي الكثيفة حول عيني الواسعة العسلية فأسمع كلمة تطرب قلبي لا أريد سواها.. وكنت سأرضى بكلمة منك كانت ستكفيني لأشحن طاقتي وأتحملك أكثر..

أحيانا أقول لك انظر إلى شعري وأنا أتحدث عن أي منتج مجهول استخدمته حديثًا.. أنتظر منك أن تلاحظ أن شعري جميل وناعم.. أن تقول أي كلمة تطيب بها خاطري المكسور دوما معك.. أتمنى أن تلمس خصري بيدك وتحيطه بذراعيك دقيقة وتقبل وجنتي ثم تتركني وترحل وكنت سأرضى.. سأسعد بذلك.. أحيانا كنت أقترب منك وأهمس لك: (أحبك) وأقبّلك من وجنتك أو أمس ذقنك النابتة التي أحبها لأجدك تصرخ بي دون سبب: ابتعدي عني لا أحب الكلام الرومانسي! اذهبي لتنامي عندك عمل بالجامعة باكرًا، أو تصفني بعدم الأدب وقلة التربية والاحترام!.. متناسيا أنك زوجي وأني زوجتك!

ألا تدرك أنه ليس لي أن أعيش تلك المشاعر مع سواك لأنك زوجي؟

ماكل هذا الجفاء والقسوة؟

من أين أتيت بها!

عشت مشتاقة لكلمة حلوة منك أنت دون غيرك..

مشتاقة لحضن طويل مليء بالحب ليس أكثر..

مشتاقة لقبلة من التي أراها في الأفلام ولم أجربها يوما منذ أن تزوجتك برغم كوني محسوبة على المتزوجات زوجة!

مشتاقة لسهرة أخرجها برفقتك يدي في يدك..

مشتاقة للحياة الطبيعية!

مشتاقة للأمان الذي حلمت به معك ولم أجد في انتظاري إلا الخوف..

مشتاقة لحياة رومانسية زوجية مع زوجي الذي اخترته من دون الرجال لأني اعتقدت أنه يحبني ولم أجد معه إلا الجفاء والرعب والصراخ والمشاكل والضرب والإهانة..

لقد رفضت أن أتزوج زواجًا تقليديًا وأحببتك وأحببتني وتزوجنا بعد قصة حب قوية استمرت لسنوات، ولم أكن أعرف أنه لا يجوز أن تحبني بعد ذلك فقط لأني صرت زوجتك وملكك.. فكلام الحب الرومانسي والمعاملة الطيبة ليست من حقي من بعد أن امتلكت عقد زواج يحمل اسمي وكأنك تعاقبني لأني صرت زوجتك أعيش معك محرومة من الحب والطمأنينة والمودة والرحمة.. بل محرومة من الكلمه الطيبة..

إن لم أجد كل ذلك مع زوجي فأنا لن أبحث عنه مع أي رجل آخر فلست أنا تلك المرأة.

قال (خالد) بتهكم:

- سأطلقك وننهي الأمر المزعج هذا إذن ولاداعي للثرثرة ولكن هناك أمور يجب أن نناقشها أولا.. فتلك الأمور لا تنتهي بسهولة.. تنازلي عن حقوقك الشرعية وسيحدث الأمر دون محاكم..

تنفست بسرعة وقد زادت ضربات قلبها بشكل خطر وهي تقول له مبتسمة بغضب:

- سأبريك من كافة حقوقي.. سأنفذ أي طلب..

صرت أكرهك يا(خالد)..

أنت لم تعد الرجل الذي تزوجته منذ أربعة أعوام..

أنت حمل ثقيل على قلبي اليوم..

حمل كسر ظهري..

طلقني!

وغــادرت إلى غرفتهــا وهــي تنــوي جــادة إنهــاء تلــك الزيجــة الفاشــلة، وأغلقــت البــاب بالمفتــاح خلفهــا وهــي تبــكي بــكاءً يــأتي مــن بــين ثنايــا خلايــا قلبهــا النــازف وهــي تجمــع أوراقهــا المهمــة وأهــم ماتملــك .

***

الفصل الرابع

استيقظ (إياد) بغرفته في فندق (الإسكندرية) في السابعة والنصف صباحا وأخذ إفطاره وقهوته ثم ركب سيارته دون أن يحدث (أميرة) هاتفيا، واتجه إلى (مطروح) مباشرة بعد ما استشعره من توتر أصاب علاقتها بزوجها.. شعر أنه ليس من اللائق بعد حالتها النفسية السيئة منذ ساعات أن يتصل بها لترافقه مرة أخرى إلى (مطروح) لاستكمال التحقيقات.. وبرغم من أنه يعرف أن معظم خيوط القضية بيدها هي وأن وجودها مهم جدا ربما أهم من وجوده هو شخصيا وأن الأمر خطير أخطر من أن تعطله خلافات زوجية؛ إلا أنه ليس بيده إلا أن يكمل القضية وحده الآن!

تنهد وهو يقول لنفسه ضاحكا:

- هذه هي نتيجة العمل مع النساء في الشرطة! تبًا لمشاكل البيت والأولاد.. يااااه نسيت الصحون بالحوض والغسيل على الأحبال! لم أكوي قميص زوجي، خذ هذا المسدس حتى أعود! اللحم نسيته بالمطبخ يجب أن أدخله الثلاجة.. انتظر لآخذ إذن زوجي قبل أن أهجم علي الأشرار..

لا.. لا.. النساء لا يصلحن للعمل بالداخلية خصوصا مع قضية خطيرة نسابق فيها الدقائق والساعات لفك ألغازها وإيقاف جرائم مجهولة ربما تؤدي إلى كارثة خارج نطاق العقل.. ألم يكن هناك رجل لديه مثل علمها التاريخي أستعين به! سأتصل بمدير مديرية أمن (الإسكندرية) ليرشح لي أي أستاذ تاريخ روماني بدلا منها كيلا أضيع وقتي في حل مشاكل النساء وتوترهم الهرموني هذا!

وسأقص عليه ماحدث بالأمس.. إنها تعطلني.. لن أكمل معها تلك القضية وإلا سأقضيها مناشف ورقية ودموع وسماع مشاكل عائلية!

توقف بسيارته جانبا على طريق العلمين ليطلب رقم مدير الأمن، ولكن الهاتف كان غير متاح فترك له رسالة بأنه يريده في أمر هام وقذف هاتفه المحمول على المقعد إلى جواره وأكمل طريقه متجها إلى (مطروح)..

وصل (إياد) إلى مبنى مديرية أمن (مطروح) والساعة تشير إلى العاشرة صباحا، فاتجه رأسا إلى مكتب الضابط (حازم)..

- صباح الخير أيها الرائد.. هل من نتائج للبحث عن بلاغات المفقودين التي طلبتها بالأمس؟

- صباح الخير أيها المقدم.. بالطبع انتهينا من الحصر المطلوب لجميع المفقودين والنتائج مع جميع ملفات محاضر التغيب المطلوبة أخذتها دكتورة (أميرة) منذ الثامنة صباحا وصعدت بها إلى مكتب رقم (٤٠٥) الذي أعده مدير الأمن لكما بالطابق الخامس.. وهي تراجعها بنفسها منذ وقت طويل..

صمت (إياد) لحظة وعقله يردد:

- (أميرة) من؟ ..دكتورة (أميرة) التي بـ(الإسكندرية) الآن تتشاجر مع زوجها؟

لم يرد بأي كلمة وصعد مسرعا يقتحم الغرفة ليجد بالفعل (أميرة) تجلس وأمامها كومة من الأوراق والملفات وعدة فنجانين من القهوة الفارغة وكوب من الشاي..

رفعت عينيها المرهقتين الحمراوين المتورمتين لتنظر له وابتسمت وقالت له بحماس ووجه مشرق إشراقة مصطنعة (يظهر متورمًا بعض الشيء عن الأمس من أثر الضرب وهناك كدمة أسفل عينها تخفيها بأحد مستحضرات التجميل وصوت مبحوح مكتوم يؤكد حدوث صراخ شديد أضر بأحبالها الصوتية):

- صباح الخير أيها المقدم، لم أرد إزعاجك صباحا وجئت بسيارتي وتركتك لتستريح وتنام مدة كافية لكي تعوض تعب وإرهاق الأمس الذي كان لي يد في زيادته.. يكفي إزعاجي لك بالأمس؛ فأنا مدينة لك بالشكر والاعتذار قبل أي شيء.

تنهدت وهي تكمل بابتسامة رقيقة وهو مازال صامتًا يستوعب كيفية وجودها بـ(مطروح) في الثامنة صباحا:

- تقريبا انتهيت من مراجعة كل بلاغات التغيب التي حصرها الرائد (حازم) بالأمس.

شعر (إياد) أنه غير مدرك حتى هذه اللحظة كيف تكون هذه التي تمتلىء بالطاقة للعمل مع بعض شوائب الحزن والذبول هي نفسها المنكسرة الحزينة الباكية المنهارة بالأمس والتي من المتوقع أنها لم تنم لحظة واحدة وأكملت ليلتها شجار مع زوجها.. إنها احتست كل تلك المنبهات لتواصل تركيزها!

كيف استطاعت ترميم نفسها بتلك السرعة؟

لابد أنها امرأة تعودت على الألم والانكسار؛ لذلك اعتادت سرعة ترميم نفسها..

فهذه القوة لا تأتي إلا من تعوّد الانكسار..

أصبحت تستبدل نفسها بحرفية.. كلما انكسرت واحدة تستبدلها بأخرى أقوى..

شعر أنه مدين لها بالاعتذار عن أفكاره طوال الطريق ونيته في شكوتها إلى مدير الأمن وعدم رغبته في العمل معها.. خرج من شروده ليقول لها:

- هل وجدتِ بلاغات تشتبهي في أن الضحية الأولى بينهم يادكتورة؟

- بـل أكاد أجـزم أني توصلـت إلى الضحيـة الأولى بالفعـل.. انظـر إلى هـذا الملـف؛ إنـه هـو مـن نبحـث عنـه.. القتيـل الأول هـو (ماهـر المنيـاوي)..

تناول منها ملف محضر يعود إلى سبع أشهر مضت:

بلاغ بتغيب (ماهر محمد أحمد المنياوي).

مقيـم بـ(القاهـرة حـي الدقـي) - العمـر ٢٥ عامًـا - عامـل بمـشروع تطويـر شـاطىء الغـرام وإنشـاء الجـسر الزجاجـي بمـزار (كليوباتـرا) السـياحي - حاصـل عـلى (دبلـوم صنايـع).

أبلـغ أحـد زملائـه بالمـشروع ويدعـى (عبـد العزيـز سـليمان العبيـدي) بغرقـه أثنـاء سـباحتهما معًـا بشـاطىء (كليوباتـرا) ،وبعـد بحـث الضفـادع البشريـة وبعـض المتطوعـين مـن الغطاسـين لم يجـد أحـد جثمانـه ولم يظهـر الجثـمان كـما هـو متوقـع في حـالات الغـرق عـادة بـأن يتـم لفـظ الجثـمان خـلال أيـام عـلى الشـاطىء، وتـم تقييـد المحـضر كمحـضر تغيـب بعـد مـدة مـن البحـث لعـدم وجـود جثـمان ،وأغلـق المحـضر لعـدم وجـود أي شـبهة جنائيـة أو عـداوات بـين الشـاب وأي شـخص آخـر.

رفع نظره لها بعد أن نظر إلى صورة الشاب المرفقة بالمحضر وقال:

- هـو.. إنـه هـو بنسـبة تسـعين بالمائـة.. معـك حـق.. نفـس البنيـة الجسـدية والعمـر والشـعر ومـكان الاختفـاء أو الغـرق في شـاطىء (كليوباتـرا) ليسـت صدفـة بالتأكيـد.. غريـق بـلا جثـمان تزامـن مـع جثـمان بـلا هويـة بنفـس المـكان ونفـس توقيـت الوفـاة.. لا أعـرف مـاذا أقـول لـكِ.. حقـا أنـا لا أعـرف هـل أشـكرك أم أعتـذر لـك.. أنـا حقًـا آسـف.

- تعتذر؟ لماذا أيها المقدم؟ لماذا تعتذر؟.

- لا يهـم.. لايهـم.. المهـم الآن أن أصـل إلى تفاصيـل قضيـة اختفـاء (ماهـر المنيـاوي).. وأشـهد أنـك أمهـر وأقـوى محقـق قابلتـه حتـى الآن أيتهـا الدكتـورة..

فمكانـك الحقيقـي بالداخليـة معنـا وليـس عالمـة أثريـة بكليـة الآداب!

رن هاتفـه ليجـد مديـر أمـن (الإسـكندرية) عـلى الهاتـف.. فتجهـم لحظـة واحمـر وجهـه ثـم رد عليـه:

- آلـو يافنـدم... لا لا.. كنـت أتصـل بـك حقًـا في الصبـاح لأشـكرك عـلى جعـل دكتـورة (أمـيرة) شريكتـي في تلـك القضيـة، إنهـا عبقريـة ولكـن الهاتـف كان غـير متـاح.. لا..لا أريـد شـيئا آخـرا.. سـلام.

أغلق الهاتف ونظر إلى (أميرة) مبتسمًا بخجل!

** ** ** ** **

اتجـه (إيـاد) برفقـة (أمـيرة) إلى المقـر الفرعـي لشركـة المقـاولات المسـئولة عـن مـشروع تطويـر شـاطىء الغـرام و(كليوباتـرا) بـ(مطـروح) يطلـب مقابلـة (عبدالعزيـز العبيـدي) المُبلـغ الأول بالواقعـة ..صديـق (ماهـر) والـذي كان برفقتـه وقـت الاختفـاء أو الغـرق حسـب البـلاغ، ولكنهـما لم يجـدوه فقابـلا مديـر الموقـع وكان جـواب المديـر صادمًـا عليهـما:

- يااه (عبدالعزيز العبيدي)..

أتذكـره بالطبـع.. لقـد جـن ذلـك الشـاب المسـكين بعـد وفـاة صديقـه وصـار يهلـوس بأشـياء عجيبـة..

قالت (أميرة) متحمسة:

- أشياء مثل ماذا؟

قال المدير:

- كان يقـول في البدايـة أشـياءً مثـل أن صديقـه حـي وسـينقذه مهـما تكلـف الأمـر، ثـم بعـد ذلـك ظـل يقـول أن (ماهـر) محبـوس داخـل صخـرة في البحـر وأنـه سـيحرره بـأي ثمـن، وحـاول بالفعـل تكسـير صخـور طبيعيـة في البحـر

حتـي تسـبب في إصابـات لزملائـه وكثـير مـن هـذا الخبـل.. ثـم دخـل المصحـة العقليـة بـ(الإسـكندرية) ثـم ظهـر مـن جديـد فجـأة بعـد أن هـرب مـن المصحـة يقـول أن (ماهـر) تحـول إلى امـرأة وأنـه ليـس مجنـون..

لقـد فقـد عقلـه تمامـا وتـم القبـض عليـه وإيداعـه مستشـفي المعمـورة للأمـراض العقليـة والنفسـية بـ(الإسـكندرية) بمنطقـة (العوايـد)، وهـو هنـاك حتــى الآن.

تبـادل (إيـاد) و(أمـيرة) نظـرات انتصـار وابتسـامة واسـعة تمـلأ وجههـما بعـد أن طربـت أذانهـما بكلـمات المديـر.. إنهـما عـلى الطريـق الصحيـح إذن و(عبـد العزيـز العبيـدي) المجنـون هـذا يعـرف الكثـير ولـن يصدقـه أحـد سـواهما.. إنـه رجلهـما! فقـد كان (ماهـر) بالفعـل داخـل صخـرة طبيعيـة كـما قـال الرجـل.

اتجهـا فـورا إلى (الإسـكندرية) -كل منهـما بسـيارته- قاصديـن مستشـفى (المعمـورة) للأمـراض العقليـة والنفسـية، وقـد تحـول طريـق العلمـين إلى سـباق سـيارات بينهـما..

كانا ملهوفين لسماع قصة (عبد العزيز العبيدي) المجنون!

***

الفصل الخامس

قبل سبعة أشهر...

- لم تكن أظافري يوما ناعمة لأقول لك منذ نعومة أظافري.. فأنا عرفت الدنيا وأنا أحمل الأدوات في الأجازة الصيفية مع والدي لأساعده في أعمال البناء تحت أشعة الشمس الحارقة وجلدي يحترق بين أسفلت الشوارع والشمس الحارقة صيفًا وعندما صرت شابًا وأنهيت تعليمي المتوسط بالثانوي الفني أصبحت أعمل بأعمال المقاولات والإنشاءات باليومية.. أتنقل من مشروع لمشروع تحت الردم والرمل والأسمنت والمازوت والتراب الخانق..

مشروع بعد مشروع..

ولكني أكاد أجزم أن هذا هو أجمل وأمتع مشروع عملت به في عمري يا (عبد العزيز).. إني أعمل في الجنة!

تنهد (ماهر) وهو يدور بعينيه في المكان واستطرد:

- لا أصدق ما أنا فيه وأشعر أني يجب أن أشكرك مابقي من عمري كله لأنك من رشحتني لرئيسك في هذا المشروع ليحضرني من (القاهرة) إلى (مطروح)..

كنت دوما تصف لي جمال محافظتك (مرسى مطروح) حتى تركت أنت العمل بـ(القاهرة) وعدت.. فلو كنت داخل حلم لما رأيت هذا الجمال ولم أكن لأتخيله أبدا.. كنت أتخيل أن البحر يشبه بحر (الإسكندرية) جمالا ليس أكثر..

ابتسم وأكمل:

- معك حق أن تترك (القاهرة) وتعود لحضن تلك الجنة يا(عبد العزيز).

كان المتحدث هو (ماهر المنياوي) الشاب العشريني الأسمر البشرة قوي البنيان..

حمل (ماهر) فأسه على كتفه وابتسم وسبحت عيناه على سطح البحر أمامه كأنه مسحور ينجذب إلى قلب بحر (مطروح) الجميل ذي المائة درجة من درجات اللون الأزرق والتي تعجز كل كاميرات العالم مهما كانت جودتها في نقل تباين ألوانه التي تراها العين البشرية الطبيعية وتعجز كل كلمات العالم عن وصفها وقف (ماهر) داخل ماء بحر (مطروح) النقي عند شاطئ (كليوباترا) فوق صخرة صفراء مزركشة بألوان متعددة عجيبة مجوفة لتحتفظ داخلها بجزء من ماء البحر الساخن والذي امتص حرارة الصخرة ليصنع مغطس قدمٍ صغيرٍ لطيفٍ دافئ.. وكأنها مجموعة تحف فنية من صنع الخالق من صخور (مطروح) والتي كانت مهمتهم هي تكسيرها استعدادا لتمهيد الطريق في الشاطئ الصخري المليء بالتجاويف المائية والصخور مختلفة الأحجام الزلقة بعشب البحر وصولا إلى حمام (كليوباترا) لبناء جسر زجاجي كالممشى لمنع عشرات حوادث انزلاق المصطافين اليومية الذين يودون عبور المنطقة البحرية الفاصلة بين الشاطئ والحمام ثم تسلق الصخور وصولا إلى مدخل الحمام المنحوت كالكهف المرتفع داخل التبة الصخرية يراقبه التمثال الأثري الذي يقف بجانبه على بعد عدة أمتار كالحارس للمزار السياحي والأثري العبقري هندسيا وطبيعيا وحضاريا.. فكم من مصطاف عاد من (مطروح) بالتواء في قدمه أو كسر أو جرح غائر بسبب سقوطه وانزلاقه أثناء إصراره على خوض ذلك الطريق الوعر القصير وصولًا إلى الحمام وتسلقه للاستمتاع بضخ ماء البحر القوي داخله والأشبه بجاكوزي طبيعي بارد صُنِع بضغط أمواج البحر الطبيعية العاتية في تلك المنطقة خلف الحمام، والتي تجعل ماء البحر يدخل بكثافة وضخ قوي إلى الحمام عبر أنفاق متعددة نُحتت

خصيصا لتتقابل في المنتصف صانعة تيارًا مائيًا يدور كالموتور في تلك التحفة المعمارية الهندسية التي استُخدِمت فيها كل عناصر الطبيعة لاستجمام الملكة (كليوباترا) وعمل جلسة تدليك مساج (جاكوزي) لجسدها، وبرغم عوامل الجو ونحت ماء البحر وأمواجه لآلاف السنين؛ فمازال تمثال الحمام الأثري الضخم يستقبلك وهو يقف شامخا محتفظًا ببعض من شكله الأقرب لشكل تمثال أبي الهول.

كان (ماهر) مسحورًا بين انبهارين اتحدا ليجعلاه يكاد يجن من فرط الإعجاب.. انبهار بأثر مصري قديم يشع بالعبقرية المعمارية الهندسية، وانبهار آخر بروعة الطبيعة وسحر جمالها الخلاب، فقال وهو يتنهد ويأخذ نفسًا عميقًا ينظف به رئتيه:

- سبحان الله أن مياه البحر نقية شفافة تشعر من نقائها أن لم يمَسَها بشرٌ قبلك كأنه ماء طاهر أتى من الجنة.. تعرف يا (عبدالعزيز) أن لدي رغبة عجيبة منذ أن أتيت إلى هنا للعمل في ذلك المشروع بأن أظل هنا حتى أموت! لا أريد ترك هذا المكان؛ كأني وجدت المكان الذي تنتمي إليه روحي.. أريدك ان ترشح لي فتاة من قبيلتك لأتزوجها وأعيش هنا في (مطروح) مابقي لي من عمر يا(عبدالعزيز).

ابتسم (عبد العزيز) الذي لا يشعر بكل انبهار صديقه (ماهر) ببساطة لأنه من أهل محافظة (مرسى مطروح) ويرى ذلك البحر بنقائه وألوانه يوميًا منذ أن وُلد.

كان (عبد العزيز) قد ذهب إلى العمل في (القاهرة) ولم يكن له صديق سوى (ماهر) طوال مدة عمله بـ(القاهرة).. أقاما في نفس الشقة حتى عاد (عبدالعزيز) مره أخرى إلى (مطروح) بعد وفاة والده وعندما انضم لذلك المشروع وعلم بأن مديره سيأتي بعمال إضافيين من (القاهرة) لهذا المشروع الضخم؛ فرشح فورا صديقه (ماهر) ليقدم ورقه بالفرع الرئيسي

بـ(القاهـرة).. ولأن الراتـب مغـرٍ ويشـمل السـكن بنـزل الشـباب والمواصـلات والوجبـات، ولأنـه كان يطمـع في أن يـرى صديقـه (ماهـر) مـرة أخـرى بعـد سـنة مـن الفـراق، فوافـق (ماهـر) فـورا وتعاقـد مـع إدارة المـشروع وسـافر..

قـال (عبـد العزيـز) وهـو يرسـم الفخـر عـلى وجهـه الأشـقر الوسـيم النحيـف حـاد الملامـح وعينـاه الزرقاويـن بلـون البحـر وشـعره الكسـتنائي الناعـم الطويل:

- أشـعر بالفخـر كلـما رأيـت غريبًـا عـن أهـل (مطـروح) ينبهـر مثلـما انبهرت أنـت الآن يا(ماهـر).. أشـعر وكأني محظـوظ لأن هـذه هـي مدينتـي السـاحرة.. تتذكـر حـين رأيـت يومًـا صـور شـواطـىء (المالديـف) التـي يجـن بهـا الشـباب وأقسـمت لـك أن شـواطـىء (مطـروح) أجمـل وأنقـى وأنظـف منهـا.. يومهـا تبسـمت لي مجامـلا ورأيـت فى عينيـك إنـك تعتقـد أني أبالـغ.. فتمنيـت أن تـرى بعينيـك ماوصفتـه لـك.. إن (مـصر) جميلـة يا(ماهـر).. ينقصنـا فقـط أن نعـرف كـم هـي جميلـة حقـا ونحافـظ عليهـا.. وأن نـدرك ذلـك.. ونـروج لهـا نصـف مايـروج لغيرهـا مـن الشـواطـىء الأجنبيـة.

تنهـد (عبـد العزيـز) وهـو يجلـس عـلى حافـة صخـرة ويلهـو بقدمـه في مـاء البحـر تحـت قدميـه ويقـول:

- هـل تعلـم أني - وأنـا أكـسر تلـك الصخـور - كنـت أفكـر في أني ربمـا أزيـل جـمال المـكان لا أجملـه.. أعلـم بالطبـع أنهـا كانـت خطـرة وسـببت العديـد مـن الحـوادث للمصطافـين أثنـاء محاولاتهـم الدخـول لحـمام (كليوباتـرا) وأن مشروع الجـسر هـو الأكـثر أمانًـا للنـاس، ولكـن كل صخـرة نكسرهـا الآن أشـعر وكأنهـا تحفـة فنيـة مـن صنـع (اللـه) وجـزء مـن سـحر هـذا المـكان الخـاص نكسرهـا لنضـع مكانهـا جـسرًا مـن صناعـة البـشر يوفـر لنـا الأمـان في مقابـل تقليـل السـحر الطبيعـي البكـر الـذي يميـز شـواطئ (مطـروح).. فهـل الأمـان سـيعوض الجـمال الـذي نهدمـه بأيدينـا؟!

وربمـا تدخُلنـا سيفسـد سـحر تلـك اللوحـة التـي اشـترك فيهـا إبـداع الخالـق

مـع أيـادي المصريـين القدمـاء..

كان (ماهـر) يسـمعه وهـو يـدرك أن (عبـد العزيـز) شـخص ولـد في حضـن الطبيعـة والبحـر والجبـال التـي صـارت جـزءً مـن شـخصيته؛ فلذلـك يقـدر قيمـة كل صخـرة طبيعيـة يكسرونهـا لإنشـاء المـشروع..

قاطع (عبد العزيز) شرود (ماهر) وقال له متحمسا:

- أنت تعرف السباحة جيدا ياماهر.. اليس كذلك؟.

- نعم و أجيدها.

خفض (عبد العزيز) صوته وقال وهو يتأكد أن لا أحد يسمعهما:

- سـنذهب إلى مـكان خطـر اليـوم.. اسـتعد لمغامـرة عمـرك يـا (ماهـر).. مـكان سري مَـن يَعلَمـه منـا يُعَلِمـه لأبنائـه كالمـيراث جيـلًا بعـد جيـل؛ إنـه أحـد الأسرار الخاصـة بأبنـاء عائلتـي وقبيلتـي فقـط، فنحـن مـن قبائـل (مطروح) الأصيلـة القديمـة.. إنـه سر خـاص جـدا يخـص ذلـك المـكان ويخـص عائلتنـا فقـط.. سـيضاعف انبهـارك بـ(مطـروح) وحـمام (كليوباتـرا)، ولكـن يجـب أن تعـدني أن لا تخـبر بـه أي مخلـوق حتـى آخـر يـوم في عمـرك.. مـكان لـن تنسـاه مـا حييـت.

وضع (عبد العزيز) يده على كتف (ماهر) وهو يقول له:

- إن مـا سـأطلعك عليـه هـو سر لم أبـح بـه لأي شـخص قبلـك منـذ أن أطلعنـي عليـه أبي، ولـن أطلـع عليـه بعـدك سـوى أبنـائي.. فأنـت تعلـم أنـك صديقـي الوحيـد وأقـرب لي مـن نفـسي.

- شـوقتني يا(عبـد العزيـز).. سـأفعل، ولكـن ماهـو ذلـك المـكان؟ ومـا هـو الـسر؟

- اسـتعد بعـد صـلاة الفجـر وقبـل شروق الشـمس.. اسـتيقظ وانتظـرني عـلى

باب نزل الشباب، وسننتهي من مغامرتنا قبل موعد بدء العمل في التاسعة صباحا.. أعدك أني سأبهرك ياصاح.

***

بعد آذان الفجر مباشرة وقف (ماهر) على باب نزل الشباب الذي يقيم به العمال المغتربين في شاطئ الغرام القريب من شاطئ (كليوباترا)، وكان هواء الشتاء البارد يخترق عظامه وهو لا يتخيل أن مغامرتهما سيكون فيها سباحة في ذلك الطقس البارد فجرا!

أتى (عبد العزيز) من منزله يقود سيارته الـ(ربع نقل)، وصعد (ماهر) بجواره وانطلقا إلى منطقة حمام (كليوباترا) التي يعملان بها يوميا..

هبطا من السيارة في نهاية الطريق المرصوف ومشيا داخل المياه يقفزان فوق الصخور ليقفا تحت التبة الصخرية التي بداخلها الحمام والأمواج الغاضبة ترتطم بالصخرة والتمثال لتغرقهما برذاذ الماء البارد..

كانت السماء قد بدأت تتلون بلون أزرق شاحب أزاح ظلام الليل جانبا ولم تبزغ الشمس بعد في السماء.. نظر (ماهر) حوله وقال بخيبة أمل وهو يعقد ذراعيه أمام صدره:

- أعمل هنا منذ أسبوع مضى وكل الناس تأتي إلى هنا منذ سنوات.. أين الانبهار ياشيخ (عبد العزيز) الذي وعدتني به؟ ويخص عائلتي.. وسر أعظم؟ وفي النهاية أقف فجرا في حمام (كليوباترا)!

تنفس (عبد العزيز) بعمق وابتسم وقال بثقة:

- كل الناس تأتي إلى هنا وتتسلق التبة الصخرية التي فيها فوهة كهف حمام (كليوباترا) ليدخلوا الحمام حقا وتضربهم المياه بالداخل.. ولكن لا أحد يتسلق التمثال أو يعرف مايخفيه جوفه من سر كبير.. لا أحد يعير ذلك التمثال المتآكل المتهدم الاهتمام طوال تلك السنوات.

وأشار بيده تجاه التمثال شبيه بهيكل أبي الهول الذي يجلس ناظرا للتبة الصخرية التي بداخلها الحمام وقال مستطردا:

- إن بداخل هذا التمثال معجزة.. بل عجيبة من عجائب الدنيا لا يعرفها أحد وتحرص قبيلتي على حفظ سرها الذي يسلب العقول جيلًا بعد جيل.. تعال معي واتبع خطواتي جيدا حتى لا تسقط، وحرك قدمك خلف قدمي بدقة.

بدأ (عبد العزيز) تسلق التمثال وهو يحرك قدميه بين أماكن معينة يحفظها جيدا بالترتيب تسهل له تسلق التمثال الذي تآكلت طبقته الخارجية بفعل أمواج البحر والملوحة والزمن حتى أصبحا فوق منطقة تمثل رأسه في أعلى منطقة في التمثال..

كان (ماهر) قلبه يدق برعب؛ فقد تسلق تمثالًا أثريًا ضخمًا أملسًا صعب التسلق، لولا أنه اتبع خطى (عبد العزيز) جيدا لكان سقط..

نظر إلى الأسفل فرأى صخورًا صلبة مدببة من الجهة الأمامية كفيلة بأن تفجر جسد من يسقط فوقها، ومن الجهة الخلفية الأخرى تضرب الأمواج الغاضبة بقوة في منطقةٍ عميقةٍ خطرةٍ من البحر المتوسط.

كانت الرؤية أصبحت أفضل وأطل النهار في السماء بشكل أوضح برغم عدم شروق الشمس الكامل بعد.. فقال (ماهر) بعد طول صمت:

أي جنون هذا يا(عبد العزيز) الذي فعلته بنا.. جعلتني أتسلق تمثالًا مرتفعًا خطرًا جدًا، إذا سقطت من أي اتجاه فأنا ميت لا محالة، والصعود بالتأكيد أسهل من الهبوط من ذلك المكان الذي أجزم أني لن أستطيع أن أهبط منه مرة أخرى دون أن أسقط قتيلا.. أين الانبهار؟ منك لله يا أخي.. أنت مجنون!

- ومن قال أننا سنهبط من على جسم التمثال أصلا.. إن الهبوط فعلا

مستحيل ومعناه الموت المحقق.. ونحن لن نهبط.. بل سننزلق!

ضيق (ماهر) عينيه غيظا ثم ضرب بكفيه على وجهه بغضب وهو يصرخ:

- سننزلق! مجنون أنت يا(عبد العزيز).. نعم مجنون.. ماذا فعلت بنا أيها المعتوه.. ستقتلنا..أريد أن أعود للنزل فورا وأقطع علاقتي بك.

لم يرد عليه (عبد العزيز) فقد كان مشغولًا بتفقد قمة رأس التمثال بيده اليمنى وهو يعقد بين حاجبيه ويتشبث بيده الأخرى في تجويف صخري صغير وقال فجأة بحماس:

- ها هي.. كنت قد فقدت أثرها.. فلم آتِ إلى هنا منذ عدة سنوات مضت..

جذب (عبد العزيز) ذراعًا معدنيًا أتى به من داخل شق صغير بقمة رأس التمثال.. وبجذبه للخارج انفرجت الصخور في قمة الرأس لتكشف تجويفًا دائريًا..

نظر (ماهر) إلى (عبد العزيز) وعاد ينظر إلى التجويف الذي ظهر بغتة وبداخله منزلق صخري حلزوني أملس عليه بقايا بريق فضي متآكل وكأنه ينظر إلى داخل أنبوب انزلاق في ملاهي الأطفال.. فوقف (عبد العزيز) وجلس ليجعل ساقيه يتدليان بداخل التجويف وجلس على فوهته وهو يقول:

- هيا بسرعه يا(ماهر)، سننزلق إلى داخل التجويف لنصل إلى المكان المرجو لأن الرأس ستنغلق مره أخرى من تلقاء نفسها بعد دقيقة واحدة من فتحها.. سأنزلق وأنت بعدي فورا، لا تتأخر أرجوك.. إذا انغلقت الرأس لن تستطيع الهبوط وستعلق حتى أعود إليك بعد وقت طويل.. لا تتأخر.. انزلق خلفي.

انزلـق (عبـد العزيـز) بجسـده قبـل أن يسـمع ردًا مـن (ماهـر) ليختفـي داخـل التجويـف، وشـعر (ماهـر) بالخـوف، ولكنـه تذكـر أن الفوهـة سـتنغلق خـلال دقيقـة واحـدة؛ فلـم يجـد إلا أن يضبـط جلسـته بسرعـة لتتـدلى سـاقاه في التجويـف وينزلـق بجسـده خلـف صديقـه (عبـد العزيـز) داخـل هـذا النفـق المظلـم..

رفـع (ماهـر) رأسـه لأعـلى وهـو ينزلـق باندفـاع لأسـفل لـيرى فتحـة التجويـف التـي يـرى منهـا السـماء فوقـه وهـي تنغلـق حقًـا، وتذكـر للحظـة أيـام زياراتـه لحدائـق الأطفـال وانزلاقـه عـلى الألعـاب حتـى سـقط بقدميـه داخـل بركـة ميـاه بحريـة مبطنـة بالرمـال الناعمـة التـي اسـتقبلته برفـق و لم تصبـه بـأي أذى..

كان (عبـد العزيـز) يقـف أمامـه في الظـلام الـذي يتخللـه بعـض ضـوء النهـار الـذي تسـلل عـبر شـقوق في جسـد التمثـال يصنـع خطوطًـا مضيئـة بأشـعة الشـمس الذهبيـة التـي ولـدت حديثـا في السـماء حولـه ليـدرك أنـه في قلـب جسـد التمثـال مـن الداخـل..

وقف ونظر حوله..

كان المـكان أشـبه بمغطـس مـائي منحـوت بدقـة في المنتصـف، مبطـن الأرضيـة ببعـض الأسـطح الفضيـة والرخاميـة المتآكلـة بعوامـل الزمـن، يمتـلىء بمـاء البحـر السـاخن بفعـل حـرارة الصخـور التـي تحتفـظ بالحـرارة لوقـت طويـل جعلـت الميـاه دافئـة سـاخنة برغـم بـرودة الجـو والشـتاء.. وحولهـا ممـشى رخامـي أملـس مرتفـع ومرصـوف بنعومـة ودقـة يلـف المسـبح مـن كل الاتجاهـات، ومعلـق عليـه درج صخـري مطـلي ببقايـا الجرانيـت المتـآكل منحـوت بحرفيـة يهبـط إلى عمـق المغطـس المـائي تمامـا كأنـك تنظـر إلى المسـابح المغطـاة في النـوادي والفنـادق، والـدرج المعلـق عـلى حوافهـا ليسـاعد عـلى الهبـوط منهـا وإليهـا..

دار (ماهر) وهو يمشي فوق الممشى الجانبي الذي يحيط بالمسبح وهو يفتح فمه في عدم تصديق.. إنه يرى مسبحا ساخنا منحوتا بدقة في قلب الصخور وصل إليه عن طريق منزلق أملس من قمة رأس التمثال بأمان!؛ حتى هواء المنطقة المغلقة تلك كأنه مكيف دافىء ليس باردا كالجو بالخارج..

قال (ماهر) وقد انحبس صوته:

- إنها (أكوابارك) أثرية إذن! ملاهي مائية خاصة بالملكة (كليوباترا) وليس مجرد حمام استرخاء فقط وجاكوزي.. هل ما أراه حقيقي يا(عبد العزيز) أم أنا في حلم؟

ابتسم (عبد العزيز) وهو يقف على حافة الممشى الصخري ثم قفز في المياه الشفافة في المسبح الساخن ليختفي لحظات ثم يظهر رأسه مرة أخرى وهو يقول:

- استمتع يافتى.. أنت بمسبح الملكة (كليوباترا).. اِشعُر بالتميز الذي تشعر به عائلتي العريقة يارجل.. قل لي هل أوفيت بوعدي في إبهارك؟

قال (ماهر) بحماس قوي وفرحة طفولية:

- بالطبع.. أنا لست منبهر فقط، بل أكاد أجن وأنا في هذا المكان الساحر الخلاب.. أشعر بالرهبة من روعة المكان.. إني الآن في المسبح الخاص بالملكة (كليوباترا).. أشعر أني أنطونيوووووو!

وقفز خلف صديقه ليسبح معه داخل المسبح الساخن الملكي.. ساعة مرت من السباحة والمتعة التي جعلته يشعر أنه ملك من ملوك العصور الإغريقية، وأصبحت أشعة الشمس المتسللة أقوى وأدفأ، فقال (ماهر) بفرحة:

- أكاد أجزم أني عشت أمتع أوقات حياتي على الإطلاق.. لا أعرف كيف

أشكرك يا(عبد العزيز) على تلك التجربة الفريدة التي لا أصدق أنها حقيقة وليست حلما.. أتخيل إذا عرف العالم سر ذلك التمثال يوما، فسيأتي السائحون من كل بقاع العالم بالملايين ليقوموا بتجربته، وسيكون المكان مزدحما وكل تلك الصحراء حوله ستصبح فنادق ووقتها لن نجد مكانا نقف فيه في المسبح من الزحام من كل الجنسيات..

قاطعه (عبد العزيز) غاضبا صارخا:

- إياك أن تفكر أن تفشي سر المكان أبدا لأي شخص مهما كان.. إياك وإلا سأقتلك بيدي!

رد (ماهر) بتوتر وخوف:

- لن أفعل ياصديقي.. كان مجرد تخيل.. لقد وعدتك وأنت تعرفني.. أقسم لك أني لن أنطق بحرف واحد لأي شخص حتى أموت..

استطرد (ماهر) ليغير مسار الحوار الذي أغضب صديقه:

- اقترب موعد بدء العمل.. كيف سنخرج إذن من هنا يا رجل؟

أشار له (عبد العزيز) ونبرة صوته مازالت حانقة غاضبة وهو يسحب شعره الطويل البني المبتل إلى الخلف ليبعده عن جبهته وعينيه:

- سنغطس تحت الماء في هذا الركن وستجد فتحة مضيئة كالنفق القصير أسفل جسم المسبح تعمل على تجديد ماء المسبح بانتظام؛ هي نفسها طريق خروجنا إلى البحر خلف جسم التمثال مباشرة، وسنسبح ونخرج لنجد أنفسنا في مكان عملنا..

غطس (عبد العزيز) في جانب المسبح وخلفه (ماهر) الذي رأى ضوءً متسللا قويا من القاع حقا لم يلحظ أنه كان أحد مصادر الضوء للمياه في المكان منذ البداية وسبح خلف صديقه الذي سبقه..

سبح (عبد العزيز) خارجا عبر النفق الصخري لينتهي النفق وينفلت جسده من بين الصخور ويطفو بجسده بعد ثواني في البحر خلف التمثال..

خرج (عبد العزيز) برأسه من البحر وهو يأخذ نفسا عميق ويبتسم ينتظر ظهور رأس صديقه (ماهر) الذي كان يتبعه..

لم يظهر ماهر..

مرت دقيقة تلاها دقيقة..

واختفت ابتسامة (عبد العزيز) وحل محلها نظرة رعب..

سبح بتوتر..

غطس مره أخرى.. إن فتحة النفق مخفية في قاع الصخور وبين الأعشاب البحرية يصعب الدخول إليها بعد الخروج..

غطس مرات عديدة ولم يرى أحدًا عالقًا بين الصخور.

خرج من البحر وقلبه ينبض بسرعة عالية وأخذ يعدو كالعدائين متجه إلى التمثال.. تسلق التمثال مرة أخرى بسرعة لا يعرف كيف فعلها وجذب الذراع بسرعة وانزلق في قلب التمثال ليعود إلى مكان المسبح ليجده خاويا مقبضا لا أثر فيه لأي شخص، صرخ بأقصى صوت يملكه:

- (مااااااااااااااااااااااااااااااااهر).. (ماااااااااااااااااااااااااااااااااهر)..

قفز في المسبح يبحث في القاع عن صديقه ولكن..

لا أثر لـ(ماهر)!.

كان منذ دقائق هنا معه!كيف تبخر!.

كان خلفه مباشرة!.

كان يتبعه! .. لم يكن شبح!.

تذكـر أن (ماهـر) قفـز في الماء خلفـه مبـاشرة وأنـه سـمع صـوت ارتطـام جسـد (ماهـر) بالمـاء بعـده وقبـل خروجـه مـن النفـق مبـاشرة.. وهـا هـو طريـق الخـروج والنفـق المـائي فـارغ وهـا هـو مـرة أخـرى في البحـر خلـف التمثـال وحـده..

وأخذ يكرر فعلته دون جدوى!.

تبخر الرجل!.

- (مااهر)!.

***

الفصل السادس

- احذرا.. إنه مريض خطير جدا.. أصاب زميلين له قبل مجيئه إلى هنا بجروح خطيرة، وسبق له الهرب من المستشفى منذ ستة أشهر تقريبًا بعد أن ضرب الممرض وتسبب له بجرح غائر بالرأس ثم عاد بعد أيام إلى المستشفى بعد أن ضُبط في (مطروح) وهو في حالة أسوأ بكثير مما سبق وزادت هلاوسه..

التقط أنفاسه اللاهثة نتيجة سمنته وأكمل:

- الغرفة آمنة ليس بها أي شيء يمكن أن يستعمل كسلاح ضدكما و(عبد العزيز العبيدي) سيكون مقيد الأيدي إلى كرسيه ولكن لا تقتربا منه.. تحدثا معه عن بعد لأنه من أخطر المرضى لدينا وأكثرهم عنفا وشراسة.

كان ذلك هو كلام الدكتور (أسامة) الطبيب البدين المسئول عن حالة (عبد العزيز العبيدي) والذي قاله وهو يأخذهما عبر ممر مقبض طويل مرتعش الإضاءة وصولا إلى الغرفة المجهزة للقاء (عبد العزيز) معهما بمستشفى المعمورة للطب النفسي والعقلي..

جلس (إياد) و(أميرة) في غرفة فارغة إلا من بعض المقاعد الخشبية المثبتة في الأرض ينظران إلى (عبد العزيز العبيدي) الذي جلس مقابلا لهما مبعثر الشعر كث اللحية منتفخ العينين يحيطهما هالات سوداء، يرتدي تلك الملابس البيضاء الخاصة بالمصحة بعد ماحكى لهما قصة سريعة باهتة كاذبة عن غرق صديقه (ماهر) وهو يسبح معه كما ذكر بالمحضر..

(كان يسبح معه في البحر وفجأة غرق وسحبه التيار)!

هكذا فقط..لم يذكر تفاصيل ماحدث حقيقة.. إنه يحتفظ بها داخل

ذاكرته ليحفظ سر تمثال حمام (كليوباترا).. القَسَمُ الذي أقسمه لوالده ليحفظ سر عائلته..

قال (إياد) له بصرامة:

- أعرف أنك تعرف الكثير يا(عبد العزيز).. ليس مجرد أنكما كنتما تسبحان في البحر ثم غرق (ماهر) واختفى.. بعد ذلك بفترة قلت أن صديقك محبوس داخل صخرة وطلبت منهم هدم صخرة ما لأن صديقك بداخلها، ثم قلت أنه تحول إلى امرأة ولم يصدقك أحد، وكررت ذلك الأمر وقلت أمورا غريبة حتى جاءوا بك إلى هنا واتهموك بالجنون.. أنا هنا اليوم من أجل هذه الأمور الغريبة.. وليس من أجل قصة الغرق.

صمت (عبد العزيز) ونظر لهما بتوجس وخوف وقال:

- لا.. لا.. كانت تخاريف صدمة عصبية.. وقد أخذت علاجي وجلسات كهربائية وأنا على وشك الخروج من المصحة والعودة للبيت فور إثبات صحة عقلي وأني قد شفيت.. صديقي (ماهر) غرق كآلاف الشباب ضحايا حوادث الغرق وفُقد جثمانه بالبحر كغيره.. هذا كل ما في الأمر..

قالت (أميرة) له بهدوء:

- (عبد العزيز).. إنك تكذب على الوحيدين الذين أتوا ليستمعوا إليك ويصدقوك ويخرجونك من هنا لا لنقول عنك مجنون ونحتجزك بالمصحة مدة إضافية.. نحن نعدك بأننا سنصدق كل ماستقوله مقدما.. ولكن احكِ بصدق.. كلامك الذي أتى بك إلى المصحة يطابق الحقيقة التي نعرفها نحن ويؤكد أنك لم تكن يوما مجنونا..

اقتربت منه ووضعت يدها على كتفه وفكت وثاق يده لتؤكد له عدم خوفها منه وثقتها أنه ليس مجنونًا خطيراً وقالت له بهدوء وابتسامة لتبث في قلبه الثقه:

- احكِ لنا بأمان ماتعرفه لنرُدَّ لصديقك حقه ونخرجك من هنا.. فنحن نعلم أنك عاقل وما ستقوله هو الحقيقة، ووعد مني مهما ذكرت لن نوجه لك أي مسئولية جنائية أو قانونية، وسنصدق ماتقوله مهما كان.. ووعد آخر أن تخرج من هنا بمساعدة المقدم (إياد) إن صدقتنا القول!

ثم نظرت لـ(إياد) الذي هز رأسه موافقا علي ما قالته فأطرق (عبد العزيز) أرضا وصمت كأنه تمثال لثوان..

فقال (إياد):

- يا (عبد العزيز)، أعلم أنك تعرف الكثير.. ساعدنا لنوقف الشر الذي انتشر بسبب التوابيت اللعينة وتماثيلها الملعونة التي كانت بداخل الصخرة.. احكِ لنا لكي نمنع إزهاق أرواح أكثر.

رفع (عبد العزيز) وجهه ونظر إليهما بيعينه الزرقاوين وقد لمعت واتسعت بمجرد ذكر التوابيت والصخرة وقال:

- تعرفون أمر التوابيت وأمر الصخرة.. إذن سأقص الأمر عليكما ولكن عداني أن يبقي الأمر سرا وأن تأخذا منه مايفيد القضية، وأقسم لكما أني لست مجنونًا، وما سأقوله هو ماحدث.. أخرجا هواتفكما وضعاها أمامكما لأتاكد أنكما لن تسجلا ما سأقصه.. مع تحفظي على إخفاء بعض التفاصيل الصغيرة التي لن أستطع أن أحكيها ولن تفيدكما ولنتجاهل تفاصيلها..

***

مرت ساعات و(عبد العزيز) كالمجنون يدور بين التمثال والبحر ويبحث بين الصخور عن صديقه (ماهر)؛ حتى فقد أعصابه وهرول إلى مدير المشروع يخبره أنه كان يسبح برفقة (ماهر) وغرق.. وبالطبع لم يقص الحقيقة كاملة ولم يذكر شيئا عن التمثال وما داخله..

أبلغ مدير الموقع الشرطة التي أتت بدورها للبحث والتحقيق..

كان السباحون والغطاسون المتطوعون يبحثون عن الجثمان و(عبدالعزيز) أيضا يبحث ولم يغادر البحر تقريبا.. وظل كالمجنون صارخا باسم صديقه (ماهر) حتى مر يومان وهم يبحثون عن جثة عالقة بين الصخور ليس لها أثر..

كان (عبد العزيز) يغطس ويسبح باحثا معهم دون نوم حتى أنه حفظ كل صخرة وكل عشبة بحرية في تلك المنطقة، وكلما شعر بإرهاق تسلق أقرب صخرة واستند إليها حتى تنتظم أنفاسه ليعود إلى البحر ثانية..

حتى تسلق صخرة قريبة وارتقى إلى قمتها العالية ليكشف منها أكبر مساحة من البحر وهو متعب، ونظر إلى البحر الذي - ولأول مرة - يراه شريرا أخذ منه أعز أصدقائه بغدر وخسة دون مواجهة..

لم يعطه الفرصة لمحاولة إنقاذ صديق عمره..

كيف لهذا الجمال والنقاء أن يحمل الموت والألم والغدر ويبتلع الأحباب ويظل محتفظاً بهدوئه وبراءته؟

صرخ (عبد العزيز) بأعلى صوت يمتلكه:

- (مااااااااااهر).. أين أنت.. ياصديقي.. أين أنت يارجل.. بالله عليك عد من أجلي.

- (عبد العزيز) أنا هنا.. هل أنت قريب؟(عبد العزيز).. أجب علي أرجوك.. أنا أسمعك.

أتاه صوت (ماهر) منهكا ضعيفا ومكتوما..انتفض (عبد العزيز) وهو يبسمل ويحوقل:

- جننت.. نعم أنا جننت.. لقد فقدت عقلي.. نعم.

صمت لحظة ولم يسمع أي صوت.. يتوهم إذن! ثم وقف على الصخرة

وأخـذ نفسـا عميقـا وكـرر نـداءه:

- (مااااااااااااااااااااااااااااااااااهر)..

صمت (عبد العزيز) وكتم أنفاسه وأرهف سمعه..

- أنـت حقـا هنـا يا(عبـد العزيـز).. لا أتوهـم.. انقـذني.. أنـا أمـوت.. انقـذني يا(عبـد العزيـز) أرجـوك.. أنـا أمـوت!

إنـه الصـوت مـرة أخـرى.. صـوت (ماهـر) يسـتغيث! إنـه فـوق صخـرة عاليـة بوسـط البحـر يحيطـه الماء مـن كل جانـب، مـن أيـن يـأتي صـوت (ماهـر) قريبـا إذن؟

- سلامٌ قولًا من ربٍ رحيم.

سمع دقات تأتي من تحت قدميه.. من داخل جدران الصخرة!

هبـط سريعـا عـلى ركبتيـه ووضـع أذنـه عـلى أرض الصخـرة وهـو يـدق بكفـه عليها :

- أنـا هنـا.. أنـا بالداخـل.. أخرجنـي يا(عبـد العزيـز).. سـأموت جوعا وعطشـا ورعبا.

رقـص قلـب (عبـد العزيـز) فرحـا وهـو مـازال يشـك أنـه قـد نـام مـن الإرهـاق، ومايحـدث مجـرد حلـم جميـل وأخـذ وضـع السـجود ليسـمع الصـوت الصـادر مـن قلـب الصخـرة بشـكلٍ أوضـح وقـال:

- (ماهر)، كيف وصلت إلى قلب الصخرة؟ لا أجد أي مدخل..

دار (عبد العزبز) كالمجنون على قمة الصخرة وهو يقول:

- إن الصخـرة مصمتـة بـلا مدخـل.. كيـف دخلـت يارجـل؟ كيـف سـأدخل إليـك؟.

- لا.. لا تدخل.. لن تستطيع الخروج مثلي؛ فأنا عالق منذ يومين لا أعرف كيف أخرج ولا أجد أي شق يعيدني حتى لقلب التمثال ومكان المسبح.. إذا دخلت أنت أيضا سنموت سويا هنا.. ابق بالخارج وحاول إنقاذي؛ فالطريق إلى قلب الصخرة طريق بلا عودة يا(عبد العزيز).

- قص علي إذن كيف وصلت لقلب الصخرة المصمتة تلك.. ماذا حدث لك يا(ماهر)؟.

تنهد (ماهر) بتعب وضعف وقال بصوت واهن يحارب فقدان الوعي و(عبدالعزيز) يرهف السمع عبر الصخرة وهو مازال متخذا وضع السجود يلصق أذنه بالصخرة ليسمع جيدا:

- كنت خلفك، وبعد أن غطست لقاع المسبح لكي أخرج من ممر الخروج خلفك وجدت ذراعا صلبا معدنيا بالجدار شبكت فيه ملابسي، حاولت جذبه بيدي لكي أخلص جسدي لكي ألحق بك؛ فوجدت الحائط يدور بعنف مع جزء من الأرض كجدران الغرف السرية في القصور القديمة ليأخذني خلفه ويقذفني مع بعض الماء إلى ممر أسطواني جاف مغلق من الجانبين، حاولت أن أدفع الجدار مرارا وتكرارا لكي أعود إلى المسبح ولكن دون جدوى؛ فالجدار من الواضح أنه يدور في اتجاه الدخول فقط ليس الخروج.. أو أني لم أعرف كيف يدور للعكس..

كان الممر كالنفق الطويل.. مغلق من النهايات، مظلم كالقبر.. متعفن الرائحة.. تعثرت فسقطت على شيء تهشم تحتي؛ فتحسست الأرض لأعرف ما تعثرت به لأجد هيكلًا عظميا هشا يؤكد لي أني صرت فى قبري ولست أول الضحايا لهذا السجن اللعين..

علقت قرابة اليوم الكامل بذلك النفق أعدو به جيئة وذهابا في ظلام سرمدي كأنه الموت، أضرب نهايتيه بكلتا يدي وأصرخ.. حتى تذكرت أن المكان كله يعتمد على أذرع معدنية بارزة من الجدران تفتح أبوابا وتشق

صخـورا كالتـي عـلى رأس التمثـال ومثـل التـي أتـت بي إلى هنـا مـن قلـب المسـبح..

فبـدأت في الظـلام أتحسـس كل الجـدران جيئـة وذهابـا حتـى وجـدت في الظـلام مـا أبحـث عنـه في النهايـة الأخـرى للنفـق..

جذبـت الـذراع بقـوة لأجـد الحائـط ينفـرج ليظهـر خلفـه غرفـة مظلمـة أخـرى، وبمجـرد أن دلفـت إليهـا حتـى انغلـق البـاب خلفـي بقـوة ليصبـح مجـرد حائـط صخـري مصمـت جديـد محكـم الغلـق.. حاولـت أن أبحـث عـن أي ذراع آخـر لم أجـد، وأصبـح كل مـا نجحـت في تحقيقـه هـو انتقـالي مـن الممـر الأشـبه بالأنبـوب إلى غرفـة مغلقـة مصمتـة الجـدران لا أدرى ماهيتهـا ولا أرى شـيئا مـن شـدة ظلامهـا، بهـا صناديـق ضخمـة حجريـة أتعـثر بهـا كلـما حاولـت الحركـة، ولكنـي أسـمع فيهـا صـوت الأمـواج واضـح جليـا مـما أعطـاني شـعورا أني أقـترب مـن الخـروج والنجـاة..

بعـد مكـوثي في الظـلام وقتـا طويـلا وجـدت أحجـارا بـالأرض جافـة، فأخـذت أضربهـا بعضهـا البعـض، ومـن الحـين للآخـر يصـدروا شررا يـضيء لي المـكان لحظـات خاطفـة، فاسـتطعت تمييـز وجـود تلـك الصناديـق الحجريـة حـولي.. تحديـدا خمسـة صناديـق ضخمـة!

كان (عبد العزيز) يسمعه بتركيز، فقاطعه قائلا:

- (ماهـر).. اسـمعني، إنـك بداخـل صخـرة ضخمـة في قلـب البحـر وأنـا أجلـس عـلى قمتهـا الآن وأحدثـك مـن أعلاهـا.. إنـك لسـت بغرفـة مظلمـة كـما تظـن.. بـل أنـت داخـل صخـرة طبيعيـة في قلـب البحـر.

قال (ماهر) بخوف:

- كيـف سـأخرج إذن يا(عبـد العزيـز).. عندمـا سـمعت صوتـك كنـت أستسـلم للمـوت وأغمـض عينـي لـكي أشـجع المـوت ليـسرع وينهـي خـوفي

وعـذابي، وصوتـك أعطـاني طاقـة للتمسـك بالحيـاة.. إني أكاد أن أمـوت جوعـا وعطشـا وإرهاقـا يـا (عبـد العزيـز).. أنقـذني أرجـوك ياصديقـي..

- ابحـث داخـل الصناديـق عـن أي شيء يسـاعدنا.. وأنـا سـآتِ بفـأسٍ ورجـال وأعـود فـورا وسـأحاول كـسر الصخـرة الصلبـة تلـك لأصـل إليـك.. تماسـك يارجـل.. سـأنقذك.. افتـح أي صنـدوق وابحـث في محتـواه.

كـرر (ماهـر) مافعلـه بالأحجـار لتصنـع الـشرر وحـدد مـكان أقـرب صنـدوق لـه ومـكان غطائـه الحجـري، وحـدد اتجـاه فتحـه ثـم جمـع مالديـه مـن قـوة ليفتـح الغطـاء الثقيـل في الظـلام..

- لقد فتحته يا(عبد العزيز).

- ماذا به يا(ماهر)؟.

اقـترب (ماهـر) مـن الغطـاء المفتـوح وضرب الأحجـار بيـده ثانيـة ليحـدث الـشرر ويـري مابداخلـه.. أضـاء الـشرر المـكان للحظـة واحـدة.. وقـال بصـوت عـالٍ لـ(عبـد العزيـز):

- أرى داخل الصندوق حجرا..

أعـاد ضرب الأحجـار وهـو يضـع يـده فـوق الصنـدوق المفتـوح، أضـاء الـشرر المـكان للحظـة..

- بل إنه تمثال.. مجرد تمثال يا(عبد العزيز).

أعـاد ضرب الأحجـار بسرعـة أكـبر وهـو يفتـح عينيـه عـلى آخرهـما لـكي يـرى تفاصيـلا أكـثر.. أضـاء المـكان للحظـة أخـرى..

- إنـه تمثـال ياعبـد العزيـز لا شيء مهـم آخـر بالصنـدوق إننـا منحوسـين يارجـل.. أخرجنـي.

أعـاد ضرب الأحجـار مـره أخـرى وهـو يضـع يـده فـوق الصنـدوق المفتـوح،

ولكـن فلتـت الأحجـار مـن بعضهـا لتطحـن لحـم كـف يـده بينهـما وتندفـع إحـدى الأحجـار لتشـق كـف يـده الأخـرى، فـصرخ وسـالت الدمـاء مـن كفـه لتسـقط داخـل الصنـدوق، فاسـتند بيـده المجروحـة عـلى حافـة الصنـدوق المفتـوح وهـو يتـألم ويـصرخ:

- جـرح كـف يـدي وطحـن كفـي الآخـر بالحجـر يا(ماهـر).. كان هـذا ينقصنـي.. آآآآآآآآآآآآآه.

كان (عبد العزيز) يسمع صراخ صديقه (ماهر) من الخارج فقال:

- اهـدأ.. سـأهدم الجـدار وسـأخرجك.. تماسـك خمـس دقائـق حتـى أحـضر فأسـا أو بلطـة مـن الموقـع وأعـود مـع بعـض الشـباب.

لم يـرد (ماهـر) مـرة أخـرى.. شـعر (عبـد العزيـز) برجفـة قويـة تحـت قدميـه.. كانـت الصخـرة تهتـز كأن زلـزالٌ ضرب البحـر فجـأة وبقـوة كادت أن تسـقطه في البحـر مـع صـوت انفجـار مكتـوم، فتماسـك وانبطـح عـلى بطنـه لـكي لا يسـقط ثـم سـمع مـرة أخـرى صراخ (ماهـر) الشـديد..

صراخ أشد من سابقه..

كان (ماهر) هذه المرة لا يصرخ بألم، بل يصرخ بذعر!

- (ماااااهر).. ماذا حدث؟.

- (ماااااااااااااااااااااااااااااهر).. أجب.

ولكن لا مجيب..

عاد الصمت..

وفقده للمرة الثانية!

***

عندما وصل (عبد العزيز) إلى تلك النقطة من القصة ارتجف وأخذ يبكي بصوتٍ عالٍ وأجهش في بكاء عنيف كالأطفال، فنظرت (أميرة) إلى (إياد) الذي اقترب بدوره من (عبد العزيز) قائلا:

- أدرك قسوة ماتقصه.. وأعرف مدى صدقه؛ فقد وجدنا بالفعل جثمان صديقك (ماهر) داخل الصخرة وكان يرقد بداخل أحد هذه الصناديق التي ذكرتها وهي بالمناسبة توابيت تعود للعصر الروماني.. كانت جثته مجهولة طوال ستة أشهر مضت حتى اليوم صباحا فقط.. فالجثة تطابق مواصفات صديقك (ماهر) وتطابق قصتك.. أشكرك لثقتك بنا، وسأذهب حالا لأتحدث مع المسئول هنا بالمصحة ليخرجك اليوم لتعود إلى بيتك.. كما وعدتك!

أخذت (أميرة) حقيبتها وارتدى (إياد) جاكت بدلته واستدارا يهما بالرحيل.. تمتم (عبد العزيز) وقد توقف عن البكاء بشكل مفاجىء:

- وجدتم جثة (ماهر) في تابوت! كانت جثته جثة رجل! إذن من هذه المرأة!

ارتفع صوت (ماهر) شيئا فشيئا وهو يكمل:

- لقد تحول (ماهر) إلى امرأة وأنا أنقذته من الصخرة بعد ذلك وهو حي الآن.. انتظرا.. انتظرا..

رفع (عبد العزيز) عينيه الحمراوين الغارقتين بالدموع وأنفه يسيل دموعا فقدت طريقها، مسح وجهه بكمه وهو يقول بصلابة مفاجأة جعلتهما يتجمدان عند باب الغرفة وهما يسمعان ما تمتم به للتو ويتبادلان النظرات المصدومة، والتفتا إليه في نفس اللحظة بعيون مفتوحة:

- انتظرا..

فالقصة لم تنتهِ عند هذا الحد..

لقد دخلت بنفسي إلى قلب الصخرة بعد ذلك بشهر..

وهناك ما يجب أن تعرفوه ايضا..

سـأقص عليكـما مـا حـدث لـ(ماهـر) بعـد ذلـك لأعـرف لمـن تكـون تلـك الجثـة التـي تتحدثـان عنهـا.. ومـن هـي المـرأة؟

***

الفصل السابع

بعد سماع (عبد العزيز) صرخة (ماهر) واختفاء صوته مجددا هرول إلى الشاطىء خارجا من الماء وسحب بلطة من أحد زملائه العمال القريبين، وهرول متجها إلى البحر حاملا إياها وهو يصرخ باسم (ماهر) ويصرخ بزملائه ليشاركوه ويلحقوا به، وأخذ يضرب الصخرة التي لم تتشقق وكأنها مصنوعة من الفولاذ الصلب.

هرول خلفه زملاؤه يجذبونه ويجرونه جرا خارج الماء وهم يضربون الكفوف على عقله الذي ذهب..

صرخ (عبد العزيز) فيهم:

- لست مجنونا.. ساعدوني، (ماهر) عالق داخل الصخرة.. (ماهر) كان يستنجد بي ويحدثني منذ دقائق قليلة وانجرحت يده ثم صرخ مفزوعا.. اكسروها معي فهو بالداخل في خطر الآن.. أنقذوه معي أو اتركوني أنقذه وحدي.. ساعدوني.. أو اتركوني.. نادوا باسمه سيجيب عليكم.

بالطبع لم يصدقه أحد.. ولم يسمع أحد صوت ماهر..

أخرجوه من البحر عنوة وأخذوا البلطة منه بالقوة وهم يضربون الأكف على عقله الذي ذهب..

هرب منهم بعد أقل من نصف ساعه عائدا إلى الصخرة التي كان يصر علي أن يكسرها كالمجنون.. بمجرد أن بدأ ضرب جسم الصخرة ببلطته حتى لاحظوا مايفعله وهرولوا ثانية يخرجونه وهم يؤكدون أنه قد جن حتى تكرر الأمر لثالث مرة في نفس اليوم، وكل مرة يصبح (عبد العزيز) أكثر عنفا تجاه من يمنعوه من زملائه حتى دفع بعض زملائه فسقطوا على

الصخـور وكـسرت سـاق أحدهـم وجـرح آخـر جرحـا غائـرا برأسـه..

أمـر مديـر المـشروع بإيـداع (عبـد العزيـز العبيـدي) المستشـفى العـام بـ(مطـروح) بعـد أن تسـبب في أذى وإصابـة زملائـه وحـضرت الشرطـة..

كان في غرفـة مغلقـة كالسـجن اقتناعـا مـن الجميـع أنـه يعـاني مـن صدمـة عصبيـة أفقدتـه عقلـه نتيجـة فقدانـه صديقـه (ماهـر).

حقنـوه بـكل أنـواع المهدئـات الممكنـة والتـي لم تسـتطع نـزع قصـة وجـود (ماهـر) بداخـل الصخـرة والحديـث الـذي دار بينهـما مـن عقلـه، ولكنـه كان يـصر عـلى قـولٍ واحـدٍ:

- لسـت مجنونـا.. لسـت مجنونـا.. كل هـذا حـدث حقـا.. (ماهـر) حدثنـي مـن قلـب الصخـرة ولم أكـن مخبـولا أو واهـما.. أنقـذوا ماهـر.. أنتـم تقتلـوه .. أنـا أعـرف مكانـه.

حتـى تـم نقلـه إلى مستشـفى العصافـرة بـ(الإسـكندرية) للطـب النفـسي والأمـراض العقليـة بعـد أن أقـر الأطبـاء أن حالتـه ليسـت مجـرد صدمـة عصبيـة بـل فقـدان تـام للعقـل.

مـر شـهر وهـو سـجين غرفـة المستشـفى يبـكي ليـلا ونهـارا ويرجـو الجميـع أن يصدقـوه وأن يذهـب أحدهـم لفحـص الصخـرة.. وكل مـرة يحـكي فيهـا قصتـه لشـخص وعـده بتصديقـه لا يجـد إلا مهدئـات وجلسـات كهربائيـة في نهايتهـا.

حتى قرر الهروب!

سيُخرِج صديقه أو حتى جثمانه ليصدق الجميع أنه ليس مجنونا..

يجب أن يهرب ليؤكد لنفسه قبل الناس أنه عاقل وليس مجنونا..

ليعرف على الأقل هل كانوا هم على حق أو لا!

اسـتيقظ صباحـا وهـو يـصرخ بهيسـتيريا ويـضرب زملائـه في العنـبر حتـى

أودعـوه غرفـة خاصـة انفراديـة ليهـدأ.

في المسـاء، وبعـد أن تجنـب أخـذ أقـراص المهـدىء والمنـوم بحركـة خـداع للممـرض وأوهمـه أنـه أخذهـا واطمـئن الممـرض أن (عبـد العزيـز) قـد نـام، دخـل الممـرض بأمـان تـام ليعطيـه مجموعـة مـن الحقـن ويعلـق لـه المحاليـل التـي تحمـل العقاقـير المهدئـة، فاسـتدار (عبـد العزيـز) وضرب رأس الممـرض بالحائـط حتـى سـقط مغشـيا عليـه، فأخـذ ملابـس الممـرض وارتـدى الكمامـة الطبيـة التـي أخفـت ملامـح وجهـه وأخـذ ماوجـده في جيـب الممـرض مـن مـال وخـرج مـن المستشـفى يقصـد أول حافلـة متجهـة إلى (مـرسى مطـروح).

وصل (عبد العزيز) إلى (مطروح) بعد منتصف الليل..

لم يقصد أسرته ولا بيته..

بل قصد حمام (كليوباترا) رأسا..

إن كان مخبـولا وجُـن حقـا وكل ماحـدث هـلاوس فلـن يجـد كل مـا ذكـره لـه (ماهـر) في حديثـه مـن قلـب الصخرة..

لـن يجـد الجـدار الـدوار في المسـبح الـسري بقلـب التمثـال والـذي يصـل إلى الممـر الـذي بـه هيـكل عظمـي هـش ولـن يجـد الـذراع في نهايتـه الـذي يصـل إلى قلـب الصخـرة ولـن يجـد الصناديـق التـي وصفهـا لـه (ماهـر) والتمثـال.. ولـن يجـد ماهر..

إن لم يجـد شـيئا مـن ذلـك، وقتهـا سيسـلم نفسـه إلى المستشـفي ويستسـلم لفكـرة أنـه مجنـون خطـير يحتـاج العـلاج حقـا.. وتهـدأ نفسـه الثائـرة بـأن صديقـه حبيـس صخـرة.

وإن وصـل إلى نفـس المـكان ووجـد ماوصـف لـه سـيخرج لهـم بـ(ماهـر) حيـا أو بجثمانـه خاصـة بعـد مـرور شـهر حتـى يؤكـد للجميـع أنـه كان عـلى حـق منـذ البدايـة وهـم مـن منعـوه مـن إنقـاذه سـابقا وقتلـوه.

ولكـن (ماهـر) حـذره أن الطريـق الـذي ينتهـي في قلـب الصخـره طريـق لا رجعـة منـه ومظلـم.. طريـق ذو اتجـاه واحـد ينتهـي بكونـه سـجين جـوف صخـرة مظلمـة مثلـه.

فاشـترى بلطـة وفأسـا ليكـسر جـدار الصخـرة مـن الداخـل حـال وصـل إليهـا ووجـد الطريـق الـذي وصفـه (ماهـر) فعـلا ولم يكـن مجنونـا..

اشـترى (عبـد العزيـز) أيضـا كشـافا مقاومـا للـماء يسـتخدمه الغطاسـون ليأخـذه معـه ليقـاوم الظـلام السرمـدي الـذي حـكي عنـه (ماهـر) مـع بطاريـات متعـددة، واشـترى أيضـا حقيبـة ظهـر امتـلأت بالميـاه والمعلبـات طويلـة الأجـل.. كل ذلـك مـن مـال الممـرض الـذي سرقـه وقـد نـوى أن يعوضـه ضعـف المـال حـال عودتـه في كل الأحـوال، إمـا بـ(ماهـر) حيـا أو ميتـا أو معترفـا بجنونـه.

كان يتحدى نفسه..

مجنون ومختل أم عاقل! يقتله الفضول ليعرف الإجابة!

خطوات قليلة وسيعلم..

تسلق (عبد العزيز) التمثال..

جذب الذراع..

فتحت فجوة برأس التمثال..

انزلق بحمولته إلى القلب التمثال..

قفز في المسبح..

غطـس وهـو يـضيء الكشـاف القـوي المـائي وبحـث في جسـم جـدار المسـبح ليجـد بالفعـل ذراعـا صغـيرا بـارزا بـه خيـوط مـن نسـيج قميـص (ماهـر) يـوم اختفائـه..

ابتسم بانتصار وسمى باسم الله وجذب الذراع وقلبه ينتفض بين ضلوعه راجيا أن يدور الجدار ليثبت أنه عاقل.

جاء رد الجدار سريعا وبدأ يدور حول نفسه وتم قذفه بقوة داخل الممر مع بعض الماء..

الممر المظلم الكريه العفن الرطب الذي وصفه (ماهر)..

إنه هو!

حوائطه رطبة ممتلئة بالطحالب ولكن أرضه جافة نوعا ما برغم توقع كونه يمر داخل البحر.

حرك (عبد العزيز) الكشاف كاشفا الممر الضيق باحثا عن الهيكل العظمي الهش الذي أخبره (ماهر) أنه وجده..

ها هو.. ها هو هناك..

الهيكل العظمي الآدمي .. محطم الأجزاء التي دهسها (ماهر) يوما ما في الظلام حين تعثر به.

(ماهر) مر من هنا يوما..

وكل ما وصفه له يجده الآن تفصيلا..

لم يكن مجنونا إذن..

من كان يحدثه هو (ماهر) بحق ولم يبق إلا أن يعبر الجدار الآخر إلى قلب الصخرة..

نهاية طريق (ماهر)..

بحث بيده حول الجدار مستخدما الكشاف ليكتشف الذراع المخبأ أعلى الجدار المصمت الذي أخبره عنه (ماهر)

لمسه وهو يبتلع ريقه برعب..

فسوف ينفتح الباب ليدخل آخر غرفة..

إما سيجد فيها (ماهر) حيا بطريقة ما بعد مرور شهر كامل..

أو سيجد جثمانه في حالة من المؤكد ستكون بشعة بعد تحلل دام شهرا..

وفي كل الأحوال هناك احتمال قائم أن يصبح سجينا هو الآخر للصخرة ويموت جوار صديقه.. ولكنه سيعرف أنه لم يكن يوما مجنونا.. ومستعد لذلك!

جذب الذراع فانفرج الجدار بباب قصير صغير وسلط ضوء الكشاف بداخله ليجد غرفة بحجم الصخرة من الخارج وفيها صناديق حجرية متراصة في شكل دائري منقوشة برموز لا يفهمها..

وبمجرد أن خطا بقدمه ودخل حتى أغلق باب القصير في الجدار بقوة وسمع شهقة رعب مفزوعة.

انتفض لسماعه تلك الشهقة..

- (ماهر).. أنت مازلت حيا؟.. (ماهر)..

لم يسمع إجابة ولكن شعر بجسم يختفي زحفا خلف أحد الصناديق وأنفاسه المتلاحقة اللاهثة تعلن أنه خائف ومذعور..

خطا (عبد العزيز) بهدوء هو الآخر مقتربا من الصندوق لينظر خلفه ليجد شخصا منكمشا خوفا يضم ساقيه إلى صدره.. اقل حجما من ماهر.

سلط عليه ضوء الكشاف.. نفس قميص (ماهر) الأحمر القطني والبنطال القماشي الرياضي الكحلي الذي كان يرتديه بالمسبح يوم أن فقده.. ولكن لم يكن (ماهر) من يرتديها..

كانـت امـرأة ذات شـعر أسـود طويـل وعيـون بنيـة.. حسـناء للغايـة.. بـل أجمـل امـرأة رآهـا عـلى الإطـلاق برغـم اتسـاخ ملابسـها وجسـدها.

صرخت حين رأته فصرخ هو الآخر:

- من أنتِ؟ وأين ماهر؟.

نظـرت لـه بصمـت وهـي تتراجـع إلى الخلـف زاحفـة عـلى الأرض، فكـرر (عبدالعزيـز) سـؤاله:

- أين ماهر؟ أين (ماهر) .. ومن أنتِ؟.

قالت بلسان مضطرب كطفل يتعلم الحديث:

- أنا (ماهر)!.

- أنتِ (ماهر)! أنتِ (ماهر)؟.

أومـأت برأسـها رعبـا وتوتـرا.. قـال (عبـد العزيـز) وهـو يضـع كفـه عـلى رأسـه كأنـه يمنـع عقلـه مـن الفـرار:

- أنا مجنون.. نعم أنا مجنون.. صدقتهم.. أنا حقا مجنون!

جذبها من ملابسها وهو يقول بعنف:

- تكلمـي وإلا قتلتك فأنـا مجنـون .. أيـن (ماهـر) يـا امـرأة.. إنـكِ ترتديـن ملابـس (ماهـر).. وتقولـين أنـكِ (ماهـر).. و(ماهـر) كان حبيـس ذلـك المـكان بالفعـل.. ولم يدخـل المـكان سـواي وسـواكِ..

ردت بصوت ينتفض ويرتعش:

- أنا (ماهر).. أنا (ماهر) يا(عبد العزيز).

صمت حين ذكرت اسمه فهو يعلم أنه لم يرها من قبل، فقال لنفسه:

- أنا مجنون.. كيف تكون تلك السيدة هي نفسها (ماهر)؟ مستحيل!.

فاقترب منها بسرعة وهو يجثو على ركبته ويقول:

- تمام.. أنتِ (ماهر).. ولا يوجد جثمان.. ولا يوجد غيرك هنا.. وأنتِ من ترتدين ملابس (ماهر) في المكان الذي كان يجب أن أجده به.. ولكن فسري لي الآتي:

- كيف ظللتِ حية شهر كامل بدون طعام وماء؟.

كيف كنتِ تقولين لي أنكِ تتضورين جوعا وتموتين عطشا منذ شهر وتظلين حية إلى اليوم؟ كيف أنتِ حية أمامي الآن بهذا الشكل الأنثوي وكيف تحولتِ إلى امرأة؟.

أقصد كيف تحولت إلى امرأة؟ هل أحدثكِ بصيغة الذكر أم الأنثى؟ ها.. أخبريني أني مجنون أرحم من كل مايحدث لي.. ياليتني لم آتِ إلى هنا وظللت بالمشفى!

صمتت وهي تنظر له بعينين متحجرتين لا ترمشان..

- هل أنتِ تمثال؟ ردى عليّ؟ أجيبي أسئلتي.

قالت بتلعثم:

- ماذا تريد أن تعرف يا(عبد العزيز)؟.

- ماذا أمثل لك وأين التقيتني أول مرة؟.

أعادت شعرها الأسود للخلف وهي تقول بتوتر وعيناها مثبتتان في عينيه:

- أنت (عبد العزيز العبيدي) صديقي.. التقينا في العمل بالقاهرة بأحد المشاريع الإنشائية وكنت تقيم في شقتي فترة وجودك بـ(القاهرة) كنت

تنام في الغرفة المجاورة لي ونتقاسم أعمال المنزل بيننا وعدت إلى (مطروح) منذ عام وأنت من عرضت علي حضوري إلى (مطروح) ورشحتني للعمل وأنت من أخذتني إلى قلب التمثال بحمام (كليوباترا) فجرا حتى وصلت إلى هنا وكنت تحدثني خلف الصخرة لتنقذني ثم اختفيت وانا تعرضت لصدمة أفقت منها لأجد نفسي امرأة.

ابتلع (عبد العزيز) ريقه وقال:

- ماذا كان آخر غداء لنا سويا؟

- سندوتشات شاورما بشارع الإسكندرية ثم جلسنا نحتسي الشاي بقهوة هناك..

فقال (عبد العزيز) وعيناه تتسعان ذعرا:

- وماذا كان آخر طلب طلبته مني؟.

- أن أتزوج فتاة من قبيلتك وأعيش بـ(مطروح)!.

- (ماهر).. أنت حقا (ماهر).. لاحول ولاقوة إلا بالله.. أنا أشك في قوة عقلي حقا..

قالت المرأة بحماس النصر:

- هل تستطيع إخراجنا من هنا يا(عبد العزيز)؟.. أريد أن أخرج.. يجب أن أخرج وأن آخذ تلك التوابيت معي إلى مكان آمن..

- لقد قلت لي أن بالصندوق تمثال حجري؟ هل ماوجدته له علاقة بتحولك إلى أنثى؟.

هم بالاقتراب من التوابيت المغلقة فصرخت به محذرة:

- إياك أن تفتحها وإلا ستتحول أنثى مثلي.. لا تمس تلك التوابيت إنها

مسحورة.. يجب أن تخرجني وننقلها سويا وستفهم كل شيء فيما بعد.. إياك أن تفتحها.. هل فهمت.. ساعدني لأعود رجلا ياصديقي.

قامت المرأة من الأرض واتجهت لأحد الجدران وقد زال توترها وأشارت له وهي تقول:

- هنا كان يوجد بوابة مستطيلة للخروج ولكن من الواضح أن ضربات أمواج البحر في جدار الصخرة الخارجي ونمو الطحالب البحرية والأعشاب قد أتلف طريقة فتحها وجعلها ملتحمة بشكل ما بجدار الصخرة.. ساعدني أرجوك لفتحه، إنها أضعف منطقة يمكننا كسر جدار الصخرة من خلالها.. إن الصخرة مصنوعة من حجر لن ينكسر إلا من مكان البوابة القديم فقط.

أخرج (عبد العزيز) بلطته التي اشتراها وناولها الفأس الأخرى الصغيرة التى كان يحملها للطوارئ في حالة كسر أو تلف البلطة لتمسكها معه وقال:

- ساعدني يارجل.. لاتصدق هيئتك الجديدة وشعرك الناعم الطويل هذا.. اكسر معي الصخرة هيا..

وبدأ يضرب الجدار بالبلطة بقوته العالية في المكان الذي حددته هي كأضعف منطقة وهي تضرب بجواره ببلطتها الصغيرة بقوة كبيرة أيضا لا تتناسب حقا مع جسدها النحيل لتساعده في تحطيم الجدار الذي بدأ يستجيب بالفعل لضرباتهما.. وألف سؤال يعصف بعقله لا يجد له جوابا ولكنه أزاحها جميعا جانبا حتى يخرج هو وتلك المرأة حاملين التوابيت..

ساعات مرت وهما يكسران الجدار من الداخل حتى شعر (عبد العزيز) بالإجهاد، فجلس على الأرض مادا ساقيه أمامه يلتقط أنفاسه وتناول حقيبته ففتحها وأخرج علبة معدنية سهلة الفتح تحتوي على طعام معلب

وزجاجـة ميـاه ونـاول مثلهـا للسـيدة الجميلـة التـي كانـت (ماهـر) سـابقا!.

- استرح يا(ماهر) وتناول شيئا.. أشعر بالخجل وأنا أناديكِ (ماهر)!.

لم تلتفـت إليـه المـرأة .. أخـذ (عبـد العزيـز) يـأكل بجـوع حتـى لاحـظ أن المـرأة تسـتكمل ضرب الحائـط بالفـأس بقـوة ولم تفتـح علبتهـا أو تـشرب الميـاه.

- (ماهـر).. تنـاول أو تنـاولي أي وجبـة.. سـنرتاح قليـلا ونكمـل كـسر الجـدار.. سـأموت تعبا!.

ردت عليه دون أن تلتفت له:

- لا.. لسـت جائعـة.. لا أريـد طعامـا.. ولسـت متعبـة.. أريـد أن أخـرج فقـط مـن هنـا في أسرع وقـت.. اشـتقت للحيـاة!.. يبـدو أننـي ولسـبب مـا أصبحـت لا أكل ولا أشـعر حتـي بجـوع.

مـع شروق الشـمس انهـار الجـدار وسـمح لأشـعة الشـمس باخـتراق قلـب الصخـرة ربمـا لأول مـرة منـذ آلاف السـنين..

غطـت السـيدة عينيهـا التـى آلمتهـا عندمـا لامسـت ضـوء الشـمس بعـد طول مكـوث في الظـلام.. قفـز (عبـد العزيـز) خارجـا مـن الجـدار الجانبـي للصخـرة وقفـزت بعـده المـرأة وقالـت لـه:

- التوابيـت.. يجـب أن آخذهـم لـن أرحـل بدونهـا.. أحضرهـا معـي يا(عبدالعزيـز).

- هيـا بنـا الآن.. سـأحضر سـيارتي الربـع نقـل لإخـراج هـذه الصناديـق وأسرق لـك فسـتانا مـن فسـاتين أختـي القديمـة بـدلا مـن تلـك الملابـس المتسـخة.. أتمنـى أن يكـون بالصناديـق مـا يعيـدك رجـلا مـرة أخـرى يا(ماهـر).. أشـعر بالحـرج وأنـا أتعامـل معـك بتلـك الهيئـة .. لـن أضحـك ثانيـة عندمـا أشـاهد فيلـم (بنـات العـم)!.

ذهبت معه إلى بيته الذي دخله خلسة عن طريق بوابة خلفية في أثناء نوم أهله لإحضار مفاتيح سيارته وغيرت هي ملابسها في غرفة أخته المتزوجه الخاوية وانطلق بسيارته وهي بجواره وهو يخفي وجهه بوشاح عربي، وعندما عادا إلى مكان الصخرة وجدا الشرطة بكل مكان..

الشرطة تحيط بالصخرة.. رجال ونساء.. مصورون.. صحافة..

وقف (عبد العزيز) بعيدا وهو يمسك ذراعها ليوقفها عن اندفاعها نحو حمام (كليوباترا) والصخرة ليقف وهي معه وسط زحام المتطفلين..

- هيا يا(عبد العزيز) لماذا تمنعني! هيا لنحضر التوابيت يارجل!.

- ألا ترى الشرطة يا(ماهر)؟.

- أريد التوابيت، لن أرحل بدونها .. مهما كلفني الأمر سأخذها.. مالي ومال الشرطة أنا!.

- يا رجل إنهم هنا بسبب الصخرة والتوابيت نفسها التي أتينا نحن من أجلها.. من الواضح أنه اكتشاف أثري لا أعرف أنا ولا أنت قيمته.. لا يجب أن يرانا أحد، وجميع الموجودين من العمال يعرفونني.

اتسعت عيناها ذعرا:

- إنهم يحملون التوابيت.. سيأخذونها.. امنعهم يا(عبد العزيز).

نظرت إلى (عبد العزيز) بفزع فقال لها:

- وماذا عساي أن أفعل يا(ماهر)! لست الرجل الخارق.. أنا هارب من مستشفى المجانين.

- أريد تلك التوابيت.. لا يجب أن يأخذوها.. ليأخذوني معها إذن!

كانت تتحدث بعنف وعصبية..

هبت رياح قوية آتيه من البحر جعلت الوشاح يطير بعيدا عن وجه (عبدالعزيز) الذي - وبعد لحظات فقط - تعرف عليه معظم الموجودين من العمال الذين أتوا ليشاهدوا الصخرة المحطمة والاكتشاف الأثري في منطقة عملهم والذي هز (مطروح) خلال ساعة.. ولكنهم فزعوا لوجود ذلك المجنون الخطر الهارب بينهم فهجموا عليه ليقيدوه خوفا من أن يصيب أحدهم ثانية بسوء وسلموه إلى الشرطة وهو يصرخ فيهم بأن يتركوه.. وعيناه تتابعان تلك المرأة الخائفة الباكية الغاضبة وهي تركض مبتعدة عنه.. وهو ينادي بأعلي صوته عليها باسم (ماهر).. وهي تنظر له وتعدو بعيدا!.

- (ماااااهر).. لا تتركني.. سيعيدونني إلى المستشفى.. أرجوك لا تتركني يا(ماهر).. (مااهر).. اثبت لهم أني لست مجنونا يا(ماهر).. عرفهم قصتك وماحدث لك ياصاح.. (مااااهر).. إنها ماهر.. تلك المرأة هي ماهر.

ولكنها ابتعدت وهي تركض..

** ** ** ** **

- أعادوني إلى المستشفى وقد صرت مجنونا خطيرا منذ ذلك الحين.. ستة أشهر بعدها وأنا حبيس مستشفى الأمراض العقلية.. أقسم لهم أن صديقي تحول إلى امرأة وقد أنقذته من الصخرة ولكنه هرب وتركني.. وأنتم تخبروني ببساطة أن جثة صديقي كانت بداخل أحد الصناديق المغلقة التي اكتشفتوها في ذلك اليوم بالفعل.. إذن من تلك المرأة التي كانت بالصخرة وخرجت معي؟ من هي؟.. وكيف كانت تعرف كل ذكريات (ماهر) وكل شيء بيني وبينه حتى أثبتت لي أنها صديقي وقصت على الكثير من أسرارنا؟.

قالها (عبد العزيز) بعد أن فرغ من قصته وعيون (إياد) و(أميرة) تكاد لا ترمش من هول وغرابة ماقصه (عبد العزيز).

الفصل الثامن

- أعرف أن (عبد العزيز) وبرغم أنه أصر أن يخفي اسم ومكان المنطقة التي كانا يسبحون فيها وبدأ منها الطريق إلى قلب الصخرة لكلاهما، إلا أن كل ما ذكره حقيقي للغاية والدليل هو الفستان الأنثوي الذي وجد مع جثمان (ماهر) داخل التابوت.. الفستان ببساطة يخص المرأة التي التقى بها (عبد العزيز) وهي من استبدلت ملابسها بملابس (ماهر) بعد أن قتلته بشكل ما..

قالها (إياد) لـ(أميرة) وهو يحتسي القهوة بمكتبهما في مديرية أمن (الإسكندرية) عقب عودتهما من المستشفى بعد أن أشرف بنفسه على إجراءات خروج (عبد العزيز) على مسئوليته الشخصية.

فقالت (أميرة):

- الفستان الروماني أصلي كما أكدت لكم من قبل، وضَعْ بجوار تلك النقطة علامات تعجب لا نهائية لا يوجد لها إجابة.. إن هذه المرأة إذن تنتمي إلى العصر الروماني هي الأخرى!

شردت (أميرة) وأكملت:

- كيف امتلكت المرأة الرومانية ذكريات وحياة (ماهر) بوضوح وأكدت المرأة لـ(عبد العزيز) أنها هي نفسها (ماهر) بإجابتها كل أسئلته كأنها هي (ماهر) حقا وجعلته يقتنع ويصدق أن (ماهر) تحول إلى أنثى؟!

كيف عاشت شهرا كاملا بدون طعام ولا شراب بقلب الصخرة؟

هذا إذا وجدنا معلومة تؤكد متى وصلت تلك المرأة الرومانية إلى قلب الصخرة من الأساس، فلربما كانت بداخل الصخرة من قبل وصول (ماهر)..

ربما كانت هناك منذ العصر الروماني نفسه! وربما هناك فجوة زمنية تسمح بالانتقال عبر العصور عبر تلك الصخرة!

قال (إياد):

- أرى أن نغلق ملف مقتل (ماهر) الآن مؤقتا حتى وإن بقيت بعض التساؤلات الغامضة دون إجابة.. فقد توصلنا في أربع وعشرين ساعة إلى معلومات ونتائج باهرة في قضيته وبعض علامات الاستفهام التي لاتزال مطروحة دون إجابة سنجد إجاباتها حتما مع المضي قدما في تحقيقنا.. ولننتقل إلى الملف التالي.. ملف قتل (أحمد عبد الله).

ابتسمت (أميرة) وقالت له:

- ابدأ تحقيقك في قضية (أحمد عبد الله) أنت.. أما أنا فسأذهب إلى مكتبي بكلية الآثار لكي أترجم النص الكبير المكتوب بالآرامية الذي وجدناه بجدار الصخرة بـ(مطروح) بالأمس.. ربما سيحمل لنا بعض التفسيرات التي نريدها.

***

بمكتب (إياد) بمديرية أمن (الإسكندرية) جلس مدير المتحف الروماني مقابلا لـ(إياد).. قال مدير المتحف له:

- (أحمد) شاب طيب ليس له أي أعداء بالعكس، فالجميع يحبونه ويحب الخير للجميع.. توفي منذ ثلاثة أشهر كما تعلم.. متطوع في الكثير من الجمعيات الخيرية.. هل هناك جديد بقضيته لإعادة فتح التحقيقات؟

- سنبدأ من جديد.. سأعيد استجواب الجميع بلا استثناء.. أي شخص له علاقة بـ(أحمد).. أصدقاء.. أهل.. زملاء.. الجميع بلا استثناء!

لم يضف المدير كثيرا عما ذكر في المحضر الأول، ولم يضف أي شخص أو

زميـل أعـاد اسـتجوابه أي معلومـة هامـة تخـص (أحمـد)، وعـلي عكـس ماحـدث في قضيــة (ماهــر) مــن اكتشــافات متتاليــة وخيــوط هامــة عجيبــة جــاءت تحقيقـات تلـك القضيـة بـاردة هادئـة لا تضيـف شـيئا جديـدا، فملـف هـذه الجريمـة ليـس بـه أي مشـتبه بـه أو دافـع مـن أحدهـم لقتـل ذلـك الشـاب المسـالم، مـما دفـع في قلـب (إيـاد) بعـض اليـأس والإحبـاط للحظـات.

حتى دخل والد (أحمد) لمقابلة (إياد) وقال:

- (أحمـد) قليـل الـكلام انطـوائي بعـض الـشيء.. لم يكـن لـه علاقـات صداقـة قويـة.. فهـو مـن المتحـف للبيـت للجمعيـة الخيريـة والأعـمال التطوعيـه فقـط.. كل حياتـه كانـت للخـير والعمـل.. ربمـا قبـل وفاتـه بثلاثـة أشـهر فقـط بـدأت صداقتـه القويـه بـ(زينـب).. كانـت صديقتـه الوحيـدة التـي كان يحدثهـا يوميـا ويخـرج برفقتهـا وتعلـم عنـه كل شيء.. وكنـا أنـا ووالدتـه ننتظـر أن يطلـب خطبتهـا في أي لحظـة.. لم يمنعـه سـوى ظروفهـا الصعبـة خاصـة مـع عـدم تأكـده مـن أنهـا لم تكـن متزوجـة! فخـاف أن يخطبهـا ثـم يكتشـف أن لهـا أسرة وزوج بعـد ذلـك..

اعتدل (إياد) في جلسته بانتصار وبرقت عيناه وهو يسأل:

- (زينـب)؟ لم أجـد أقوالهـا بـأي محـضر سـابق أو يقابلنـي اسـمها بالقضيـة.. ومـن هـي (زينـب) تلـك؟.

***

قبل ستة اشهر

توقف(أحمـد) عنـد بـاب المتحـف صباحـا وعينـاه متعلقتـان بشـابة فاتنـة والتـي يراهـا منـذ يومـين تجلـس أمـام بـاب المتحـف صامتـة شـاردة حزينـة..

لا يمكـن أن تكـون متسـولة أبـدا.. إنهـا شـابة ناضجـة جميلـة ليسـت فتـاة مراهقـة.. اقـترب منهـا وقـال بخجـل:

- هل أستطيع تقديم أي مساعدة لكِ ياسيدتي؟

رفعت عينيها الجميلتين له وهي صامتة وأشارت أن لا.. وعادت للنظر في الفراغ!

تركها بعد أن اعتذر عن تطفله ودخل إلى المتحف..

كان يراقبها من النوافذ وقد زادت حيرته بها لأنه طوال ساعات عمله الثمان لاحظ أنها لم تتحرك من مكانها قيد أنملة!

لم يتمالك فضوله في اليوم التالي عندما وجدها تجلس بنفس المكان بنفس الثياب، فاقترب منها:

- أنا لا أضايقك صدقيني، ولكني أتوقع ان هناك مشكلة ما تواجهك.. أنا (أحمد عبد الله) مرشد سياحي بالمتحف الروماني.. ومتطوع بأكثر من جمعية خيرية يمكنني أن أساعدك من خلالها وهذا هو الكارت الخاص بي.. إذا احتجتِ مساعدة فأنا تحت أمرك ولكن جلوسك بالشارع على هذا الحال سيعرضك للأذى والمضايقات.

أخيرا تحدثت ونطق لسانها وقالت له وهي تتوسل له:

- خذني معك أرجوك.. تعبت من جلوسي في الشارع، هل لي أن أستريح بداخل المتحف وأعدك أني لن أسبب لك أي مضايقات؟

- بالطبع تفضلي بمكتبي.. من أنتِ؟ ما اسمك؟.

قالت بتوتر:

- لا أعرف.. لا أتذكر.. ربما اسمي زيـ... زينـــ... (زينب)..

أعتقد أن اسمي (زينب).. نعم..

أنا لا أتذكر أي شيء..

لا أتذكـر أي شيء عـلى الإطـلاق، بـل وغـير متأكـدة أن هـذا هـو اسـمي الحقيقــي..

توقف ونظر لها:

- لا تتذكرين اسمك؟ هل تعرضتي لحادث؟.

- لا أعرف.. لا أتذكر؟ ربما!.

- أليس معك أي أوراق أو بطاقة شخصية أو إثبات هوية؟.

- لا.. ليس معي.. ليس معي حقيبة ولا أي شيء، ربما سرقني أحدهم..

- أنتِ فاقدة الذاكرة إذن؟.

صمتـت وهـي تنظـر لـه نظـرة خاويـة طفوليـة بعينـين جذابتـين.. فأخـرج هاتفـه والتقـط لهـا عـدة صـور وقـال:

- لا تقلقـي، فأنـا (أدمـن) صفحـة شـهيرة عـلى الـ(فيسـبوك) للبحـث عـن المفقوديـن تابعـة لإحـدى الجمعيـات الخيريـة الشـهيرة والتـي أعمـل متطوعـا معهـا، سـأنشر صورتـك وأبلـغ الشرطـة عـلَّ وعـسى أن يتعـرف عليـكِ أهلـك أو أصدقـاؤك.. وحتـى ذلـك الحـين سـتكونين ضيفـة في سـكن الجمعيـة الخيريـة.. مـن الواضـح أنـكِ تعرضتـي لحـادث سرقـة واعتـداء أفقـدك الذاكـرة!

- لا أعـرف.. أنـا متعبـة للغايـة وجلـوسي بالشـارع أنهكنـي.. هـل يمكننـي أن أدخـل معـك المتحـف؟.

- بالطبع، تفضلي معي.

دخلـت (زينـب) إلى المتحـف برفقـة (أحمـد).. شـهقت بمجـرد أن مـرت بـأولى القاعـات وهـي تقول:

- رأس الإسكندر الأكبر.. وحربوقراط.. وأيضا سيرابيس.. وهرقل..

ثم ظهر الغضب على وجهها وهي تقول:

- كان يجب أن ترتبوا التماثيل بشكل أفضل، فـ(بطليموس) الأول هو نفسه (سوتير) مؤسس دولة البطلمية وخليفة للـ(أسكندر) وليس ملكا مختلفا..

استدارت وهي تقول:

- لماذا تضعون تمثال لـ(أورليان)؟، لم يكن يحبه المصريون أبدا.. إنه ابن الإمبراطور (قليودس)، احتل (مصر) عنوة وكان يأخذ أموال المصريين.. ودمر حضارات عظيمة أخرى!.

واتجهت إلى تمثال وقفت تحته وهي تقول:

- هذا التمثال من الخطأ أن يُكتب عليه أنه يعود إلى العصر الروماني.. إن النقوش التى عليه مزورة، إنه يعود لعصر الإغريق البطالمة، تحديدا يعود إلى (بطليموس) الثاني عشر والد الملكة (كليوباترا) السابعة، لقد محا النقش الأصلي من الخرطوش الحقيقي للتمثال ونقُش نَقشا آخرا في عصر الرومان كنوع من طمس الهوية.. كيف لم تلحظوا أنه تمثال لـ(بطليموس) الثاني عشر في شبابه ليس لشخص روماني من الأساس... انظر إلى طراز الزي.. إنه زي إغريقي وليس رومانيا.

زفرت بضيق ثم دارت خلف التمثال وقالت وهي تتفقده:

- سأثبت لك.. انتظر..

أخذت تبحث حتى قالت بانتصار:

- انظر خلف رأس التمثال معي هناك نقش صغير بلغة البطالمة الإغريق مخفي ومكتوب عليه (بطليموس) الصغير.. ها هو.... ها هو.. رأيته..

وأشارت بالفعل بإصبعها لنقش صغير مختبىء خلف رأس التمثال فقرأه

(أحمـد) ونظـر لهـا وقـد اتسـعت عينـاه:

- إن ما تقوليه حقيقي، التمثال إغريقي وليس رومانيا..

قبـل أن ينطـق بكلمـة ويخـرج مـن انبهـاره كانـت قـد اتجهـت لتمثـال آخـر وقالت:

- وأيضـا هـذا التمثـال.. التاريـخ المكتـوب هنـا باللـوح خطـأ.. إنـه يعـود إلى العـام مائتـين ميلاديـا وليـس ثلاثمائـة وعـشرون ميلاديـا.. مـن كتـب هـذا العبـث؟.

نظر لها وقد اتسعت عيناه وهو يقول:

- من أنتِ؟.

فعادت لتنظر إليه بعينين خاويتين بريئتين:

- صدقني لا أعرف.. لا أتذكر.. أنا (زينب).

- (زينـب)، إنـك تعرفـين الكثـير والكثـير.. إنـك محـرك بحـث تاريخـي دقيـق متحـرك.. (زينـب) إن لـك علاقـة بدراسـة الآثـار والتاريـخ بشـكل قـوي.. ماتذكرينـه أكـثر مـما أعرفـه وأنـا مرشـد سـياحي.. تعـالي معـي فـورا.

أخذهـا وهـو يسـحبها سـحبا مـن يدهـا منبهـرا وقـد غـير طريقـه مـن مكتبـه إلى مكتـب مديـر المتحـف وقـص عليـه ماحـدث..

بـدأ مدير المتحـف يعـرض عليهـا صـورا لتماثيـل رومانيـة تعرفـت علـى ثمانـين بالمائـة منهـا بشـكل صحيـح دقيـق وسريـع مـع تحديـد العصـور بدقـة لـكل شـخصية وقصـت قصصـا دقيقـة عنهـم، ولكـن بعضهـم لم تعرفهـم عـلى الإطـلاق.. عـرض عليهـا مخطوطـة باللغـة الرومانيـة فقرأتهـا بطلاقـة وترجمتهـا!.

أخـرى بالآراميـة.. قرأتهـا بشـكل صحيـح أيضـا... أخـرى بالبطلميـة.. فقرأتهـا بطلاقة!.

- أنا حقا منبهر يا (أحمد).. إن لديها خبرة رهيبة.. إنها موسوعة تاريخية متحركة.. إنها فقدت الذاكرة فيما يخص حياتها.. ولكنها تتذكر جيدا معلوماتها وثقافتها.. بل إنها تصحح الكثير من الأخطاء التاريخية الشهيرة بدقة خبراء.. وبحجج تاريخية قوية.. كما أن هيأتها - بعيدا عن ثوبها المتسخ من مكوثها بالشارع - تدل على أنها ذات شأن رفيع وعلم.. حالا سأكلف من يغير تعريف التمثال الذي أشارت إلى أنه يرجع لـ(بطليموس) وأعدل التواريخ التي أشارت إليها.. فهي محقة في اكتشافها!.

فقالت له متوسلة:

- هل يمكن أن أعمل بأي عمل هنا معكم؟ أي عمل تراه مناسبا بالمتحف حتى أستعيد ذاكرتي وأتعرف على هويتي الحقيقية.. أنا أعرف تاريخ كل تمثال هنا وأعرف قصة كل حجر ومعني كل نقش.. ربما تستفيدون مني حين أكون بينكم حتى أستعيد ذاكرتي.. لا أريد العودة للشارع مرة أخرى أرجوك.

نظر المدير مترددا لـ(أحمد) الذي قال:

- كنت سآخذها للجمعية الخيرية وكانت ستقيم بدار المسنين أو دار الأيتام لتخدم كبار السن أو الأطفال ليكون مأوى لها حتى نصل لأسرتها أو تسترد ذاكرتها..

فقال المدير بحماس:

- لا.. مكانها الصحيح هنا في المتحف، أعتقد أن ذلك سينشط ذاكرتها.. وبصراحة اكتشفت أن وجودها مفيد جدا لنا هنا.. وبما أن ليس لديها أي أوراق رسمية ولا حتى بطاقة شخصية ستعمل هنا بشكل غير رسمي يوفر بعض المال الكافي للحياة بعد إبلاغ الشرطة بأوصافها وعمل محضر رسمي.. خذها في المساء لتبيت بالجمعية الخيرية حتى نوفر لها سكنا

بسيطا ولكنها ستعمل بالمتحف.

نظر المدير إليها وأكمل كلامه:

- سجلي كل ملاحظاتك الخاصة بمقتنيات المتحف.. فأنا أشعر أني أمام مرجع تاريخي قوي.. وسأستفيد كثيرا من وجودك بيننا يا(زينب).

مرت الأيام ويوما بعد يوم تمتد يد التحديثات إلى المتحف بسبب ملاحظات (زينب) ويتم نقل قطع أثرية بين الأقسام ويتم تغيير بعض التصنيفات وتصحيح التعريف وهي تثبت للمدير دوما أن لديها العديد من المعلومات وتحمل له الكثير من الانبهار.. جعلت الجميع يسحر بجمالها وذكائها وثقافتها وعلمها.. جعلت الجميع يتساءل.. من العبقرية الجميلة فاقدة الذاكرة؟ من هي (زينب)؟.

كان صديقها الوحيد هو (أحمد) .. لم تكن تختلط بأي شخص غيره.. (أحمد) الذي كان يأخذها لتبيت بدار الأيتام كل يوم بعد انتهاء أوقات العمل ثم يمر ليأخذها إلى المتحف معه صباحا بسيارته حتى بحث معها عن شقة صغيرة في حي بسيط بـ(الإسكندرية) واستأجرها لها.

ذات يوم اشتري لها شطائر وجلسا يتناولاها على كورنيش (الإسكندرية) وهم في انتظار موعد كتابة عقد ايجار الشقة عند مكتب محامي مكتبه بنفس العقار، فقالت وهي تنظر له وقد وضعت شطيرتها جانبا دون أن تمسها:

- أنت صنعت لي حياة يا أحمد.. شكرا لك.

- بل أنتِ من تصنعين لي صداقة حميمة غير معتاد عليها.. إنك تمتلكين حياة بالفعل يا(زينب).. بل أكاد أجزم أنك تمتلكين حياة عظيمة مبهرة وناجحة يوما ما سنعرفها معا وسأتشرف بأني كنت أجلس يوما إلى جوارك أتناول شطائر معك على كورنيش (الإسكندرية) ولن يصدقني أحد.. كنت

أجلس بجوار (زينب).

- ألا تخاف مني ومن أني شخص لا يملك أي ماضي أو هوية؟.

- بل أشعر أن الله وهبني هدية عظيمة بأن تكوني كالوليد تعرفي الدنيا معي من جديد.. ألا ترين كيف ينظر لك مدير المتحف والجميع دائما بانبهار؟ أكاد أجزم أنك ذات شأن رفيع.. رفيع جدا.. رِقتك.. رُقيك، كبريائك.. مشيتك.. ذكائك.. شموخك أشبه بالملكات..

تنهد (أحمد) وقال لنفسه دون أن يصدر صوتا وهو لا يعلم أن عينيه تفشيان حديث نفسه و(زينب) تسمع مايقوله من عينيه وهو ينظر إلى عينيها صامتا:

- (زينب).. أنا أحمل لك مشاعر أكثر من الصداقة ولكني لا أستطع أن أبوح بذلك إلا إذا تأكدت أن ليس لك زوج محب مكلوم يبحث عنك..

صمتت لحظة بعد أن قرأت صمته ثم ابتسمت ونظرت شاردة إلى البحر.

***

انتهى (إياد) من استجواب وسماع (زينب) والتي أجهشت بالبكاء فور أن قصت عليه كيف كانت علاقتها بـ(أحمد).. صداقة بريئة يشوبها بعض الحب المقيد المكمم.

جميلة جدا..فاتنة للغاية.. جذابة بشكل لا يقاوم.. واضح عليها الذكاء الحاد بل العبقرية.. ليست فتاة صغيرة مراهقة بل امرأة ناضجة.. تعقد شعرها الكثيف الأسود اللامع وترفعه ليصبح أقرب لذيل فرس عربي أصيل.. احتمال أنها كانت زوجة ولها أبناء يوما ما قبل أن تفقد ذاكرتها قائم بقوة بالطبع.. فامرأة ثلاثينية بمثل جمالها وفتنتها لابد وأن تكون قد تزوجت قبل ذلك العمر وأنجبت أطفالا..

ذلـك ماجعـل (أحمـد) لا يقـدم عـلى الـزواج منهـا أو مصارحتهـا بمشـاعره التـي فشـل في إخفائهـا عـن الجميـع خشـية أن تعـود لهـا الذاكـرة وتكتشـف أن لهـا أسرة.. مـن المؤكـد أنهـا كانـت ذات شـأن رفيـع ذات يـوم.. فطريقـة كلامهـا وشـموخها وكبريائهـا ونـبرة صوتهـا بجانـب جمالهـا الراقـي يـدلان عـلى أنهـا ليسـت امـرأة عاديـة.

فقال (إياد) بعد تفكير في ذلك الأمر:

- طـوال تلـك الشـهور التـي مـرت منـذ أن عملـت بالمتحـف وحتـى الآن لم يجـدك أهلـك أو تتذكـري أي شيء عـن نفسـك؟.

هزت رأسها إيجابا وهي تنظر أرضا بيأس:

- لم أتذكـر شـيئا عـن المـاضي حتـى الآن إلا مجـرد خيـالات غـير واضحـة.. ربمـا كان (أحمـد) رحمـة اللـه عليـه محقـا عندمـا كان متاكـدا أن لي أسرة وزوج يحبنـي.

ابتسمت له فقال منهيا استجوابها:

- بمـا أنـك كنـت أقـرب الأشـخاص لـ(أحمـد عبـد اللـه) في آخـر فـترة مـن حياتـه.. ألم تسـجلي أي ملاحظـات أو عـداوات؟!.

قالت ناكرة:

- لا.. عـلى الإطلاق..(أحمـد) كان طبيعيـا جـدا حتـى آخـر يـوم قبـل قتلـه.. (أحمـد) لا أحـد يكرهه..(أحمـد) مـلاك في هيئـة إنسـان.

- أشكرك أستاذة (زينب)..

الفصل التاسع

دخلت (أميرة) إلى المكتب وكادت أن تقول شيئا ما بحماس إلا أنها صمتت عندما لاحظت وجود (زينب) بالمكتب.. كانت هادئة راقية جميلة جدا لها حضور خطف عين (أميرة) للحظة، فتجمدت (أميرة) لحظة رؤيتها لـ(زينب).. فقدمها لها (إياد)، وعرفهم ببعض وانصرفت (زينب) بعد أن صافحت (أميرة) بحرارة وابتسامة ودوده، فسأل (إياد) (أميرة):

- ألم تلتقين بتلك المرأة من قبل؟ في الجامعة أو أي مؤتمر علمي؟ في أي مكان بحثي يخص الآثار أو التاريخ.

قالت (أميرة) وهي تفكر:

- أعتقد أن ملامحها ليست غريبة.. للوهلة الأولى اعتقدت أني رأيتها في مكان ما من قبل فوجهها مألوف لي بشكل ما.. ولكن لا أتذكر حقا أين رأيتها.. ماذا بها؟ وماقصتها؟.

مط شفتيه وهو يقول بعد نفس عميق ويعدل جلسته على مقعده:

- إنها سيدة تحمل كم أرستقراطية عالي وتعمل بالمتحف ولها خبرة أثرية تاريخية كبيرة وكانت صديقة قريبة من (أحمد).. وكنت آخذ أقوالها.. على كل حال لا عليكِ، المهم.. أخبريني أنتِ، هل انتهيت من ترجمة النص المكتوب في جوف صخرة (مطروح)؟.

أخرجت ورقة من حقيبتها وقالت بانتصار:

- بالطبع.

تناول من يدها الورقة وقرأها:

أيتـهـا الأجساد الكامنـة داخـل الصخـور الجوفـاء.
ستعودون حيـن تـمتصون الذكريات والحيـاة مـن الدمـاء.
ستحكمـون العالـم بأجسـاد لاتضعـف ولا تـعـرف الفـنـاء.
ستنـفضون عنكـم الصـخر في ميـقات لا يخـلـف الـنداء.
أنـصـاف أوقـات تفـصـل بيـن المـوتـى والأحيـاء.
ستقـفون أشداء لا يقـهـركم جـوع ولا عـطـش ولا بكـاء.
ستـتـعلمـون مـن الـصخـر كيـف تصبحـون أشـداء.
إن تخلى أحدكم عن وعده للآخر فسيعود إلى الحجـر كما جاء.
فاحـمـوا أرواحـكـم الـتي تـسـكـن الرؤوس الـصمـاء.
وإن عدتم ستمـتلكون العالـم بأيـديكم الخمـسة الأقويـاء.

- ماهذا؟ إنها أحجية؟.

قالها (إياد) وهو عاقد بين حاجبيه، فردت (أميرة):

- هـذا مـا ترجمتـه عـن النص الـذي وجدنـاه في جـوف الصخـرة.. هـذا هـو المكتـوب حرفيـا.

أعاد قراءتها بصوت عالٍ ثم قال:

- انظري إلى هذه الجمل تحديدا يا (أميرة):

أيـتـهـا الأجساد الكـامـنـة داخـل الصـخـور الـجـوفـاء.

ستعودون حين تـمتصون الذكريات والـحيـاة من الدمـاء.

إنـه يتحـدث عـن التحـول مـن صخـر بواسـطة الدمـاء وهـذا يطابـق مانظنـه

بشـأن تحـول التماثيـل إلى بـشر وآثـار الدمـاء التـي نجدهـا بالتوابيـت والجثـث الخاليـة مـن الدمـاء، كـما يفـسر كيـف أن السـيدة التـي قابلهـا (عبـد العزيـز) بالصخـرة كانـت تمتلـك ذكريـات (ماهـر) حتـى أنهـا نجحـت في إقناعـه أنهـا هي نفسـها (ماهـر) وجاوبـت كل أسـئلته كـما أن التوابيـت عددهـا خمسـة، والنـص يتحـدث أيضـا عـن خمسـة أشـخاص..

أكملت (أميرة) بحماس:

- سـتـقـفون أشـداء لا يـقـهـركم جـوع ولا عـطـش ولا بكـاء.

انظـر أيضـا، إن هـذه الجملـة تفـسر كيـف أن السـيدة ظلـت داخـل الصخـرة دون طعـام ولا شراب محتفظـة بقوتهـا وصحتهـا حـين وجدهـا (عبـد العزيـز).

- إن معنـى ذلـك أن كل جملـة مـن ذلـك النـص ليسـت مجـرد جمـل سـجعية شـعرية، بـل تصيـب الحقيقـة بشـكل ما.

- معـك حـق، هـذا النـص مهـم.. مهـم للغايـة وسـنجد تفسـيرا لـكل جملـة جـاءت بـه.

وقف (إياد) بحماس قائلا وهو ينظر في ساعته:

- لـولا أني متأكـد مـن أن المتحـف أغلـق الآن لكنـت طلبـت منـك الذهـاب لمعاينـة التوابيـت والتماثيـل المتبقيـة، ولكـن السـاعة تخطـت التاسـعة مسـاء الآن.. وأعـرف أنـك لم ترتاحـي ولم تذوقـي طعـم النـوم منـذ يومـين.. فربمـا كان الغـد يحمـل لنـا مفاجـآت..

- إذن لنكون بالمتحف غدا في الثامنة صباحا أيها المقدم.

***

اتجهـت (أمـيرة) إلى منزلهـا في مسـاء يوم شـاق بـين (مطروح) و(الإسـكندرية) وهـي تنـوي عـدم النـوم والراحـة بـل تنـوي اسـتكمال تجميـع كافـة متعلقاتهـا

مـن المنـزل لترحـل بهـدوء بعـد أن أجـرت اتصـالا بأحـد مكاتـب السـمسرة وطلبـت حجـز شـقة مفروشـة لحـين إنهـاء إجـراءات الطـلاق.

بمجـرد أن دخلـت المنـزل حتـى وجـدت باقـة ورد مكتـوب عليهـا (آسـف.. أحبـك.. سـامحيني).

وخـرج (خالـد) مبتسـما بخجـل.. يحتضنهـا في صمـت وهـي متجهمـة كالتمثـال، فسـحب يدهـا ليجعلهـا تحيـط خـصره فبعدتهـا رغـما عنهـا وابتعـدت عنـه وقـال وهـو بـاكٍ ويقبـل يدهـا:

- سـامحيني يا(أمـيرة).. أعـدك أن أتغـير ولكـن لا تتركينـي أرجـوك.. أنـا أحبـك.. لسـت زوجتـي بـل أنـتِ حبيبتـي وأمـي وابنتـي.. أعـدك أمـام اللـه أن أتغـير.. سـأتغير.. ولـن أقسـم بالطـلاق مـرة أخـرى.. ولـن أضربـك مجـددا أو أسـبك.. سـأصلح كل شيء سـيفرق بيننـا ولكـن سـامحيني واعـط فرصـة أخـرى لحبنـا وبيتنـا.. لقـد عانينـا وتحدينـا العـالم وكنـا سـويا مـن الصفـر.. أحبـك وأعـرف أنـك تحبينـي..أثـق في أنـك تحبينـي وسـتغفرين لي جنـوني.

أومـأت برأسـها في قهـر وهـي خائفـة.. خائفـة مـن الخـذلان القـادم.. هـي حقـا تحبـه بـل تعشـقه وإلا ماكانـت لتتزوجـه وتتحمـل كل ماتعانيـه معـه.. ولكنـه يجبرهـا لحظـات كثيرة عـلى كراهيتـه بسـبب مايفعلـه معهـا مـن قسـوة ومشـاكل تجعلهـا تلعـن كل لحظـة كانـت فيهـا إلى جـواره .. تحتمـي في أي شـخص غريـب منـه..

بِحِرَفِيّـةٍ أسـتطاع كـما يفعـل دومـا أن يسـعف حبهـما وهـو يحتـضر في آخـر أنفاسـه ويصبـح إنسـانا آخـرا محبـا حنونـا رقيقـا نادمـا يملـك كل الأمـان والمـودة والحـب.. كلـما وجدهـا وصلـت لقـرار الانفصـال جديـا يحـدث دائمـا ذلـك التحـول الـذي يضمـن بـه عـودة حبهـا لـه ومحـو آثـار الكراهيـة التـي صنعهـا بيـده وأفعالـه مراهنـا عـلي طيبتهـا وتسـامحها.. تتمنـى أن يكـون صادقـا.. ولكـن عقلهـا يـصرخ بقلبهـا أن يحـترس مـن القـادم .. سـيكون اسـوأ.

الفصل العاشر

وصل (إياد) إلى الفندق بـ(الإسكندرية) مساء نفس اليوم المرهق المشحون، وفور أن دلف إلى غرفته اتصل هاتفيا بوالدته ليطمئن عليها وعلى ابنته (جوليا) ذات الستة أعوام وابنه (ياسين) ذى الخمسة أعوام واللذان انشغل عنهما طوال اليومين الماضيين رغما عنه.

وطوال رنين الهاتف الذي لا يجيب عليه أحد ويكرره بإلحاح أملا في أن يجيبه أحدهم.. انقبض قلبه ورأى أمام عينيه شريط أحداث قميئة وذكريات سيئة يود لو يمحوها من عقله تجري أمام عينيه تجبره على التذكر.. تذكر حياته التي يهرب من ذكراها دوما.

تزوج زيجة سريعة من (أمنية) وهي طبيبة من عائلة متوسطة ريفية متواضعة الجمال، تعمل بطوارئ إحدي المراكز الطبية القريبة من منزله.. لم يعرفها من قبل ولكنها جاءت لتعطي والدته أدوية بالحقن العضلي والوريدي في فترة مابعد إجرائها جراحة بالقلب.. كانت (أمنية) تقيم مع خالتها جارتهما المسنة وبذلك بدأ يتعرف عليها أكثر وتعددت الزيارات والتي رشحتها خالتها في إحدى الزيارات لأمه لهم كزوجة لابنها.. كان وقتها حديث التخرج قليل الخبرات لا يعرف في الحياة الكثير وليس له خبرة بالفتيات.

كان يتوسم فيها أن تكون زوجة صالحة فلم تكن فيها أي من مواصفات فتاة أحلامه.. ولكنه وافق على أمل أن تكون ذات دين وخلق لتحفظه وتحفظ بيته وأبنائه، ولكن مع أول شهر زواج سقطت القشرة التي كانت تخفيها لتظهر تلك المرأة الشرسة العنيفة الأنانية المادية المتسلطة العنيدة سليطة اللسان، والتي كرهها منذ أول يوم أغلق عليهما فيه باب واحد..

توالـت الخلافـات الشـديدة التـي أكـدت أنهـما غـير متشـابهين عـلى الإطـلاق حتـى نفـر منهـا بشـكل كبـير وقـد قـرر أن ينفصـل عنهـا بهـدوء دون أن يضيعـا مـن عمريهـما أكـثر مـن شـهر واحـد في حيـاة أكـدت سريعـا فشـلها الذريـع واسـتحالة اسـتمرارها.. طلقهـا بعـد مشـاكل عديـدة حدثـت بينهـم وآخرهـا تطاولهـا عـلى والدتـه بالسـب والـضرب، وأعطاهـا حقوقهـا الماديـة والشرعيـة كاملـة وهـو يشـعر بالخـلاص مـن ابتـلاء.. داعيـا أن يعوضهـا اللـه بـزوج يشـبهها ويحبهـا ويتقبلهـا وليغنـي اللـه كلا منهـما مـن فضلـه.

حتـى عـادت إليـه (أمنيـة) بعـد شـهرين مـن الطـلاق بخـبر حملهـا باكيـة ترجـوه أن يعيدهـا زوجـة لـه مـن أجـل جنينهـا الـذي في أحشـائها واعـدة إيـاه أن تغـير مـن نفسـها..

كان الخـبر كالصاعقـة التـي نزلـت عليـه لتجعـل الأرض تميـد بـه، كان يعلـم أنـه لـن يحبهـا أبـدا مهـما حـدث فهـو حقـا وصـل معهـا للكراهيـة الشـديدة السريعـة.. إنـه صـار يبغضهـا بعـد أن عاشرهـا وهـى أيضـا لـن تحبـه أبـدا.. لم يكـن قـد تخلـص بعـد مـن آثـار دمـاره النفـسي في الشـهر الـذي شـاركها فيـه بيـت واحـد.. كان يعلـم أنـه سيفشـل في معاشرتهـا مهـما فعـل فهـما كقطبـي مغناطيـس متنافريـن ليـس لهـما لقـاء، فزواجهـما كان خطـأ جسـيما ارتكبـه ولا ينفيـه عـن نفسـه، وهـا هـو يدفـع ثمنـه غاليًـا مـن مسـتقبله وعمـره.. فهـي في نظـره أقـرب إلى الحيوانـات المفترسـة.. رائحـة نفسـها تذكـره بأقفـاص الوحـوش البريـة.. وهـا هـو طفـل يـأتي للدنيـا لا ذنـب لـه في سـوء اختيـاره.. أتى ليجـبره عـلى إعادتهـا كزوجـة وكأنهـا لعنـة كتبـت عليـه باقـي عمـره.

ذهـب هـو ووالدتـه إلى قريتهـا الصغـيرة ليعيدهـا إلى عصمتـه كمـن يسـاق إلى حكـم إعـدام وهـو يدبـر في نفـس الوقـت لنقـل خدمتـه إلى الصعيـد عكـس مايتمنـى الجميـع، ليهـرب مـن وجـوده معهـا في بيـت واحـد بالقاهـرة.

وكان شرط عودتـه لهـا هـو أن يؤجـلا أي إنجـاب آخـر بعـد ذلـك الطفـل

حتى يقيّما وضع علاقتهما المستحيلة والتي تأكد ثانية أن ليس بها قدر أنملة تفاهم واعدا إياها أن يبذل كل ما في وسعه ليقرب منها.. ولكن الواقع كان أنها تبعده عنها أميالا وأميالا..

أنجبت أمنية طفلتهما الأولى (جوليا)، وفعل (إياد) كل ما في وسعه ليتقرب منها أيام أجازته الشهرية، ولكنها كانت ناجحة جدا في تدمير أي محاولة منه لإصلاح حياتهما مع شعورها أنها ملكته وأسرته بتلك الطفلة حتى شعر أنه يكرهها أكثر وأكثر من ذي قبل، مع الوقت أصبح يكره اقتراب موعد أجازته.. فجأة تحول الصعيد إلى جنة لا يأبى مغادرتها حاملا هم رؤية وجهها المكفهر دوما وصوتها الأجش المليء بالسباب والاستفزاز ونظراتها الأقرب لنظرات الثعالب الماكرة بعيونها الضيقة المسحوبة من الداخل للأسفل من الجانبين بشكل مخيف ولا يهون عليه كل ذلك إلا رؤيته لصغيرته التي لاذنب لها في اختياره الخاطىء لأمها ..ثم فاجأته بخبر حملها الثاني الذي دبرت له سريعا بمنشطات عقب ولادتها لطفلتها بثلاثة أشهر فقط رافعة شعار (اربطيه بالعيال) ضاربة عرض الحائط باتفاقهما وشرطه.. هكذا تعتقد أنها تورطه أكثر وأكثر في زواج فاشل حتى لا يكون الطلاق سهلا عليه ولا يكون له سبيل في الخلاص..

شعر تلك المرة أنه يثور كالبركان.. كان يصرخ كما لم يصرخ من قبل.. يضرب كل شيء يأتي أمامه.. يكسر كل ماهو قابل للكسر.. شعر بتورطه أكثر في الأخطاء.. تورطه في حياة ليست حياته مع زوجة لم يحبها يوما ولم يتمناها.. أُمّ عنيفة تضرب رضيعتها بقسوة وبشكل مختل نفسيا، تغلق عليه أي فرص لبداية جديدة أو لتعديل لمسار حياتهما.. وتزيد له ضحايا تلك العلاقة الفاشلة ضحية أخري؛ فهي أيضا - وفي المقابل - لا يمكن أن تكون سعيدة مع زوج فشل في حبها وصار يكرهها.. من المؤكد أنها هي الأخرى تعيسة، أصر على إجهاض الجنين في شهر الحمل الأول وأصرت هي على عدم إجهاضه، وعند احتدام المشاكل بينهما، ولأنه يعلم أن ما طلبه

في أوج ثورتـه وغضبـه حـرام شرعـا صمـت واستسـلم للأمـر في النهايـة، ولكنـه هـرب إلى الصعيـد ثانيـة وابتعـد وصـار يرسـل لهـا أمـوالا تكفيهـا وتزيـد ولا يذهـب إليهـا حتـي في الأجـازات ولا يجيـب اتصالاتهـا؛ فتوعدتـه بـأن تدفعـه الثمـن غاليـا، وتركـت بيتهـا وذهبـت إلى بيـت أهلهـا بقريتهـا.

أثنـاء خدمتـه بالصعيـد استيقظ ذات يـوم عـلى خبر محاولتهـا قتـل طفلتهما (جوليـا) التـي كان عمرهـا ثمانيـة أشـهر فقـط في ذلـك الحين!.

ضربتهـا ضربـا مبرحـا حتـى حـدث لهـا نزيـف داخـلي بالبطـن وتمـزق بالأمعـاء، وشـجت رأسـها وكـسرت ذراعهـا.

قطـع الطريـق إلى مستشـفى عـام تابـع للقريـة وهـو يبـكي طفلتـه البريئـة التـي ترقـد بـين الحيـاة والمـوت.. تدفـع ثمـن انتقـام أبويـن كارهـين بعضهـما، تـرى المـوت قبـل أن تتـذوق الحيـاة عـلى يـد أم لم تعـرف مـن الأمومـة ولا الإنسـانية شـيئا..

كانـت (أمنيـة) في شـهر حملهـا الخامـس حينـذاك، ولم تنكـر عنفهـا ضـد طفلتهـا أمامـه وضربهـا إياهـا قاصـدة قتلهـا انتقامـا منـه لأنهـا تشـبهه ولأنـه لايـرد عـلى اتصالاتهـا وهجرهـا بسـبب حمـل طفلهـما الثـاني.. كانـت تعـترف بذلـك بتبجـحٍ عـالٍ أكـد لـه اختلالهـا النفـسي..

مختلة إذن.. ليست سوية بالطبع..

كثـيرا مـا قـرأ في الأخبـار عـن الأمهـات قاتـلات أطفالهـن انتقامـا مـن الـزوج، وكان يقـول أنهـا أخبـار كاذبـة تسـعى إلى الشـهرة ولا يوجـد أم في العـالم تفعـل ذلـك، حتـى الحيوانـات لا تفعلهـا.. حتـى صـارت زوجتـه إحداهـن..

إنهـا طفلتهـما التـي حتـى وإن انتهـت زيجتهـما بالطـلاق، حتـى وإن كرهتـه ستظل فلـذة كبدهـا.. وسـتظل أيضـا ابنتـه مهـما وصـل بـه الحـال مـن كراهيـة لوالدتهـا.. فـلا يمكـن أن تؤثـر أي خلافـات في الكـون عـلى علاقـة أم سـوية

بطفلهـا.. أو أب سـوي بابنائـه.. وكـما أن الحـب رزق يهبـه اللـه لمـن يشـاء وينتزعـه بحكمتـه ممـن يشـاء.. والأبنـاء أيضـا رزق!.

لم يحـرر (إيـاد) محضرا ضدهـا رغـم اعترافهـا بالفعـل وتنـازل عـن المحـضر الـذي حُـرر بالمستشـفى لحظـة اسـتقبالهم الطفلـة بـين الحيـاة والمـوت لأنهـا ستسـجن في محاولـة قتـل ابنتهـما (جوليـا) عمـدا وسـتلد الجنـين القـادم في السـجن بعـد عـدة أشـهر ليصبـح الضحيـة الجديـدة.. فـكل ذنبهـما أنهـما وُلِـدا لأم عنيفـة مختلـة نفسـيا وعقليـا.. وأب لم يحسـن اختيـاره ولم يسـتطع حمايتهما وعليـه أن يدفـع الثمـن!.

أخـذ طفلتـه مـن المستشـفى بعـد اسـتقرار حالتهـا وطلـق (أمنيـة) للمـرة الثانيـة والتـي أرسـلت لـه مـع أهلهـا الطفـل الـذي أنجبتـه ثـاني يـوم ولادتـه مبـاشرة وقبـل حتـى أن تجـف بشرتـه مـن مـاء رحمهـا عقـب خروجهـا مـن المستشـفى قائلـة أنهـا لـن تـربي ابنـا لـه طالمـا ليسـت زوجتـه.. هـو أولى بأبنائـه؛ ليجـد بـين يديـه طفلـة تخطـت عامهـا الأول بالـكاد تعـاني مـن حالـة صحيـة غـير مسـتقرة وعاهـة مسـتديمة بالأمعـاء بسـبب الحـادث الـذي قـرر أن يخفـي عنهـا مسـتقبلا تفاصيلـه حفاظـا عـلى مشـاعرها ونفسـيتها، وطفـل آخـر أسـماه (ياسـين) عمـره لا يتعـدى اليـوم الواحـد، مسـئول عنهـما مـن الألـف إلى اليـاء..

طفلان ليس لهما ذنب في الحياة سوى أنهما جاءا من رحم (أمنية)!.

شـاركته أمـه المسـئولية في تربيتهـما حتـى أنهـما لم يعرفـا لهـما أمـا غيرهـا وصـارا يناديـاها بـ(مامـا)! أمـا (أمنيـة) فلـم تفكـر يومـا في رؤيتهـما ولـو حتـى مـن بـاب الفضـول أن تعـرف شـكلهما!.

نسـاها وحمـد اللـه عـلى خروجهـا مـن حياتهـم وأصبحـت حياتـه كلهـا ملـكا لأطفالـه وأمـه وعملـه الـذي نبـغ بـه وبـرز نجمـه سريعـا فيـه..

ومـر عـلى تلـك الأحـداث قرابـة السـت سـنوات، وكـبر الطفـلان سـويين

ذكيـين، ولا يعلـم لمـاذا يتذكـر كل ذلـك الآن؟ إنهـا ذكـرى مؤلمـة حقـا.

حتـى أتـاه صـوت أمـه أخـيرا وبعـد اتصـالات كثـيرة عـبر الهاتـف مضطربـة تبـكي وتـصرخ بانهيـار عصبـي:

- أمي، ماذا بك.. لماذا تبكين؟ هل حدث لأحدكم مكروه!.

- (جوليـا) و(ياسـين) يـا (إيـاد).. أخذتهـما (أمنيـة) الحقـيرة.. أتـت ومعهـا بلطجيـة.. دق أحدهـم البـاب قائـلا أنـه محصـل الكهربـاء، ومـا أن فتحـت لهـم حتـى ضربـوني وكممـوا فمـي ورأيتهـا خلفهـم تبتسـم بابتسـامتها الصفـراء وتأخـذ الطفلـين الذيـن لا يعرفاهـا حتـى ولا يعرفـان شـكلها، وجعلـت البلطجيـة يحملوهـما وهـما يصرخـان ويبكيـان مناديـين إيـاي أن أحميهـما، هرولـت خلفهـم وأنـا أصرخ لأجـد بـواب العقـار وقـد فقـد الوعـي، لا أعـرف مـاذا فعلـوا بـه هـو الآخـر.. هربـت بهـما ورحلـت منـذ ثـوانٍ لأجـدك كنـت تتصـل في نفـس الوقـت بشـكل مسـتمر وكأن قلبـك شـعر يابنـي بالخطـر الـذي نحـن فيـه.. انقذهـما يا(إيـاد).. أبلـغ الشرطـة.. أنـت مقـدم بالداخليـة.. تـصرف.. أعـد الطفلـين، إنهـما لا يعرفانهـا ولا تعرفهـما.. ليسـت أمهـما.. إنهـا لم ترحـم رعبهـما وصراخهـما بـين أيـدي بلطجيـة!

ظـل (إيـاد) صامتـا بعـد سـماع مـا قصتـه أمـه وقـد احمـر وجهـه غضبـا ورعبـا وقـد عـرف أن طفليـه الآن يواجهـان خطـرا جسـيما لا أحـد يعلمـه إلا اللـه مـع أم ربمـا زاد اضطرابهـا النفـسي وزاد عنفهـا وجنونهـا خـلال السـتة أعـوام الماضيـة التـي اختفـت فيهـم عنهـما..

لابـد وأن خلـف ظهورهـا المفاجـيء كارثـة أكـبر جعلتهـا فجـأة تتذكـر أن لديهـا طفلـين في الدنيـا..

تمنى وأن يكون في كابوس بشع..

ولكنها حقيقة!.

هاهو على وشك أن يفقد ابنه وابنته..

ولأنه رجل شرطة يعلم أن القانون يعطي الأم الحق في حضانة أبنائها الصغار وأن ليس في يده أو يد القانون والشرطة تجريم أم أخذت ابنيها من بيت جدتهما حتى ولو بالعنف!.

ليس معه ما يثبت عدم أهليتها لأنه بالماضي لم يكمل إجراءات قضية محاولة قتل (جوليا) على يدها..

يعلم جيدا أن مافعلته (أمنية) - قانونا - ليس اختطافا!.

وأن عودة طفليه سيكون له ثمن باهظ..

وها هو في انتظار مكالمة منها ليعلم ما هي طلباتها لفك أسر الطفلين!.

قليلا ماكان يعرف الخوف طريقا إلى قلبه..

ولكنه بكى لأول مرة بحرقة وخوف وهو وحده!.

***

الفصل الحادي عشر

في الصباح الباكر تقابل (إياد) مع (أميرة) على باب المتحف الروماني والذي لم يخفِ عليها أن تلاحظ وجهه الشاحب الباهت المخطوف إلى عالمٍ آخرٍ الذي يعلن أنه لم يذق النوم قط وعيناه المنتفختان تقولان أنه بكى كما لم يبكِ من قبل، كما أن ذهنه مشوش مشغول بأمر جلل..

تبدل حالهما وكأنها ترى حالها في مرآة اليوم السابق.. ولكنها احترمت ألا تشعره بملاحظتها داعية الله أن يفك كربه الذي تجهل كنهه وهي تخجل أن تسأله فتقتحم خصوصياته.. فلكلٍ همومه وابتلاءاته التي لا يعرفها أحد!.

دخلا رأسا إلى القبو بعد أن قابلهما مدير المتحف على البوابة ورافقهما حتى مدخل القبو لمعاينة التوابيت الفارغة ومعاينة التمثالين الباقيين:

- المتحف تحت أمركما.. سأترككما تعملان بالقبو بحرية، سأكون بمكتبي إن احتجتموني في أية لحظة.

رحل المدير تاركا إياهما بالقبو.. إن ماذكرته (أميرة) من دقة غريبة في طريقة نحت التماثيل والصور التي رآها على الشاشة لم تكن كما رأى بأم عينيه.. أي سحر صنعوا به!.

نظر لـ(أميرة) وهو يقول بصوت خافت:

- عندي نظرية جئت لأتاكد منها..

- ما هي؟.

- عندما ينحت أحدهم تمثالا، فهو يأتي بقطعة مصمتة من الحجر

وينحــت ســطحها الخارجــي.. أليــس كذلــك؟.

أومــأت (أمــيرة) برأســها موافقــة وزمــت شــفتيها انتظــارا لســماعها باقــي حديثــه، فأكمــل (إيــاد):

- وبمــا أننــا نعتقــد أن هــذه ليســت تماثيــلا طبيعيــة، فــإن كــسرت الآن الطبقــة الخارجيــة مــن حجــر التمثــال فلــن أجــد تحتــه كتلــة مصمتــة مــن الحجــر، وســأجد متعلقــاتٍ مخفيــةٍ بثيــاب هــذه التماثيــل! عــلىّ أن أفتــش مــا بداخــل جيــوب ثيابهــا الحجريــة.

قبــل أن تجيــب (أمــيرة) أخــرج (إيــاد) مــن جيبــه سريعــا ســكينا حــادا كان قــد تعمــد إحضــاره لإجــراء ذلــك الاختبــار، واقــترب خلســة مــن نتــوء هــش يمثــل جيــب رداء تمثــال الطفــل الصغــير ووضــع الســكين بــه وجذبــه بعنــف للخــارج ليكــسره ويفصلــه عــن الــرداء، فشــهقت (أمــيرة) لِــمَا ظهــر، وابتســم (إيــاد) بانتصــار وهــو يفصــل أشــياءً صغــيرة مســتديرة حجريــة عالقــة خلــف الجيــب الحجــري وهــو يقــول لـ(أمــيرة):

- انظــري، لقــد راهنــت أن أجــد داخــل جيــوب ملابســهم الحجريــة أغراضــا تخصهــم تحولــت معهــم إلى أحجــار.. انهــم ليســوا تماثيــل.

نظــرت (أمــيرة) وهــي منبهــرة بمــا وجــده (إيــاد)، وتناولــت منــه إحــدى القطــع التــي خلعهــا وكانــت عالقــة في الجيــب قائلــة:

- هــذا دليــل قاطــع أنهــم بــشر وتحولــوا إلى تماثيــل بشــكل ما،وليســت مجــرد نحــت ســطحي مصمــت لكتلــة حجريــة..

- بالضبــط.. أعتقــد أن هــذه عمــلات تخصهــم وكان يحملهــا الطفــل بجيبــه لحظــة تحولــه، فتحولــت إلى حجــر معــه.. أتمنــى أن تعــرفي أي معلومــات إضافيــة عــن أصحــاب التماثيــل مــن تلــك العمــلات التــي كانــوا يمتلكونهــا..

- ماذا تفعلان؟ تكسران التماثيل؟! تخربان الآثار..

انتفضا لسماعهما الصرخة المفزوعة ليجدا (زينب) هي من تقف خلفهما ترتدي عوينات طبية وتعقد شعرها وهي تقول لهما بغضب العالم والذي جعل وجهها يحمر بشكل قوي وصرخت:

- هل المدير على علم بعبثكما وتكسيركما للتماثيل الأثرية بهذا الشكل العشوائي؟ أنتما تقترفان الآن جريمة شنعاء ولن أسكت أبدا عنها.. يجب أن يتم اتخاذ إجراء ضدكما.

أخرجت (زينب) جوالها لتتصل برقم المدير وأخبرته بما حدث وهي تنتفض غضبا وتصرخ..

كان (إياد) يعرف أن كسره للتمثال الأثري ليس عملا قانونيا أبدا، وأن (زينب) محقة فيما تفعله بهما الآن، ولكنه فعل ذلك بدافع التحقيق وجمع بيانات قضية قتل متسلسلة وليثبت لنفسه فكرة تحول تلك التماثيل من بشر إلى تماثيل والعكس.. إنه يعرف أنه لم يشوه تمثالا أثريا على كل حال .. انهم ليسوا تماثيل!.

بعد أن أخبرت (زينب) المدير هاتفيا بأن يحضر فورا هرولت باندفاع وتوتر وقلق لتفتش في تمثال الطفل وتدور حوله وهي تتحسسه بكف يدها بحثا عن أي تلفيات سببها (إياد) به بسكينه، فقال (إياد) سريعا:

- التمثال لم يُشوه يا أستاذة (زينب).. لقد كسرت قطعة من ثيابه فقط لأبحث عما بداخله ولا تنسي أني رجل شرطة ومقدم ولي سلطة و..

فقالت غاضبة مقاطعة وهي تنظر في عينيه بقوة:

- تشوه تمثالا أثريا وتكسره وتقول لي شرطة؟ ليس من حق أي سلطة مهما كانت أن تكسر تمثالا أثريا.. ألا تعرف قانون الآثار أيها المقدم يا ذا السلطة!.

كانت (أميرة) صامتة فهي تعلم أنهما اقترفا جريمة شنعاء منذ قليل

وأن (زينـب) محقـة فيـما تفعلـه، فقالـت لهـا محاولـة تهدئتهـا:

- أسـتاذة (زينـب).. أقـدر غيرتـك عـلى التمثـال الأثـري وغضبـك لأني عالمـة أثريـة مثلـك ولا أقلـل مـن رد فعلـك أبـدا.. وأدرك جيـدا أن مـا تقولينـه صحيـح تمامـا وأن التمثـال الأثـري كـسره يعـد جريمـة، ولكـن نحـن نعتقـد أنهـم ليسـوا تماثيـلا مـن الأسـاس! وكنـا نتأكـد مـن الأمـر، وبالفعـل أثبتـه المقـدم (إيـاد).. فالمقـدم لم يشـوه التمثـال عـلى كل حـال أو يصيبـه بسـوء.. إنهـم بـشر ويعلـم اللـه مقـدار شرورهـم.

كانـت (زينـب) عاقـدة ذراعيهـا تنظـر لـ(أمـيرة) ومـازال الغضـب يطـل مـن عيونهـا عـبر عويناتهـا، فأكملـت (أمـيرة):

- كان فعـلا خاطئـا لـن أنكـره عـلى كل حـال، وأنـا سـأتداركه، والجـزء المكسـور سـأعيد ترميمـه بنفـسي بشـكل علمـي ليعـود كـما كان وأحسـن.. لا تقلقـي، هـذا وعـد خـاص منـي.

ومـدت يدهـا لتمسـك يـد (إيـاد) وتسـحبه مـن أمـام (زينـب) المشـتعلة غضبـا، والتـي مازالـت تتحسـس التمثـال وهـي ترمقهـم بنظـرات تقـذف نـيران ليـتركا المتحـف سريعـا ويركبـا سـيارتهما، فقالـت (أمـيرة) معاتبـة:

- أيهـا المقـدم (إيـاد).. أعـرف أن مافعلتـه كضابـط شرطـة ومحقـق جنـائي صحيـح، ولكـن مافعلتـه مـن وجهـة نظـر القانـون يمكـن أن يكـون قضيـة لكلينـا.. سـأتحدث إلى المديـر حـالا لأمتـص غضبـه الـذي ثـار عندمـا أخبرتـه (زينـب) بمـا فعلنـاه، وسـأعده بإصـلاح التمثـال الليلـة وإعـادة تركيـب الجـزء المكسـور بحرفيـة ترميـم عاليـة وبنفـسي.. لقـد أخـذت القطعـة الحجريـة التـي تمثـل جيـب الثـوب الخارجـي في حقيبتـي وسـأرممها بـاذن اللـه.

وضع كفه على فمه وهو ينفخ بضيق وغضب وقال:

- لايهمنـي كل ذلـك يـا (أمـيرة).. أعـرف أنـك سـتصلحين الأمـر.. المهـم اتـركي

أمر الكسر، أخبريني ماهذه العملات الحجرية التي كانت عالقة بجيب التمثال، وهل تشير لشيء ما؟!.

مد يده بالعملات الحجرية التي خلعها من داخل جيب التمثال ووضعها في كف (أميرة)، فتناولتها (أميرة) بين أصابعها وهي تقول:

- إنها عملات تعود إلى عصر مملكة (تَدْمُر) القديمة، والتي كانت قوية إبان العصر الروماني..

صمتت لحظات وتفحصتها جيدا وأكملت:

- إنها عملات تعود تحديدا إلى عصر حكم الملكة (زنوبيا) وابنها الملك (وهب اللات).. انظر، فصورهم مصكوكة على جانبي العملات .. مع ملحوظة أن العملات بالطبع صكت من معادن وذهب وفضة وتحولت الي حجر كما تحولوا.. ولكن على كل حال لدينا معلومة قيمة جدا الآن، وهي أن التماثيل أتت من عصر الملكة (زنوبيا) والملك (وهب اللات).

- ومن هي الملكة (زنوبيا)؟ ومن هو (وهب اللات) هذا؟.

***

الفصل الثاني عشر

عام ٢٥٨م .. سوريا.. مملكة (تَدْمُر) شمال شرق (دمشق)..

انفرجت الأبواب الضخمة لقاعة عرش الملك (أذينة) بقلعته الشامخة التي تقع في (تَدْمُر) شمال (دمشق)، وانحنى الجنود التدمريون مستقبلين الملكة الفاتنة التي دخلت بخطىً ثابتة شامخة تجر خلفها ذيل ردائها الضخم الأحمر القاني الذي تضعه فوق فستانها الحريري الأبيض، ويزين شعرها الأسود الكثيف اللامع تاج من الذهب الضخم المرصع بالعقيق والياقوت.. أخذت تحرك عينيها العسليتين المكحلتين بالأسود بين الحضور القليل في اجتماع السيناتورات الأربعة السري في قاعة العرش، والذين وقفوا جميعا منحنين احتراما لها.

تكاد تقسم من طلتها أنها أجمل مَن رأت العين، وحين تتحدث تقسم أنها أحكم وأذكى مَن وعيه العقل.

إنها الملكة (زنوبيا) تلك المرأة الجميلة الذكية المثقفة ذات الأصول المختلطة بين المصرية والإغريقية حيث أنها من الحفيدات والنسل المباشر للملكة المصرية (كليوباترا).. ملكة (مصر) وآخر ملكات عصر الإغريق البطالمة في مصر.

تعلمت (زنوبيا) وبإتقان لغات عديدة وهي الآرمية لغة مملكة (تَدْمُر) واللغة الرومانية واللغة المصرية القديمة واللغة الإغريقية لغة أجدادها.

ولدت (زنوبيا) في (الإسكندرية) بـ(مصر)، وتعلمت وصُقلت بكل أنواع العلوم على يد العلماء والحكماء السكندريين وأهمهم الحكيم (يوليوس)

المؤرخ العظيم وكبير العلماء والفلاسفة في (الإسكندرية) آنذاك.. والذي رفض طمس التاريخ الإغريقي على يد الرومان فأودعوه السجن!.

أسرت (زنوبيا) قلب وعقل الملك (أذينة) ملك (تَدْمُر) منذ أول مرة رآها فيها خلال زيارته لمصر وتزوجها، ليس فقط لأنها امرأة فاتنة الجمال بشكل لا يستوعبه عقل، بل لأن حكمتها وعقلها يضاهي حكمة عشر مستشارين وحكماء في آن واحد، وقوتها تضاهي ألف محارب! فلم يجد الملك خجلًا في أن تكون زوجته هي شريكته في الحكم وأن يكون لها عرش موضوع على يمين عرشه بخلاف عرش ولي عهده الأمير (هيرودس) الذي وضعه إلى يسار عرشه!.

الأمير (هيرودس) الشاب الوسيم مفتول العضلات ابن (أذينة) من زوجته الأولى الملكة (ريجين) الرومانية الأصل المنحدرة مباشرة من أسرة الإمبراطورية الرومانية التي تزوجها (أذينة) وهو في السادسة عشر من عمره لتوطيد العلاقات، والتي توفت في وباء الطاعون منذ عدة سنوات قبل أن يلتقي (أذينة) بـ(زنوبيا).

كان (هيرودس) يحب هو الآخر (زنوبيا) ويعتبرها بمثابة والدته برغم أنه لا يفرق بينهما في العمر إلا القليل.. وأصبح بالنسبة لوالده الصديق المخلص والمستشار المقرب وليس فقط الابن الأكبر وولي العهد.. نظرا لأن (أذينة) أنجبه وهو صغير في السن.

اقتربت الملكة (زنوبيا) لتجلس على عرشها بجوار زوجها (أذينة) الملك الأربعيني القوي الوسيم والذي تحبه حد العشق وأنجبت منه ولديها (وهب اللات) و(حيران) الثاني.

كان الاجتماع مغلقا لسيناتورات مجلس الشيوخ التدمرّي: الوزير (لورنتياس)، وكبير الحكماء الفيلسوف (لونجينوس)، وكبير كهنة معبد الشمس (ثاديوس)، وقائد الجيوش الضابط (بيلينوس) مع الملك والملكة

وولي العهـد.

أشـار (أذينـة) للجنـود بالانـصراف فخلـت القاعـة مـن الجـواري والجنـود وأغلقـت الأبـواب لسريـة وأهميـة مـا سـيقال في ذلـك الاجتـماع..

افتتح الملك (أذينة) الكلام قائلا بصوت رخيم:

- بالطبـع تعلمـون مايـدور اليـوم بـين ملـك الفـرس الملـك (شـابور) والإمبراطـور الرومـاني (فاليريـان) مـن صراع حـاد، ولكـن مـا لا تعلمونـه أن الحـرب أصبحـت وشيكة بينهـما وسـتدق طبـول الحـرب بـين اللحظـة والأخـرى.. حـرب الفـرس والـروم!.

تنهد الملك (أذينة) وأكمل والعيون كلها معلقة به:

- إن مملكـة (تَدْمُـر) هـي أقـوى الممالـك التابعـة للإمبراطوريـة الرومانيـة اليـوم وأقـوي الجيـوش الحليفـة لهـم، ولكـن إن قامـت الحـرب فسـتنهار الإمبراطوريـة الرومانيـة الضعيفـة وحتـما سـينهار الإمبراطـور (فاليريـان) الضعيـف عديـم الخـبرة أمـام (شـابور) ملـك الفـرس وقوتـه، فـأردت سـماع آرائكـم في الأمـر ومناقشـته.

وقـف الضابـط (بيلينـوس) قائـد الجيـوش وقـال وهـو ينقـل عينيـه بـين (أذينـة) و(زنوبيـا):

- إن جيشـنا يامـولاي يبلـغ قرابـة السـبعين ألـف جنـدي؛ فنحـن جيـش أكـبر وأقـوي مـن جيـش الإمبراطـور (فاليريـان) نفسـه، وتلـك نقطـة قـوة لصالحنـا.. فمـن سـنختار صفّـه سـيكون ذا ثقـل في سـاحة الحـرب، وانسـحابنا يعنـي هزيمـة محققـة للإمبراطـور (فاليريـان)، ويمكننـا عقـد معاهـدة واتفـاق وتحالـف مـع الملـك (شـابور) مقابـل عـدم حربنـا في صـف الإمبراطـور الرومـاني (فاليريـان) الضعيـف، وأعتقـد أن كوننـا حلفـاء لـ(شـابور) أفضـل ألـف مـرة مـن اسـتمرارنا حلفـاء لـ(فاليريـان) إمبراطـور الرومـان الضعيـف عديـم الخـبرة المتهـور..

جلس الضابط (بيلينوس) ليقف (ثاديوس) كبير الكهنة الرجل الشيخ النحيف أشيب الشعر قائلا:

- مولاي.. أري أن ننضم للجانب الأقوى وأن ترسل إلى ملك الفرس (شابور) وتعلن ولاءك وانضمامك له ولإمبراطوريته؛ فالقوي يجب أن ينحاز للقوي مثله وينضم له، فالإمبراطور (فاليريان) سينهزم لا محالة حتى إن انضممنا له وخضنا حربا تحت مظلة خططه الفاشلة وقراراته المتهورة؛ فجيش قوي وكبير تحت أوامر إمبراطور غبي غير محنك منهزم لا محالة؛ فالعبرة ليست بالعدد وإنما بالخطط الحربية الاستراتيجية التي نعلم جميعنا أن الإمبراطور (فاليريان) لا يعلم عنها شيئا ولا داعي لأن يكون ولاؤنا للجانب الضعيف في الحرب، فأنا أرى أن نعلن تحالفنا الآن مع الفرس وأن نحاول الاتفاق مع الملك (شابور).

قاطعهم الفيلسوف الشاب الوسيم الحكيم (لونجينوس) ذو اللحية البنية الكثيفة باعتراض:

- مولاي، إن مايُقال هذا هو الخيانة بعينها، إن ملك الفرس (شابور) هو ملك أعداء الإمبراطورية الرومانية التي نتبعها ونواليها منذ مئات السنين؛ فلا يمكن أن يكون حليفنا بين ليلة وضحاها، وربما سيعتقد أنها مكيدة من الإمبراطور (فاليريان)، ومهما حاولنا التودد له لن يكون بيننا أي ثقة أبدا، ولن نجني إلا غدره ومحاولة (شابور) السيطرة على مملكة (تَدْمُر)، مما يجعل أي تحالف معه هو أقرب إلى الاستسلام وتسليم مملكتنا للفرس دون حرب.. وليس تحالفا عادلا، إنها هزيمة مؤكدة.. هذا بخلاف العار الذي سيلحق بمملكتنا من خيانة حلفائنا في الإمبراطورية الرومانية.

تنهد الحكيم (لونجينوس) وأكمل بقوة وهو يعبث بلحيته:

- مولاي الملك.. أؤيد وبشدة عدم الزج بجيشنا في حرب خاسرة مع جيش الإمبراطورية الرومانية تحت مظلة الإمبراطور الغير محنك عسكريا

(فاليريـان)، ولا أريـد أن نـترك أرض مملكـة (تَدْمُـر) خاوية مـن جنودهـا أو أن نرسـلهم إلى (رومـا) ليُعدمـوا تحـت رايـة (فاليريـان) وننتظـر أن يصبـح أبنـاء جنودنـا أيتامـا في حـرب نعلـم أنهـا خـاسرة مقدمـا، ونصبـح في النهايـة لقمـة سـائغة لـ(شـابور) وجنـوده بعـد أن ننهـك عسـكريا تحـت مظلـة الخطـط الحربيـة الكوميديـة التـي نتوقعهـا جميعـا، بـل أنصحـك يامـولاي بالحفـاظ عـلى جيشـنا وقوتـه وحقـن دمـاء أبنائنـا لحمايـة مملكتنـا وردع (شـابور) عنـد وصـول جحافلـه لنـا هنـا في (تَدْمُـر) ولا نشـهر سـيوفنا إلا عـلى الفـرس إذا سـعوا لدخـول مملكـة (تَدْمُـر) مـع بقائهـم كأعـداء لنـا لا حلفـاء ودون أي محاولـة للتحالـف معهـم ضـد (رومـا) وإعـلان ولاءنـا للإمبراطوريـة الرومانيـة عـلى هيئـة حمايـة أنفسـنا ومملكتنـا التابعـة لهـم وقـت وصـول طبـول الحـرب لنـا هنـا في (تَدْمُـر) والمقاطعـات التابعـة لنـا في (أنطاكيـة) أو (حِمْـص) وحتـى ضفـة الفـرات دون إرسـال الجيـش لهـم، فمهـما ضعفـت الإمبراطوريـة الرومانيـة فهـي مازالـت إمبراطوريـة ذات حضـارة قديمـة عريقـة وسـيطرة عظيمـة عـلى أفريقيـا وآسـيا وأوروبـا تسـتطيع الوقـوف مـرة أخـرى عـلى قدميهـا مسـتقبلا وقـت أن يصـل للعـرش إمبراطـور قـوي ذكي، ووقتهـا سـنصير أعـداء الإمبراطوريـة الرومانيـة إن أشـهرنا سـيفنا في وجـه جنـدي رومـاني يومـا، ولـن نكـون مهـما فعلنـا حلفـاء حقيقيـين للفـرس، وسـنكون نحـن الخاسريـن مـن كل الجوانـب في النهايـة إن تحالفنـا مـع الفـرس.

قالت الملكة (زنوبيا) لـ(لونجينوس) مؤيدة له:

- أويـدك القـول يـا (لونجينـوس).. سـنقف في صـف الرومانيـين الحلفـاء بالحفـاظ عـلى مملكتنـا مـن أي هجـوم مـن الفـرس دون إرسـال أي جنـدي تدمـري لهـم، ونقـف نشـاهد حربهـم التـي لـن يفيدهـم مشـاركتنا لهـم فيهـا شـيئا سـوى خسـارة جيشـنا مـع جيشـهم، ولنكتـفِ بحمايـة أنفسـنا ومملكتنـا ونـرد أي هجـوم ببسـالة.. ولنوجـه قواتنـا لحمايـة مملكتنـا فقـط.. وهـذا مـن مصلحـة الإمبراطوريـة الرومانيـة نفسـها عـلى كل حـال.. أن تظـل إحـدى الممالـك

الموالية لها قوية حصينة بعد الهزيمة المنتظرة والتي نتوقعها جميعا، وأن تصبح (تَدْمُر) نواة لبداية جديدة، ذلك سيكون أقل خيبة وعارا من أن نعلن ولاءنا لعدونا وعدوهم ملك الفرس (شابور)، حتى وإن كانوا هم الجانب الأضعف وهو الأقوى.. فأنا أرفض التحالف مع الفرس مثلما قال (لونجينوس) وأويد رأيه..

ابتسم الحكيم الشاب (لونجينوس) للملكة الجميلة (زنوبيا) على تأييدها له؛ فهي ليست ملكته فقط بل صديقة طفولته أيضا.. فهو مصري سكندري الأصل مثلها يكبرها بخمسة أعوام فقط وتلميذ معلمها الحكيم (يوليوس) والذي كان يشرف على تعليمها معه؛ حيث كان يكبرها ويسبقها في العلوم حتى دخل المعلم (يوليوس) السجن لرفضه تشويه تاريخ البطالمة الإغريق الحكام السابقين لـ(مصر) بأمر قيصر (روما) وقتها والذي طلب منه أن يحذف من كتاباته التاريخية كل مميزات وإنجازات العصر الإغريقي الذي انتهى عند حكم جدة (زنوبيا) الملكة (كليوباترا)، وأن ينسبها إلى الرومان ويشوه الإغريق في كتاباته وتدويناته التاريخية..

أصبح بعدها (لونجينوس) التلميذ العبقري الذي تجرع علوم أستاذه (يوليوس) هو المعلم والأخ الأكبر والصديق الحميم الذي لا تستطيع (زنوبيا) كتمان خباياها عنه وتثق في مشورته حتى أصبحت شابة جميلة؛ فوقع (أذينة) في حبها في إحدى زياراته لـ(مصر) وتزوجها، طلبت من زوجها الملك أن يجعل (لونجينوس) كبير حكماء القصر وحكت له الكثير عن ذكائه ودهائه وعلمه الواسع وحكمته؛ فأرسل وأحضره من (الإسكندرية) وعينه كبير حكماء القصر في مملكة (تَدْمُر).. إن (زنوبيا) تشعر أن (لونجينوس) هو شفرة صواب تفكيرها وصديقها المقرب الذي -مجرد الكلام- معه يعني لها راحة نفسية عظيمة ولم يخذلها يوما في حكمة آرائه ودعمه حتى انبهر (أذينة) أيضا بذكائه وبُعد نظره وصار صديقا له هو الآخر.

ولكن لم يكن الجميع سعيدا مثل (زنوبيا) و(أذينة) برأي الحكيم (لونجينوس) الصائب؛ فقد ظهر الضيق والضجر على الكاهن (ثاديوس) والضابط (بيلينوس) لاختلاف رأيه مع آرائهما بالتحالف مع (شابور) ملك الفرس.

كان الأمير (هيرودس) صامتا يراقب الجميع بصمت وعلى وجهه ابتسامة ساخرة؛ فهو يعلم كم يغار (ثاديوس) و(بيلينوس) من (لونجينوس)؛ فمنذ أن دب بقدمه هذا الشاب المصري بلاط القصر وهو يتقرب بشكل سريع من الملك بذكائه وحكمته، ولكنه لا يمثل لـ(ثاديوس) و(بيلينوس) إلا الغريم العبقري صديق الملكة (زنوبيا) المقرب، والذي دوما يتركهم يقولون آراءهم ويفرغوا مافي أحشائهم من اقتراحات، ثم يقف أمام الملك هادما كل ما قالوه بحكمته وبمنطق لا يخالفه فيه أحد، قاطع شرود الأمير (هيرودس) صوت والده الملك (أذينة) وهو يقول للوزير (لورنتياس).

- وأنت يا (لورنتياس) ما رأيك فيما قالوه؟.

فقال الوزير (لورنتياس):

- أوافق الحكيم (لونجينوس) القول يامولاي بالطبع.. أنا ضد الانضمام لجيش للملك (شابور) أو عقد أي اتفاقية معه.. لا تعقد أي اتفاق مع عدونا وعدو حلفائنا بالإمبراطورية الرومانية يامولاي، إنها خيانة سندفع ثمنها ولن نجني أي مكاسب من أعدائنا.

فقال الملك مختصرا لنتائج الاجتماع:

- إذن؛ فاثنان منكما مع انضمام مملكة (تَدْمُر) للفرس، واثنان يؤيدان عدم التخلي عن الروم في تلك الحرب حتى وإن أخذنا مقاعد المشاهدين، نحمي مملكتنا فقط ولا نشارك في الحرب الخاسرة..

صمت الأربعة موافقين على كلام الملك، فأشار لهم الملك (أذينة) بالرحيل

على أن يجتمعوا بعد أسبوع بالتمام والكمال لإعلان القرار الأخير للملك (أذينة)؛ لتخلو القاعة عليه هو و(زنوبيا) والأمير (هيرودس) ليتشاوروا في الأمر سويا لاتخاذ القرار.

***

في المساء، ومع انتصاف القمر في السماء دق باب قصر كبير الكهنة (ثاديوس) الذي كان قد أخلاه من جميع الخدم والجواري بعد أن جعلهم يصنعون طاولة عشاء ضخمة، ونثروا الشموع بين الصحون لتليق بضيفه القادم، هرولت (بوديكا) ابنته الشابة الشقراء الجميلة ذات العينين الزرقاوين لتفتح الباب لقائد الجيوش الضابط (بيلينوس) ورحبت به وعيناها تلمعان لرؤيته بفرح..

كانت (بوديكا) الجميلة الرشيقة التي تشبه (فينوس) إلهة الحب، ذات العشرين عاما وابنة كبير الكهنة (ثاديوس) مولعة بحب قائد الجيوش الأربعيني الجذاب (بيلينوس) الذي ربما يكون ضعف عمرها أو يزيد، كما أنه صديق وحليف والدها الكاهن (ثاديوس)، ولكنها لم تصرح له أبدا بذلك وإن كان والدها قد لاحظ انجذاب ابنته الشابة لـ(بيلينوس) ولم يعارضها، بل كان من أعماق نفسه يبارك أن ينمو وينضج ذلك الحب ليتحول من مجرد حليف وصديق إلى صهر وزوج لابنته، كما أن (بوديكا) عُينت مسئولة عن الخدم والجواري في قصر الملك إرضاءً ومجاملةً من (أذينة) لوالدها كبير الكهنة (ثاديوس) والذي أفنى عمره في خدمته وخدمة والده الملك من قبله.

جلسوا ثلاثتهم إلى طاولة الطعام وقال (بيلينوس) وهو يلوك قطعة لحم في فمه:

- إن (لونجينوس) أصبح يمثل خطرا يزداد تضخما يوما بعد يوم ويُفقِد الملك ثقته بنا موقفا بعد موقف، فإذا لم يختر (أذينة) التحالف مع

ملك الفرس (شابور) كما أشرنا عليه ستكون هزيمة جديدة لنا على يد (لونجينوس) وانكسارا لآخر جزء من صورتنا أمام الملك الذي خدمناه منذ أن كان وليا للعهد.

فقال (ثاديوس) بضيق:

- معك حق يا (بيلينوس).. معك حق، إن كان قد تكلم قبل أن أقول رأيي لما كنت لأقوله وكنت سأقول رأيا مماثلا له لما يلامسه رأيه للصواب فعلا، ولكنه - وكالعادة - تركنا في البداية ندلي بمشورتنا للملك (أذينة) ويظل صامتا وهو مستمع مبتسم ليقول رأيه المخالف لنا ذا الحجج المقنعة ليضعنا في إطار البلهاء الأغبياء.. أعترف أمام نفسي أن رأيه هو الصواب ورأينا خطأ ولكن اختيار الملك لرأي (لونجينوس) سيكون صفعة قوية لنا وإضعافا لمكانتنا في مجلس السيناتورات.

كانوا يتحدثون بغضب و(بوديكا) تحرك معلقتها في صحن من حساء اللحم أمامها بشرود وابتسامة هيام وعشق تغزو شفتيها الورديتين وهي تميل برأسها ذي الشعر الذهبي على معصم ذراعها المستند إلى الطاولة ليسقط كشلال حريري يخفي خصلاته جزء من وجهها فتغرز أصابعها بين خصلاته شاردة لتكشف عينيها التي تصب تركيزها في تفاصيل وجه (بيلينوس) الحادة على ضوء الشموع المتراقصة تراقب لمعة عينيه الواسعتين العسليتين القويتين وهو يتحدث بتحدٍ وعصبية.. تراقب عضلات ذراعيه القويتين المنفجرتين بالقوة تحت أساور الذهب التي تلف ذراعيه، وترمق لحيته البنية الناعمة اللامعة المزينة بفصوص ذهبية ويخطها بعض الشيب الأبيض الذي يتناثر أيضا على جوانب شعر رأسه البني الذي يلفه طوق من أوراق الشجر المصنوع من الذهب.. تراقب شفتيه وهو يتحدث إلى والدها دون أن تسمع مايقولان ولا تلتفت لحرف مما يتحدثان به.. فهي تتوقع الحديث بينهما ولا يشغلها على كل حال!.

مـن المؤكـد أنهـم حـين يجتمـون ليلـة أي اجتـماع سـيناتورات مجلـس الشيوخ مـع الملـك (أذينـة) ويتحدثـون بعصبيـة، فـلا بـد وأن الحكيـم المصري (لونجينـوس) قـد أطـاح بآرائهـم أرضـا كالعـادة.. فلـم يعـد الأمـر بجديـد عليهـا لـكي يشـد انتباههـا لتسـمع التفاصيـل.

قال (بيلينوس) لـ(ثاديوس) وهو يضرب الطاولة بيده:

- في الغـد يجـب أن نعيـد اقتراحنـا عـلى مسـامع الملـك (أذينـة) قبـل أن يأخـذ قـراره النهـائي ويجـب أن نزيـن لـه رأينـا حتـى يأخـذ بـه ويعلـن رأيـه النهـائي مخالفـا لـرأي هـذا الـ(لونجينـوس) الـذي - بالطبـع - تؤيـده الملكـة (زنوبيـا) وأعلنـت ذلـك أثنـاء الاجتـماع بشـكل حـازم ولم يبـق أمامنـا إلا أن يكـون الأمـير (هـيرودس) ولي العهـد حليفـا لرأينـا والـذي لم يعلـن رأيـه النهـائي في الاجتـماع مـما يؤكـد أنـه مـازال يفكـر.. إن ضمنـا الملـك (أذينـة) و(هـيرودس) سـيكون لرأينـا الغلبـة والنـصر أمـام (لونجينـوس) و(لورنتيـاس) و(زنوبيـا).

ابتسـم (بيلينـوس) وهـو يحـول نظـره فجـأة إلى (بوديـكا) وأكمـل وعينـاه تلتقـي بعينيهـا لأول مـرة منـذ أن حـل ضيفـا:

- و(بوديـكا) بحكـم عملهـا بالقـصر وتواجدهـا الطبيعـي بـأي غرفـة مـن غـرف القـصر سـيكون لهـا دور مهـم أيضـا في جعـل ولي العهـد (هـيرودس) حليفـا لنـا.

أفاقـت (بوديـكا) مـن شرودهـا عنـد نطقـه اسـمها وتحـول نظـره عليهـا وارتجـف قلبهـا وهـي تقـول لـه:

- أنا!.

فرد (بيلينوس) موجها كلامه لـ(بوديكا):

- نعـم.. فتـاة عشرينيـة جميلـة فاتنـة شـقراء، وأمـير عشرينـي شـاب ليـس لـه خـبرة بالنسـاء.. فتـاة حسـناء ذات حسـب ونسـب ابنـة كبـير الكهنـة فاتنـة

لديها السلطة لدخول كافة غرف القصر الملكي، ليس من الصعب أبدا أن يقع ولي العهد سريعا في براثن حبك وتجعليه خلال أيام يعلن للملك رأيه المناصر لنا إرضاء لكِ، ولربما يطلب من والده الزواج منك، ولن يعترض الملك أبدا لأنك ابنة كبير كهنة معبد الشمس.. ونضمن كل آرائه لنا مستقبلا ليس في هذا الأمر فقط.

كان كلامه بمثابة قنبلة انفجرت في وجه (بوديكا) جعلتها تشعر بالدوار المفاجيء، وكتمت دموعها التي باغتتها حين أيقنت أنه لم يبادلها لحظة مشاعرها الصامتة الماجنة بالحب، وأنه يريدها طعما في سنارته لإيقاع الأمير (هيرودس) في حبها، ليكون دائما الأمير مواليا لآرائهما بحكم حبه لـ(بوديكا) وليتعادلوا مع (لونجينوس) في التأييد الدائم لآرائه من طرف الملكة (زنوبيا) والوزير (لورنتياس).

أما الكاهن (ثاديوس) فقد راقت له الفكرة كثيرا.. وقذف من رأسه فورا رغبته الدفينة القديمة بأن تتزوج (بوديكا) من (بيلينوس) قائد الجيش الأربعيني أشيب الشعر فور تخيله زواج ابنته (بوديكا) من الأمير الشاب الوسيم ولي العهد (هيرودس) وأن تصبح هي ملكة (تَدْمُر) مستقبلا وأم ولي العهد، وبدأ (بيلينوس) في وضع خطته لها لإيقاع الأمير الشاب.

***

في الصباح الباكر استيقظ الأمير (هيرودس) في جناحه بالقصر ليشعر بحركة غريبة بالمسبح الخاص به داخل جناحه؛ فأشهر سيفه واقترب ببطء ليرى عروس البحر الشقراء (بوديكا) تسبح شبه عارية وهي تغني بصوت عذب، وما أن رأته يرمقها حتى صرخت بأسلوب تمثيلي يمتلىء بالدلال بعد أن لمحت بعينيه تلك اللمعة التي تأكدت فيها أنها أغوته بنجاح ولن يراها ثانية مجرد ابنة الكاهن، وقالت له متوترة بخجل مصطنع ودلال:

- عذرا.. استدر مولاي الأمير (هيرودس) حتى أخرج من المسبح وأضع

ملابـسي.. كنـت أظـن أنـك خرجـت لرحلـة الصيـد كـما تعـودت فاسـتخدمت مسـبحك.. آسـفة لاسـتخدامي إيـاه.. إنهـا أول مـرة أفعلهـا وأعـدك أن تكـون الأخـيرة.

قال لها وقد استطاعت أن توقعه في شباكها سريعا وبنجاح غير متوقع:

- لا.. بـل عدينـي ألا تكـون المرة الأخـيرة.. لحسـن حظـي أني لم أذهـب لرحلـة الصيـد يا(بوديـكا) كيـف لم ألحـظ جمالـك هـذا مـن قبـل.. إنـك ابنـة (فينـوس) إلهـة الجـمال ذات نفسـها.. لسـت ابنـة الكاهـن.

ابتسـمت (بوديـكا) بخجـل وانتصـار في نفـس الوقـت، فخطـة (بيلينـوس) نجحـت نجاحـا سـاحقا منـذ اللحظـات الأولى وقبـل أن تكمـل كل مـا خططـه لهـا (بيلينـوس) وجـدت نفسـها تحصـل انتصـارا، فالأمـير الصغـير ليـس ذى أي خـبرة عـلى الإطـلاق.. نـزل (هـيرودس) بفرحـة طفـل وطيـش مراهـق ليشـاركها السـباحة في مسـبحه المـليء بالـورود والعطـور وعلـت أصـوات ضحكاتهـما.

وكان (كيوبيد) ثالثهما!.

***

بعـد أسـبوع كامـل مـن إلحـاح (بيلينـوس) و(ثاديـوس) في طـرح رأيهـما يوميـا عـلى مسـامع (أذينـة) وتزيينـه لـه وتأكيدهـم موافقـة وترحيـب ملـك الفـرس (شـابور) بالتحالـف مـن مصادرهـم الخاصـة -الوهميـة بالطبـع- وانحيـاز ولي العهـد (هـيرودس) المفاجـىء لرأيهـما بقـوة تأثـير وقوعـه في غـرام (بوديـكا) الفاتنـة وليـس اقتناعـه، لم يجـد (أذينـة) إلا أن يعلـن في اجتـماع السـيناتورات الأربـع انحيـازه لـرأي الأغلبيـة بـأن يعـرض التحالـف عـلى ملـك الفـرس (شـابور)، ظهـر الضيـق عـلى الملكـة (زنوبيـا) وأعلنـت رفضهـا وحمّلـت الملـك (أذينـة) نتيجـة قـراره، ليـس لأن الـرأي الآخـر فقـط رأي صديـق عمرهـا الحكيـم (لونجينـوس)؛ بـل لأنـه الـرأي الصـواب الـذي لامـس المنطـق وعقلهـا

ومصلحة مملكة (تَدْمُر)، وأكد الأمر الوزير (لورنتياس) الذي أعلن هو الآخر اعتراضه التام، بينما صمت (لونجينوس) يرمق نظرات (ثاديوس) و(بيلينوس) الشامتة.

أرسل (أذينة) في البداية رسله بالمجوهرات والعطايا والجواري في سرية تامة إلى الملك (شابور) ملك الفرس معلنا تحالفه معه ولكن سرعان ما رد عليه الملك (شابور) برد الهدايا والعطايا والجواري ورفضه إياهم بطريقة مهينة!.

ولخجل الملك من أن يكون قد انصاع للرأي الخطأ أمام الجميع وأولهم زوجته (زنوبيا) التي ترجته أن يكون قراره هو نفس قرار (لونجينوس) الذي أيده أيضا الوزير (لورنتياس)؛ فأخفى (أذينة) ماحدث عن الجميع وأعاد إرسال رسول آخرٍ برسالة مباشرة إلي الملك (شابور) يعرض عليه التحالف معه وأرسل عطايا وهدايا أكبر وجواري أجمل..

ولكن..

أيضا قوبل بنفس الرفض التام، مع إعدام الرسول والجواري هذه المرة وإرسال رؤوسهم جميعا إلي (أذينة) في نفس صناديق الهدايا المرفوضة.. ونقش (شابور) على الصناديق بلغة آرامية لغة أهل تدمر:

«من الملك (شابور) ملك الفرس إلى الملك (أذينة) ملك (تَدْمُر):

سعيكم مرفوض، وتحالفنا معكم مستحيل، الرجاء عدم المحاولة مجددا وإلا أرسلت الصناديق القادمة إلى إمبراطور (روما) شخصيا ليضع فيها رؤوسكم..

الملك العظيم (شابور)»

يخبره بشكل حازم أن لا يعيد محاولاته في عرض التحالف معه ويهدده بفضحه لدى الإمبراطور إن كرر العرض، ولحسن حظه أن ليس بقصره

جواسـيس فلـم تصـل أخبـار مسـاعيه للتحالـف مـع الفـرس للإمبراطوريـة الرومانيـة والإمبراطـور (فاليريـان)، وطلـب مـن قائـد الجيـش (بيلينـوس) التخلـص النهـائي مـن تلـك الصناديـق المعدنيـة المنقوشـة بكلـمات تؤكـد محاولـة (أذينـة) خيانـة الإمبراطوريـة الرومانيـة مـع الفـرس بالصهـر في أفـران صناعـة السـيوف والـدروع الخاصـة بالجيـش محـذرا إيـاه أن يـرى تلـك الصناديـق أي شـخص مهـما كان حتـى تمـام انصهارهـا لاعنـا إيـاه و(ثاديـوس) وابنـه (هـيرودس) المؤيديـن لتلـك الفكـرة الفاشـلة في آن واحـد، ولاعنـا نفسـه الـذي - ولأول مـرة - لم يسـتمع إلى توسـلات (زنوبيـا) و(لونجينـوس) و(لورنتيـاس) بعـدم التحالـف وتوقعهـم الصائـب للنتائـج.

فقـد كان ملـك الفـرس مغـرورا واثقـا في جيشـه وقـوة بـلاده.. متأكـدا مـن ضعـف دولـة الـروم وأنـه ليـس بحاجـة إلى التحالـف مـع مملكـة (تَدْمُـر) الموالية لأعدائـه الرومـان لضـمان الانتصـار.. فلربمـا كانـوا يسـعون إلى أن يخترقـوا صفـوف جيشـه ليضعفـوه لمصلحـة الإمبراطوريـة الرومانيـة ويعلمـوا بخطـط (شـابور) الحربيـة ليوشـوا بـه لـدى الإمبراطـور (فاليريـان)، فليـس وقـت الحـرب وقـت التحالـف مـع حلفـاء الأعـداء أو اختبارهـم عـلى كل حـال!.

رؤيـة الحكيـم (لونجينـوس) وتوقعـه للأحـداث منـذ البدايـة كانـت وكأنـه يقـرأ المسـتقبل، وسريعـا ماعلـم الملـك (أذينـة) أنـه كان عـلى صـواب وأن الملكـة (زنوبيـا) عندمـا أيدتـه بشـدة كان ذلـك لمصلحـة (تَدْمُـر) أولا وأخـيرًا، وهـا هـو قـد عـرض نفسـه للقـب الملـك الخائـن أمـام نفسـه وأمـام الإمبراطـور (فاليريـان) إذا انكشـف أمـر محاولتـه الفاشـلة للتحالـف مـع الفـرس في بـلاط الإمبراطوريـة الرومانيـة..

***

الفصل الثالث عشر

- (سعيد بدير).. آخر الضحايا.. تمت جريمة قتله منذ شهر بالتمام والكمال.. محامٍ شاب ليس له علاقة بالمتحف ولا بتوابيته وتماثيله.. الشهود وأقاربه وأصدقائه ينكرون أي علاقة له بالمتحف مكان الجريمة.. فلم تكن الآثار والتاريخ يوما من اهتماماته حتى..

قالها (إياد) ل(أميرة) التي أضافت:

- ملفه أصعب وأكثر غموضا من (أحمد عبد الله).. على الأقل (أحمد) كان يعمل بالمتحف..

فقال (إياد) حاسما الأمر:

- إذن فلا بد من زيارة سريعة لمكتبه ومنزله ومعاينة تلك الأماكن، لن يكفي سماع أقوال الشهود فقط.. أعتقد أننا – ربما - نجد هناك خيطا مهما..

كانت شقة (سعيد) في نفس البناية القديمة التي بها مكتب المحاماة الخاص به في حي (العصافرة)..

شاب أعزب وحيد يقيم بمفرده في عقار قديم مكون من ثلاثة طوابق ذي درج ضيق مرصوفة أرضه ببلاط متعدد الألوان والأشكال من بواقي وكسر السيراميك، متهالكة حوائطه، مكتبه يقع في الدور الأرضي والشقة بالدور الأول، بتفتيش الشقة لم يجد (إياد) و(أميرة) أي شيء غريب أو ملفت.. بحث (إياد) في كافة الأوراق على المكتب وبالأدراج..

لا شيء..

كل شيء طبيعي..

مجرد عقود بيع وشراء وإيجارات وإيصالات أمانة بمبالغ بسيطة للغاية.. نظر لـ(أميرة) بإحباط بعد أن مر قرابة الأربع ساعات وهما في بحثهما داخل شقته، فقالت (أميرة):

- أعتقد أننا لن نجد شيئا مفيدا.. كفانا إضاعة للوقت هنا.. هيا بنا فيجب أن أحضر أدوات ومواد الترميم التي احتاجها من الشركات الخاصة لإصلاح التمثال وإعادة الجيب المكسور كما كان وكما وعدت مدير المتحف و(زينب).

أومأ برأسه وهو صامت يفكر وقد أصابه اليأس..

على باب العقار اصطدما بسيدة جميلة تدخل المبنى مسرعة ترتدي نظارة شمسية تخفي نصف وجهها برفقة صبي مراهق..

- أستاذة (زينب)!.

قالت (زينب) بحنق:

- مقدم (إياد).. دكتورة (أميرة).. ما الذي أتى بكما إلى هنا؟ هل هناك تمثال أثري آخر تودان كسره؟.

قالتها (زينب) بتهكم، فرد (إياد) بضيق:

- بل أنا من أسالك: لماذا أنتِ هنا؟ ومن هذا الصبي؟.

أشارت للأعلى وقالت مبتسمة:

- أنا هنا لأني أسكن بالطابق الثالث فوجودي هنا طبيعي.. وهذا (عبدالوهاب).. ابن جارتي التي تسكن أمامي، قابلته وأنا عائدة من المتحف في المواصلات فرافقني الطريق.. ماذا عنكما؟.

- أنـا أحقـق في مقتـل (سـعيد بديـر) المحامـي.. جـارك.. وأفتـش شـقته ومكتبـه.

فقـال (عبدالوهـاب) الفتـى الاشـقر بصـوت أجـش يتراقـص بـين الطفولـة والرجولـة:

- وهـل معـك إذن نيابـة أيهـا المقـدم؟ إن اقتحامـك شـقة مواطـن بـدون إذن نيابـة يعـد...

قاطعته (زينب) بحدة وغضب:

- اصعـد إلى الأعـلى عنـد والدتـك يـا (عبـد الوهـاب).. ذلـك الأمـر لا يخصـك والمقـدم (إيـاد) يـرى عملـه عـلى كل حـال.

صعـد الصبـي بالفعـل بمفـرده بعـد أن نظـر لهـا بضيـق وتركهـا دون نقـاش وهـو يتمتـم بكلـمات غاضبـة..

تنهدت (زينب) ونظرت إليهما وقالت:

- إنـه سـن مـراوغ حقـا اللـه يعـين والدتـه عليـه .. هـل قلتـي أسـتاذ (سـعيد)..المحامي.. رحمـة اللـه عليه..ماعلاقتـه بقضيتكـم؟.

قالت (أميرة) لها:

- مـاذا تعرفـين عنـه أسـتاذة (زينـب).. مـا علاقتـك بـه؟.. أعتقـد أن ثمـة علاقـة تربطـك بمجنـي عليـه آخـر تسـتدعي السـؤال؟ .. صداقـة مـع أحدهـم .. ثـم جـيرة مـع الآخـر مصادفـة عجيبـة؟!.

- معـك حـق ولكـن الأمـر لا يخصنـي، فالعلاقـة بـين أحمـد وسـعيد، أنـا لسـت عامـلا مشـتركا بـل أحمـد هـو مـن يعرفـه وصديقـه.. أنـا لا أعـرف عنـه أي شيء عـلى الإطـلاق سـوى اسـمه وشـكله.. فأنـا أسـكن هنـا منـذ بضعـة أشـهر فقـط وهـو تـوفي منـذ شـهر.. تقريبـا لم أتحـدث أو أتعامـل معـه سـوى

مـرة واحـدة حـين كتـب لي عقـد الإيجـار، وكانـت تلـك الأولى والأخـيرة تقريبـا.. أنـا بحكـم مـرضي وفقـداني الذاكـرة لا أحـب الاختـلاط بالنـاس لـكي لا أتعـرض للأسـئلة المحرجـة.. إن (أحمـد) رحمـه اللـه هـو مـن بحـث لي عـن شـقة رخيصة وجـاء بي هنـا لأكتـب عقـد الإيجـار لـدى (سـعيد) بالمكتـب لأنـه صديقـه وهـو مـن رشـح لـه الشـقة الخاويـة بنفـس البنايـة التـي يقطنهـا، ومـن يومهـا وأنـا أقطـن بشـقتي ولا أختلـط بـأي جـار حتـى أني علمـت بالصدفـة منكـم الآن أنـه هـو نفسـه القتيـل الـذي وجـدوه بالمتحـف بعـد (أحمـد) رحمـة اللـه عليهـما، ولا أعـرف ماعلاقتهـما بالأمـر ولا حتـى مـا مـدى علاقتهـما ببعـض.. كل مـا أعرفـه أنهـم أصدقـاء وأنـا سـكنت هنـا بنـاء عـلى علاقتهـما ببعـض، لا علاقتـي أنـا بهـما .

نظرت (زينب) لـ(أميرة) وأكملت بود:

- هل سترممين التمثال الليلة كما أخبرني المدير يادكتورة؟.

- ربمـا في الغـد.. سأشـتري بعـض المـواد التـي سـأحتاجها للترميـم اليـوم ثـم أبـدأ غـدا..

فقالـت (زينـب) بـود وابتسـامة جميلـة جعلـت وجههـا أكـثر جـمالا وهـي تخلـع نظارتهـا الطبيـة وتربـت عـلى كتـف (أمـيرة):

- اقبـلي اعتـذاري عـلى عصبيتـي بالمتحـف في الصبـاح فأنـا شـديدة الغـيرة عـلى كل مـا يخـص الآثـار والتاريـخ.

- لا عليـك يـا (زينـب).، ولكـن كـوني عـلى يقـين أن المقـدم (إيـاد) أيضـا كان عـلى صـواب وأنـا لم أسـاعده في تدمـير تمثـال أثـري.. إنهـا ليسـت تماثيـل كـما تعتقديـن، بـل ذلـك الكسر سـاعدنا لنعـرف أنهـم ينتمـون لعـصر مابعـد صـك الملكـة (زنوبيـا) العمـلات التـي تحمـل وجههـا ووجـه ابنهـا الملـك (وهـب الـلات).

أصدر (إياد) كحة مفتعلة لتنبيه (أميرة) لأنها استرسلت في الثرثرة مع (زينب) كأنثى مصرية أصيلة وجدت شخصا يشاركها الاهتمامات! فصمتت (أميرة) ونظرت له (زينب) قبل أن توجه حديثها لـ(أميرة):

- امم .. هائل.. على كل حال إذا احتجتِ مساعدتي يادكتورة (أميرة) في ترميم التمثال أخبريني فقط متي ستذهبين وسأكون معك لأساعدك؛ فعندي خبرة رائعة بالترميم.. أعطني رقم هاتفك لنرتب وقتنا.. فأنا تحت أمرك في أي مساعدة.. يسعدني أن نصير أصدقاء.

رحل (إياد) و(أميرة) فقالت (أميرة) هامسة:

- كم هي لطيفة!.

فرد (إياد) معترضا:

- من! (زينب)! بالعكس.. أنا لا أرتاح لها إطلاقا.

- ربما لأن حدث بينكما مشادة بسبب التمثال وانفعلت عليك وصرخت.. ولكن إنصافا للحق هي محقة في هذا الموقف.

صمت (إياد) لحظات غالقا للحوار ثم قال وهما في طريقهما للسيارة التي تقف في بداية الشارع الضيق:

- المهم أن لم تنتهِ زيارتنا خاوية الوفاض.. هناك علاقة ما بين (أحمد عبد الله) و(سعيد بدير) .. وهناك أمر متورطان به سويا، وتلك ليست صدفة بالتأكيد أن يختار (أحمد) شقة بنفس البناية التي يقطن بها (سعيد) إلا لو كانت علاقتهما قوية.. ثم يقُتل الشابان بنفس الطريقة.. هناك رابط بين الشابين.

أكملت (أميرة):

- إذن فلا بد وأن نجد بين الشابين و(ماهر) أيضا علاقة ما ونفس

الرابط الذي يربطهم سيجعلنا نتوقع تفاصيل الجريمة الرابعة، وربما نوقفها قبل أن تحدث!

***

مساءا بمكتبه بمديرية الأمن جلس (إياد) و(أميرة) كلا منهما يحمل هاتفه ويتحدث:

- آلو.. (عبد العزيز).. كيف حالك.

- الحمد لله.. من معي؟.

- أنا المقدم (إياد).

- يامرحبا.. أهلا وسهلا بك ياباشا.

- أريد منك طلبا خاصا ومهما..

- أنت تأمرني ياباشا؛ فخروجي من المصحة دين في رقبتي لك مابقي من عمري.

- سأرسل لك صورا لشابين حالا على تطبيق الواتساب، انظر إليهما جيدا واتصل بي لتؤكد لي هل تعرفهما من قبل أو كان (ماهر) يعرفهما؟.

صمت (عبد العزيز) لحظات وقال:

- تلقيت الرسالة.. دقيقة لكي أراهما وسأعاود الاتصال بك.

أغلق (عبد العزيز) الاتصال مع (إياد) حيث كانت (أميرة) مشغولة بمكالمة أخرى مع شركة تحاول توفير بعض مواد الترميم الأثري التي تحتاجها وقالت..

- غير متاحة! أرجوك يجب أن توفر لي تلك المواد بشكل عاجل ولو بكمية بسيطة.. سأنتظر ردا منك ... شكرا!.

رن هاتـف (إيـاد) مـرة أخـرى معلنـا وصـول مكالمـة صوتيـة مـن (عبـد العزيـز):

- (عبد العزيز).. هل تعرفت عليهما؟!.

- لا، لم أرهـم مـن قبـل أو أسـمع بأسـمائهما مـن (ماهـر).. أنـا متأكـد مـن ذلـك فهـو كان يحـكي لي كل شيء!.

- شكرا يا (عبد العزيز).

- تحت أمرك ياباشا.

تبـادلا النظـرات المحبطـة ووضـع (إيـاد) كفـه عـلى جبهتـه وهـو يزفـر ويقـول:

- انهارت نظرية العلاقة بين الضحايا سريعا.. فـ(ماهر) لا يعرفهما.

رفعت (أميرة) الهاتف لتنظر إلى الشاشة وتقول لـ(إياد):

- إن (زينب) تتصل بي.. آلو..

جاء صوت (زينب) هامسا خائفا:

- دكتورة (أميرة) هل أنتِ موجودة بالمتحف الآن؟.

نظـرت (أمـيرة) إلى سـاعتها التـي تشـير إلى التاسـعة مسـاء وقالـت بتعجـب واسـتنكار:

- لا يا (زينب).. قلت لك سأذهب في الصباح!.

اسـتدار (إيـاد) لجملتهـا وأشـار لهـا أن تفتـح مكـبر الصـوت ليسـتمع معهـا إلى المكالمـة..

قالت (زينب) بصوت خافت خائف:

- إذن مـن أبلغنـي هاتفيـا بـأن أجهـز بسرعـة لأنـك تحتاجـين مسـاعدتي بالمتحـف؟.

- أنا لم أطلب من أحد أن يبلغك أي شيء!.

أكملت بصوت أكثر همسا:

- جـاءت سـيارة وأخذتنـي مـن بيتـي إلى المتحـف برفقـة رجـل ضخـم ملتحـي قـال أنـه مـن طـرف الشرطـة ودخـل بي مـن بـاب خلفـي صغـير في سـور المتحـف بجـوار كشـك البقالـة، وعندمـا فتحـت لـه بـاب القبـو الخارجـي ببصمـة إصبعـي لأني مـن العامليـن المسـموح لهـم بالدخـول إلى القبـو، دخـل الرجـل إلى جـواري.. وقـال لي أن أنتظركِ وإنـك عـلى وصـول وذهـب بعيـدا، ثـم اكتشـفت أنـه أغلـق القبـو مـن الخـارج.. بحثـت عنـك ولم أجـدك فارتبـت بالأمـر.. اختبـأت مـن الرجـل واتصلـت بـكِ لأتاكـد مـن الأمـر.. فلحسـن الحـظ أني أخـذت رقمـك منـذ سـاعات وحفظتـه بهاتفـي.

- أنـا لم أرسـل أحـدا لأخـذك يـا (زينـب).. خـذي حـذرك حتـى نحـضر إليـكِ أنـا والمقـدم (إيـاد).. حـاولي الاختبـاء منـه!.

- أنقذينـي.. إن المتحـف الآن خـاوٍ ومغلـق ومظلـم.. أنـا خائفـة.. ليـس معـي سـوى ذلـك الشـخص الغريب!.

- (زينب).. (زينب)..

انقطع الاتصال!.

نظـرت (أمـيرة) إلى (إيـاد) وأخـذ يسـيل الفـزع مـن عينهـا وهـي تحـاول إعـادة الاتصـال بيـد مرتعشـة ثـم قالـت:

- الهاتف أصبح مغلقا!.. إنها الضحية الرابعة.

***

الفصل الرابع عشر

٢٦٠ م-٢٦٢م / مملكة (تدمر) – (روما):

قامت الحرب بين الفرس والروم وأخذت مملكة (تَدْمُر) بجيشها العملاق مقاعد المتفرجين في تلك الحرب تنتظر النتيجة المتوقعة وتكتفي بحماية مقاطعات المملكة في (حِمْص) و(أنطاكية) وبلاد ضفة نهر (الفرات) التابعة لها من أي هجوم من جيش الفرس، وبالفعل وفي غضون شهور قليلة وكما كان متوقعا انهار الجيش الروماني أمام جيش الفرس العملاق وسقطت العديد من الممالك الموالية التي ألقت بجيوشها في مطحنة الحرب الخاسرة ورفعوا أعلامهم بجانب جيش (فاليريان) الذي سرعان مانُكس وأُسر الإمبراطور (فاليريان) وخسرت الإمبراطورية العديد من ممالكها وأراضيها، ولكن لم يجروء (شابور) أن يدخل بجيشه مملكة (تَدْمُر)؛ فجيشها العملاق قابع كالوحش الجاسر يحمي أسوار المملكة ومقاطعتها بكامل قوته .

لا مصلحة لجيش الفرس المنتصر المنهك من الحروب أن يدخل مع جيش التدمريين في صراع وحرب وهم بكامل قوتهم. فاكتفي (شابور) بما حققه من مكاسب كبيرة وتجنب الاقتراب من مملكة (تَدْمُر).

انتصر في النهاية رأي الحكيم (لونجينوس) وفرض نفسه دون ضغوط أو مؤامرات، وأعلن انتصاره السحيق.. وأصبحت مملكة (تَدْمُر) فجأة أقوى ممالك الإمبراطورية الرومانية؛ بل أقوى من (روما) نفسها ولم تخسر نقطة دماء أو شبر من الأرض، في حين أن النزيف يعم أرجاء ممالك الرومانيين الأخرى ولم يعد لهم جيش يذكر بعد موت الآلاف من الجنود على يد جنود الفرس وصارت (روما) بعد الحرب أضعف بكثير مما سبق.

وبعد إعدام الإمبراطور (فاليريان) على يد الملك (شابور) تم الانتهاء

من تجهيز مراسم تنصيب ولي العهد الإمبراطور (جالينس) بن (فاليريان) في (روما) بحضور ملوك الممالك التابعه لهم والتي لم تسقط ولم تنضم للفرس ومنهم بالطبع مملكة (تَدْمُر) أقوي الممالك الحالية والجيش الأقوى الموالي لهم والذي لم يشارك في تلك الحرب الخاسرة ولم يخسر قوته كباقي الممالك المتهالكة، فحرص الإمبراطور الجديد (جالينس) على إرسال برقية رقيقة يدعو فيها الملك (أذينة) وزوجته الملكة (زنوبيا) وطفليهما (وهب اللات) و(حيران الثاني) وولي العهد الأمير (هيرودس) وزوجته (بوديكا) لعلمه بأنه صار أقوى حليف للإمبراطورية في عهد ما بعد الحرب.

لم يكن الإمبراطور (جالينس) على كل حال يختلف كثيرا عن (فاليريان) والده كان أيضا إمبراطورا ضعيفا جبانا قصير النظر متهور القرارات غير حكيم، متوقع له أيضا قصر عمره على كرسي العرش.. ولكنه كان يمتاز بأنه صريح مع نفسه، يعلم أنه ضعيف ولا ينكر ذلك، ويعلم أنه في حاجة إلى ملك قوي يحميه ويعلم أنه لم يخلق ليخطط للحروب العسكرية، وفكر في أن يترك أمر الإمبراطورية العسكري برمته في يد أقوى ملوك الممالك الحالية وهو بالطبع (أذينة) مقابل ضمان الأمان والحماية له ولعرشه.

شقت سفينة مملكة (تَدْمُر) البحر المتوسط متجهة إلى (روما)، تلك السفينة الذهبية الخلابة التي تحمل على مقدمتها تمثال للملك (أذينة) وفي مؤخرتها تمثال لـ(زنوبيا) الفاتنة وترفع علم مملكة (تَدْمُر) وهي تحمل الهدايا والعطايا للإمبراطورالجديد (جالينس).

(أذينة) و(زنوبيا) في غرفتهما الملكية الخاصة وطفليهما في غرفة أخرى مجاورة، بينما أنشئت غرفة ملكية جديدة لولي العهد (هيرودس) وزوجته المتيم بعشقها (بوديكا) التي وبرغم كل ماحدث وبرغم مرور الزمن مازالت معلقة القلب بحب قائد الجيوش (بيلينوس) والذي حولها إلى جاسوسة خاصة به هو و(ثاديوس) والدها وجعل من (هيرودس) لسانا

ناطقا بآرائهـما عـلى أحـد كـراسي العـرش الثـلاث.

بغرفـة الملـك (أذينـة) جلسـت (زنوبيـا) تشـاهد البحـر الأزرق المتوسـط الفـيروزي مـن نافـذة غرفتهـا مرتديـة قميـص نومهـا الحريـري القرمـزي شـاردة، فجـاء الملـك مـن خلفهـا ليهمـس في أذنهـا وهـو يلمـس شـعرها الأسـود الحريـري الكثيـف المنسـدل عـلى ظهرهـا متداخلـة خصلاتـه كأمـواج البحـر:

- مولاتي الحكيمة.. حبيبتي الفاتنة.. ما الذي يشغلك بذلك العمق؟!.

استدارت لتحضنه وتقبله وهي تقول له هامسة:

- إنهـا فرصتنـا لنكـون أسـياد الإمبراطوريـة الرومانيـة يا(أذينـة).. نحـن الآن أقـوى مملكـة في بـلاد الرومـان ونمتلـك أقـوى جيـش، والإمبراطـور الجديـد (جالينـس) ضعيـف خائـف رأى بعينيـه الهزيمـة ورأس أبيـه المعلقـة.. إنـه كالطفـل يـود الاحتـماء بعبـاءة مـن يملـك القـوة ليحميـه.. إنـه يـود أن يعطينـا السـلطة، ونحـن يجـب أن نسـتلمها منـه.. هـذا هـو هـدف هـذا الحفـل ودعوتنـا!.

استمع لهـا (أذينـة) بـأذن صاغيـة، فأكملـت وهـي تـدور حولـه ثـم مـدت يدهـا تتحسـس ذقنـه التـي طالمـا عشـقت لمسـها وهـي تحدثـه:

- فرصتنـا الآن أن نحـول مملكتنـا إلى إمبراطوريـة موازيـة للإمبراطوريـة الرومانيـة، نبنيهـا عـلى أنقـاض تلـك الإمبراطوريـة العجـوز المتهالكـة، سـنبدأ كحـماة موالـين تحـت رايتهـم حتـى ننبثـق بإمبراطوريتنـا القويـة التـي سـتكون أقـوى حتـى مـن الفـرس.

شردت وهي تقول بقوة وتقبض كفها أمام وجهها بابتسامة نصر:

- أحلـم أن أسـترد عـرش (مـصر) مـرة أخـرى مـن الرومـان والـذي أخـذوه مـن جـدتي (كليوباتـرا) آخـر ملـكات الإغريـق وأجلـس عليـه.

- لا أحبك من فراغ يا(زنوبيا)، أنتِ أذكى وأقوى وأحنك وأجمل من رأت عيني، وأعدك أن نحقق حلمنا بإمبراطورية (تَدْمُر) التي ستكون أكبر إمبراطوريات الأرض لا مجرد مملكة قوية تابعة لإمبراطورية منهكة، وسيشهد التاريخ ميلاد إمبراطورية عظيمة وعصر التدمريين، طالما أنتِ بجواري وسند لي سأهدم الجبال من أجل حلمنا حتى أضعك على عرش (مصر) كما تحلمين يا مليكتي.

فارتمت (زنوبيا) في حضنه وهي تهمس في أذنه:

- أعشقك يا (أذينة)..

***

رست السفينة علي شواطئ (إيطاليا) متجهين إلى (روما)، وكان في استقبالهم الإمبراطور (جالينس) بنفسه وقد رتب استقبالا مهيبا أكد لـ(أذينة) توقعات (زنوبيا) بأن الإمبراطور في أشد الحاجة لضمان حماية (أذينة) له.

بعد مراسم التنصيب اختلى (أذينة) بالإمبراطور (جالينس) ليعرض عليه عرضا يعلم أن الإمبراطور سيطرب لسماعه.

- مولاي الإمبراطور (جالينس)، لا يسرني ما وصل إليه حال الإمبراطورية الرومانية من تدهور وضعف وخسارة ممالك وأراضي الامبراطورية، وبما أن جيش مملكتي مملكة (تَدْمُر) مازال بكامل قوته وعنفوانه ولم تنهكه الحرب الخاسرة ولم يجرؤ الملك (شابور) علي محاربتنا أو محاولة دخول مملكة (تَدْمُر)..

أنا أعرض عليك أن تجمع لي فلول جيش الإمبراطورية الرومانية المتبقية في أرجاء الممالك بعد الحرب ليكون الجيش الرسمي والموحد للإمبراطورية الرومانية هو جيش (تَدْمُر) بشرط أن يكون تحت قيادتي أنا وأوامري الحربية منفذا لخططي دون أدنى تدخل من أي شخص آخر .. حتى أنت..

وأعـدك في المقابـل أن أعيـد كل الأراضي والممالـك التـي سلبها الفـرس تحـت رايتنـا مـرة أخـرى، وكـسر شـوكة الفـرس، ورأس الملـك (شـابور) سـتكون بـين يديـك هديـة منـي ثـأرا لوالـدك في أقـرب وقـت.

كان مـا قالـه (أذينـة) هـو مـا كان يحلـم بـه الإمبراطـور (جالينـس) الصغـير وأكـثر، تهللـت أسـاريره وهـو يقـول لـه:

- بالطبـع موافـق أيهـا الملـك المغـوار، وكل فلـول الجيـش وكل جنـدي بالإمبراطوريـة كلهـا تحـت أمـرك وسـأعلن لجميـع الممالـك المواليـة لنـا أمـرا إلزاميـا أن تكـون كل قواتهـم المتبقيـة بعـد الحـرب تحـت أمـرك وأن تدعمـك بـكل الجنـود التـي تحتاجهـا..

مـن اليـوم أعطيـك لقـب ملـك الملـوك (أذينـة) سـيد المـشرق وأن لا يعارضـك أي شـخص أو يتدخـل في خططـك الحربيـة ولا حتـى أنـا نفـسي..

وسـنتوحد تحـت رايـة واحـدة تحمـل رايـة الإمبراطوريـة الرومانيـة تحتهـا رايـة مملكـة (تَدْمُـر)..

ومـن اليـوم سـتصك العمـلات في كل مملكـة تسـتردها مـن الفـرس في الـشرق بصـورتي في جهـة وصورتـك بالجهـة الأخـرى!.

ابتسم (أذينة) برضا تام وهو يقول:

- وأنـا أعـدك بالحمايـة والنـصر والثـأر وعـودة الممالـك المسـلوبة جميعهـا وإعـادة قـوة إمبراطوريـة الرومـان العريقـة.

***

الفصل الخامس عشر

صعدت (أميرة) الي جوار (إياد) في سيارته متجهين إلى المتحف الروماني وهو يتحدث إلى مديرية الأمن لإرسال بعض قوات الأمن التعزيزية إلى المتحف مبلغا إياهم أنه سيسبقهم إلى هناك لإنقاذ تلك المسكينة (زينب)..

أخرجت (أميرة) ورقة مطوية من حقيبتها وقرأتها أولا في صمت ثم قالت (أميرة) متمتة بصوت خافت كأنها تحدث نفسها:

ستنفضون عنكم الصخر في ميقات لا يخلف النداء.

أنصاف أوقات تفصل بين الموتى والأحياء.

رمقها (إياد) وعاد ينظر إلى الطريق وهو يقود سيارته بجنون وقال:

- إنها من النص الموجود بالكهف، أليس كذلك؟.

- إنها الليلة يا (إياد).. الليلة؟.

- ماذا تقصدين؟.

- أنصاف أوقات تفصل بين الموتى والأحياء.. (ماهر) ُقتل أولا، وبعد أربعة أشهر قتل (أحمد عبد الله).. وبعده بشهرين (سعيد بدير).. إذن فسيقتل شخص رابع بعد شهر واحد فقط.. أي اليوم يا(إياد)! أنصاف أوقات.. اليوم يمر شهر على مقتل سعيد.

قال (إياد) بصوت عال منتصر سعيد:

- أنصاف أوقات تفصل بين الموتي والأحياء.. أنصاف أوقات يا (أميرة).. تلك هي المتتالية الحسابية.. نعم.. أنتِ عبقرية.. إذن فقد استدرجت (زينب) لتقتل وتستبدل بأحد التماثيل ليعود إلى الحياة على حساب

دمائها الليلة حسب موعد الطقوس التي تمارس لإحياء التماثيل.

رن هاتفه برقم غريب فضغط سماعة أذنه ليجيب وهو مازال يسير بسيارته بشكل جنوني ليسمع عبر الهاتف أكثر صوت مثير لاشمئزازة في العالم وبرغم ذلك فهو كان ينتظر تلك المكالمة منذ الأمس..

كان صوت (أمنية):

- أهلا يا (إياد).. ألا تريد أبناءك؟.

- وماذا تريدين أنتِ في المقابل.. اختصري ولا داعي للثرثرة لأني مشغول الآن أرجوكِ.

- مممممممممممم .. ما نوع سيارتك الحالية؟.

- بي إم دبليو موديل ٢٠٢٠.. سأكتبها باسمك غدا بعقد مسجل.. هل لك طلبات أخرى!.

- سأكتب لك تنازل عن حضانتهم..

تنهد بضيق وقال بغضب وعنف:

- (أمنية).. قانونا لا يمكن للأم التنازل عن حضانة الأبناء حتى وإن كتبتِ ذلك، ومن حقك المعاودة لأخذهم.. أنا لست غبيا.. ستعاودين الكرة بعد ذلك وترفعين قضية بطلان اتفاق وتبكين للقاضي وتقولين اشتقت لأبنائي واضطررت لكتابة التنازل تحت ضغط نفسي ومادي بسبب ضيق اليد وحالتي النفسية وأريدهم مرة ثانية في حضني، وأنت بارعة في النحيب والتمثيل.. وسيتم بطلان التنازل من أول جلسة لأن قانونا لا تنازل في حقوق الأطفال سواء من الأم أو الأب.

ضحكت ضحكة مجلجلة شيطانية:

- أحب ذكاءك يا (إياد).. وفرت عليّ الكثير من الوقت والمنازعات.. إذن

أريـد خمسـمائة ألـف جنيـة بالإضافـة إلى السـيارة والشـقة التـي تمتلكهـا بمدينـة السـادس مـن أكتوبـر.. إمممـم.. وتتزوجنـي ثانيـة!.

صرخ (إياد):

- أتزوجك! أتزوج من؟ أنتِ!.

لا أنـا ولا الأولاد في حاجـة لـكِ، لقـد مـرت أصعـب فـترة في عمرهـم بدونـك والقـادم أسـهل، ثـم إنـك لا تمتلكـين لهـم إلا الـشر والأذي، وجودهـم بعيـدا عنـك هـو عـين مصلحتهـم وسـلامتهم النفسـية.

- أنـا لم أقـل أني سـأربي أبنـاءك.. أنـا أختنـق مـن الأطفـال وشـقاوتهم.. أنـا لا أريدهـم مـن الأسـاس.. لقـد قلـت (أعـود زوجتـك فقـط) وهنـاك فـرق.

قال (إياد) بحدة وغضب:

- السـيارة فقـط.. وسـتكتبين لي إيصـال أمانـه باسـمي حـال مطالبتـك بأخـذك الأطفـال مـرة أخـرى بقـوة القانـون سـأقدمه لحبسـك.. وهـذا آخـر كلام لـدي.

أكملت (أمنية) بقوة وثقة:

- وخمسـمائة ألـف جنيـه والشـقة وتعقـد قرانـك عـلىّ مـرة أخـرى وأعـود زوجتـك أمـام النـاس وإلا فأنـا سـأتمسـك بالحفـاظ عـلى أطفـالي فلـذات كبـدي أحبـائي بحكـم القانـون.. فبعـد سـنوات مـن الحيـاة مطلقـة وبـدون أطفـال وعلاقـات عديـدة فاشـلة سـأعترف أني أيقنـت أني لـن أنجـح في الإيقـاع بمثلـك مـرة أخـرى، كـما أن زوجـة الضابـط في هـذا البلـد تفتـح لهـا أبـواب عديـدة ..سأرسـل لـك مقطعـا مصـورا سـينهي ذلـك الحـوار.. وأعـاود الاتصـال بعـد أن تشـاهده ومتأكـدة مـن أنـك سـتغير رأيـك بعـده.

أغلقـت المكالمـة دون أن تنتظـر إجابتـه، ثـم رن الهاتـف يعلـن وصـول رسـالة فيديـو عـلى تطبيـق الماسـينجر فوقـف بسـيارته جانبـا معلنـا إشـارة الانتظـار

بعصبية ليشاهد ما أرسلت ليرى (جوليا) و(ياسين) وهما يصرخان ويبكيان بحرقة في بيت ريفي بسيط متسخان وقد انتفخت عيونهما يتوسلان إليه أن يأخذهما من تلك (الطنط الشريرة) كما أطلقا عليها ولا يتركهما لها.. وآثار الضرب تملأ جسديهما الصغيرين، والجروح والخدوش متناثرة على جلدهما الرقيق وبعض الكدمات التي تحت عين أحدهما نتيجة الصفعات المتكرره .. يحكيان له بصوت متقطع من البكاء أنهم يُحرقان ويُضربان منذ الأمس، ثم تم حذف المقطع من جانبها في الرسالة لتختفي بعد أن تأكدت أنه شاهد ما أرسلته حتى لا يكون دليلا ضدها قانونيا على المساومة أو لإثبات عدم أهليتها لحضانتهما.. ضرب (إياد) المقود بيده بعنف ووضع كفه على فمه، ووجهه قد تحول إلى اللون الأحمر واتسعت عيناه و(أميرة) اتسعت عيناها رعبا لما شاهدته بنفسها وسمعته وفهمته من الاتصال.. إنها مرعبة أكثر من قضية تحول التماثيل!.. إنها حقا مرعبة.

عاود (إياد) الاتصال بها بيد مرتعشه وهو يقول بصراخ:

- سأدفع المبلغ وأعطيك الشقة والسيارة.. سأدفع المبلغ يا (أمنية) في الغد، وأبيعك السيارة والشقة.. وسأعقد قراني عليك أيضا للمرة الثالثة.. سأفعل من أجل أطفالي وأن أرحمهم من الضرب والتعذيب، ولكي أستلمهم منك.. ولكن أقسم بالله أني لن أمسك كزوجة.. فأنت لن تكوني زوجتي أبدا ولآخر يوم من عمري ولن تعيشي معي أو مع أبنائي يوما واحد.. سأعقد القران تنفيذا لطلبك الذي أعرف أنك ستدبرين لي أذى آخرا بعده.. أنتِ شيطانة.. أكرهك.. أيتها البغيضة المريضة القذرة.

أغلق الهاتف وهو يسمع ضحكها الممسوخ.. وأدار السيارة ليكمل طريقه إلى المتحف وهو يدوس دواسة البنزين بكل غضب العالم ليجد (أميرة) تنظر له بعين متحجرة بالدموع ثم انفجرت باكية في صمت وهي تسترجع صوت صراخ الطفلين واستنجادهما بوالدهما وهي تقول له:

- أنت جبل أيها المقدم.. كيف تعمل وتفكر وتركز في القضية وأنت في ذلك الابتلاء الذي لولا أني سمعته بأذني لما صدقته.. لم أكن يوما أتخيل نفسية الأمهات اللاتي يعذبن أطفالهم ويقتلوهم من أجل الانتقام من الزوج.

قال وقد هربت من عينه دمعة رغما عنه:

- حاولت قتل (جوليا) وكانت حامل بـ(ياسين) لم أسجنها أو أسجل الواقعه رسميا لكيلا تسجن وتلد طفلنا بالسجن، ولكيلا أضر أبنائي مستقبلا وتكون ذكرى سوداء تطاردهم.. وها أنا لا أملك دليلا على شرها وأذاها لأبنائي قانونا.. وأدفع الثمن.. وسأدفعه أكثر في المستقبل.. فأنا حياتي توقفت وانتهت عند تلك الغلطة التي سأظل أدفع ثمنها لآخر يوم من عمري.. وكأني (سيزيف) الذي عوقب بالعذاب الأبدي، وعقابي لن ينتهي مهما فعلت.

كانت (أميرة) تسمعه وهي صامتة؛ فأخذ (إياد) نفسا عميقا وتغيرت نبرة صوته فجأه إلى طبقة قوية غير باكية وقال:

- لا عليك يادكتورة.. إنها الحياة.. ربما استلهمت القوة منك.. أتعتقدين أني لم ألحظ حالك يوم عودتك من (مطروح) إلى (الإسكندرية) وكيف كنتِ بعدها بساعات! إنه ابتلاء الدنيا.. فقد ولدنا في كبد وعلينا أن نواجهها بقوة طالما هناك نفس يدخل إلى صدرنا.. لقد كنت الأم والأب لأبنائي أعوام وأعوام.. ليس لي سواهم في الدنيا وليس لهم سواي.. هم كل شيء في حياتي وليس لهم ذنب في خطأي في اختيار أمهم (أمنية).. ربما يشفي الموت سريعا كل تلك الآلام.. فالدنيا قاسية.. عندما ترفض أحدنا وتكرهه فهي تضعه في ابتلاء أبدي لا خلاص منه أبدا.. كابتلائي بـ(أمنية).. وليس بيدي إلا قول (الحمد لله).

نظرت له (أميرة) وقالت بصوت خافت لم يسمعه وهي تنظر من

النافـذة إلى الشـارع لتخفـي دموعهـا:

- وكابتلائي بحبي لـ(خالد)!.

ثم نظرت له بعد أن فشلت في حبس دموعها التي انهمرت وقالت:

- أكـثر إنسـان عرضـة للانهيـار التـام والمفاجـىء هـو نفـس الإنسـان الـذي يسـتنفذ طاقتـه دائمـا في محاولـة ترميـم دمـاره الداخـلي بسرعـة وسريـة ليظهـر دومـا قويـا مبتسـما أمـام النـاس، برغـم مـا يحملـه مـن كسـور داخليـة وجـروح تنـزف.. فسرعـان ماسيسـقط كأشـلاء إنسـان لا تصلـح للترميـم.. وسـيدهس بأقـدام الزمـن.

أخذت نفسا عميقا وقالت وهي تحاول إعادة التماسك:

- لا تحـاول إعـادة حسـابات المـاضي وأوجاعـه.. فالعمـر مثـل الشـجرة حـين تسـقط أوراقهـا في الخريـف لـن تعـود مـرة أخـرى، ولكـن مـع كل ربيـع سـتنبت لـك أوراق جديـدة ربمـا أجمـل وأكـثر نـضرة، طالمـا جـذورك مازالـت في الأرض صلبـة قويـة.. فانظـر إلى تلـك الأوراق التـي تغطـي وجـه السـماء بنضارتهـا وخضارهـا ودعـك مـما سـقط عـلى الأرض فقـد صـار جـزءا منهـا، جـاف هـش ولـن تجنـي مـن العبـث بهـا إلا اتسـاخ كفيـك.

وقـف (إيـاد) بالسـيارة أمـام المتحـف الـذي كان كالمـارد الصامـت المظلـم.. وقـال:

- كان يجـب أن يكـون هنـاك جنـدي أمـن مـن الشرطـة هنـا عنـد المدخـل، أيـن ذهـب! البـاب الرئيـسي مغلـق وبـلا أمـن! أيـن هـذا الرجـل؟.

عقبت (أميرة):

- قالـت لي (زينـب) أنهـا دخلـت مـن بـاب خلفـي صغـير بسـور المتحـف بجـوار كشـك بقالـة.. هيـا نبحـث عنـه فـلا وقـت لدينـا لانتظـار الشرطـة

والبحث عن جندي الأمن المختفي.. إن (زينب) في خطر.

دارا حول سور المتحف حتى وجدا بالفعل بابا حديديا صغيرا بجوار كشك يطل على شارع جانبي صغير.. دفعه (إياد) بقدمه وهو يشهر سلاحه فانفرج مصدرا صريرا؛ فخطيا إلى الداخل ليجدا أنفسهما أمام ممر عطن قديم يقود في نهايته إلى باب مفتوح.. فدفعاه ودلفا منه ليقذف بهما إلى قبو المتحف، ولكن من اتجاه خلفي.

- ها هي.. هناك.

قالتها (أميرة) وهي تشير إلى (زينب) التي كانت ملقاة على الأرض ينسدل شعرها الناعم الأسود الكثيف المبعثر حول وجهها وقد قيدت إلى أرجل طاولة وسقطت نظارتها الطبية مهشمة بجوارها.. استدار (إياد) حول نفسه مشهرا سلاحه متحفزا لظهور أي غريب.

- فكي وثاقها يا (أميرة).. وتأكدي أنها بخير.. طالما بقيت علي قيد الحياة فإن الطقوس لم تقام بعد.

أخذت (أميرة) تفك وثاقها وتحاول إفاقتها بينما (إياد) مازال يبحث حوله بحذر.. فقال لها:

- أين الرجل الذي أتى بك وقيدك هكذا يا(زينب)؟.

قالت (زينب) بترنح وهي تمسك رأسها:

- لا أعرف.. آآآه.. لقد ضربني على رأسي وقيدني وفقدت الوعي أثناء حديثي الهاتفي مع دكتورة (أميرة).. لا أعرف ماذا حدث بعدها.

فتحت (أميرة) حقيبتها لتخرج مناشفها المعطرة لتمسح لـ(زينب) وجهها الممتلىء بالعرق ولكنها شهقت بفزع قائلة:

- مقدم (إياد).. انظر.

كانت تمسك في يدها قطعة قماش بيضاء حريرية ممزقة مزرقشة بخيوط ذهبية.. لم يكن يوما ضمن مناشف حقيبتها!!.

تناولها منها وأيقن أن تلك القطعة القماشية هي نفسها القطعة الحجرية المكسورة من ثياب تمثال الطفل والتي كانت معها لترممها.. فوضع يده في جيبه ليجد العملات الحجرية قد أصبحت ذهبية لامعة براقة..

هرول (إياد) دون أن يتحدث إلى التابوت الذي يرقد بداخله تمثال الطفل الذي كسره في الصباح وخلفه (أميرة) و(زينب) تجر جسدها خلفهما وجذبا غطاءه الثقيل ليجدا التمثال قد اختفي وتلوثت أنابيب التابوت بالدماء اللزجة الطازجة ورقد بداخله جثمان جندي الأمن المكلف بأمن البوابة شاحب الوجه خاوي الدماء.

شهقت (أميرة) وصرخت (زينب) بفزع من بشاعة المنظر وأدارت وجهها، فتمتم (إياد) بغضب وهو يضرب الحائط بيده:

- ضحية رابعة.. جندي الأمن المسكين.

ثم أشارت (زينب) بيد مرتعشة وقالت بفزع أكبر:

- لقد اختفى أيضا التابوت الأخير.. كان هنا التابوت الخامس وبداخله التمثال الأخير.. إنه غير موجود.

***

الفصل السادس عشر

٢٦٣م / مملكة تدمر :

أعاد (أذينة) وابنه الأمير (هيرودس) بناء جيش قوي مكون من جيش مملكة (تَدْمُر) الضخم بالإضافة إلى فلول جميع الممالك التابعة للإمبراطورية بأمر الإمبراطور (جالينس) شخصيا.

صنع (أذينة) جيشا ضخما لم تشهده الحضارة الرومانية منذ عقود طويلة، جيش موحد يُدار بشكل حربي محترف حقيقي وخطط حكيمة لملك عسكري مخضرم ومحنك كـ(أذينة).

كسب (أذينة) سريعا ثقة الجنود الوافدين من الممالك الأخرى المنهزمة سابقا والمنضمين لجيش (تَدْمُر) وهم محبطون لم ينسوا بعد طعم الهزيمة وطعم الدماء ورائحة موت أصدقائهم بين أيديهم، وتحولوا في وقت بسيط إلى جنود يملأ قلوبهم الحماس للانتقام من الفرس، وقد شعروا بالحماس والقوة وأنهم الآن بين يدي ملك قوي يعرف ماذا يفعل ومتي يشارك بالحرب ومتي ينسحب ويحافظ على حياة جنوده.

نزلت الملكة (زنوبيا) أيضا ساحة القتال بين الجنود مرتدية زيها الحربي الجلدي تمتطي جوادها وخوذتها المعدنية الحربية علي رأسها، تشرف بنفسها على إعداد الجنود وتدريباتهم وتبث فيهم روح القوة والحماس.

وعند التأكد من اكتمال العدة والعتاد والتدريب انطلق الجيش بقيادة الملك (أذينة) شخصيا وولي عهده (هيرودس) والملكة (زنوبيا) في زي الرجال المحاربين ترافق زوجها وحبيبها ورفيق دربها تشهد وتحقق حلمها بإمبراطورية (تَدْمُر) أولى خطوات طريقها إلى ضم بلدها الأم (مصر) بلد

جدتها الملكة الإغريقية (كليوباترا) التي نزع الرومان الحكم منها.. تحلم بأن تعود إلى (الإسكندرية) كملكة حقيقية لـ(مصر) لا حفيدة آخر ملكات الإغريق (كليوباترا) فقط.. إنه الحلم الذي رأته على صفحات أمواج البحر المتوسط في رحلتها إلى الإمبراطورية الرومانية، وهاهو يبدأ أولى خطواته.

يرافقهم قائد الجيوش (بيلينوس) على رأس الجيش والذي أصبح لايرفع عينيه من على (زنوبيا) موهوما بقوتها وجسارتها وهي بملابس المحاربين الرجال!.

كان الجيش ضخما يخفي البسيطة حين يتحرك.. جيش لم يُشهد لقوته مثيل..

جيش حماسته وتيقنه من النصر لا يقبل النقاش!.

جيش تحت قيادة محاربين حقيقين..

انفجع الملك (شابور) ملك الفرس من حجم وقوة الجيش الذي وجد نفسه يواجهه، جيش يحمل راية مملكة (تَدْمُر) بجوار راية الإمبراطورية الرومانية..

توالت الانتصارات وتوالت هزائم (شابور) أمام (أذينة) وكأن (أذينة) ينتقم بينه وبين نفسه بشكل شخصي لما حدث من (شابور) قديما من إهانة وحفر ذلك في نفسه إحساسا بالذل عندما رفض (شابور) عرضه بتكبر وغرور وقتل رسوله وجواريه ووضع رؤوسهم في صناديق الهدايا المنقوشة بكلمات الإهانة والتهديد بإبلاغ الإمبراطور الروماني وقتها (فاليريان).

لم يقتصر الأمر على استرداد ممالك الرومان فقط، بل امتد النصر لسلب الفرس ممالكهم أيضا والتعمق شرقا بالممالك التابعة للفرس وضمها إلى راية (تَدْمُر) والرومان حتى تم أسر (شابور) نفسه من قلب قلعته وقتله (أذينة) بيده بعد أن اقترب (شابور) من (أذينة) ليعيد عليه بصوت

خافت ضاحك ساخر ما نقشه قديما له على الصناديق والتي تخلص منها صهرا عن طريق (بيلينوس) خوفا من انفضاح أمره بمحاولته القديمة الغبية للتحالف مع (شابور).

إن قتله لـ(شابور) يعني تخلصه النهائي من تلك الذكرى السيئة التي تطارده وتهدد مكانته في الإمبراطورية الرومانية التي تعافت بسرعة على يده بعد اتفاقه مع الإمبراطور (جالينس).

كان ذلك يحدث وسط فرحة الإمبراطور الروماني (جالينس) عندما تصله بشائر النصر المتتاليات في بلاط قصره بـ(روما) وتوسع رقعة الممالك الرافعة للراية الرومانية والتي تصك فيها العملات ذات الوجههين.. وجه ملك الملوك (أذينة) ووجه (جالينس) في الجهة الأخرى!

كان (جالينس) يعلم أن صفقته مع (أذينة) ليست خاسرة أبدا، ولم يرَ عيبا في أن يصبح (أذينة) هو صاحب القوة والنفوذ والحكم والسيطرة والممالك وهو مجرد صورة شقراء لطيفة ترتدي تاج الإمبراطورية في مقابل ضمان الأمان وعودة القوة للإمبراطورية الرومانية التي كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة على يد (فاليريان) والده.

مرت أربعة أعوام على اتفاقهم منذ عام (٢٦٣) ميلاديا وحتى (٢٦٧) وطرفي العهد على عهدهما.. كلا يجني مكاسبه الخاصة.. وأهم مكسب حدث سريعا هو التخلص من خطر الفرس وخصوصا (شابور) الذي ظل يهدد الروم لعقود طويلة.

وهاهو (أذينة) يفي بوعده ويرسل رأس (شابور) إلى (جالينس) كما وعده في صندوق ذهبي.

***

عام (٢٦٧) م :

في داخـل قـصره الكبـير بـ(رومـا) جلـس الإمبراطـور الشـاب (جالينـس) داخـل مسـبح جناحـه الـذي تطفـو عـلى مائـه المعطـر أوراق الـورد الملونـة، وحولـه الجـواري الشـقراوات يضحكـن بغنـج، والعازفـون يعزفـون الموسـيقى حولـه، يحتسي الخمـر في كئوسـه الذهبيـة كـما اعتـاد، ولكـن سرعـان مـا هبـت الجـواري تهرولـن خارجـات مـن الجنـاح وهـن صارخـات فـور اقتحـام جنـود مسـلحون بقيـادة القيـصر (قليوديـس) عـم الإمبراطـور (جالينـس) وحـاصروا المسبح بأسـلحتهم وعيونهـم تطلـق شرر الغـدر والتآمـر وعـين (جالينـس) تدمـع مـن الرعـب وقلبـه يـكاد يقـف وهـو يـدرك أنهـا آخـر دقائـق لـه بالدنيـا.

(قليوديـس) كان دومـا يـري انـه أحـق بالعـرش هـو وابنـه (أورليـان) مـن شـقيقه (فاليريـان) وولـده (جالينـس) الضعيفـين، فـكان يراهـما دومـا أقـل مـن أن يجلسـا عـلى كـرسي العـرش الـذي أخـذه بحكـم أنـه أخيـه الأكـبر ليـس أكـثر..

كان (قليوديـس) دومـا يرفـض تصرفـات (جالينـس) الضعيفـة وإبقـاء كل القـوى في يـد (أذينـة) وإعطائـه لقـب ملـك الملـوك وسـيد الـشرق وصـك العمـلات وإعـلاء رايـة (تَدْمُـر) جنبـا إلى جنـب إلى رايـة الإمبراطوريـة الرومانيـة وتحويـل الإمبراطـور إلى مجـرد دميـة تعيـش في سـلام تحـت حمايـة سـيف (أذينـة).

إنه انقلاب إذن..

مؤامـرة تمـت حياكتهـا داخـل جنبـات القـصر الرومـاني وبمباركـة رجـال البلاط الرومـاني والقياصرة!.

أشـهر الرجـال سـيوفهم وانقضـوا عليـه ليتحـول لـون مـاء المسـبح إلى الأحمـر القـاني وتطفـو جثـة (جالينـس) دون رأس.

***

وصلت أخبار اغتيال (جالينس) واعتلاء الإمبراطور (قليوديس) عرش (روما) إلى ساحة الحرب بالشرق والتي كانت تشهد انتصارات ساحقة متلاحقة؛ خصوصا بعد مقتل (شابور)؛ فأمر (أذينة) فورا بوقف الحرب والعودة إلى حصن (حِمْص).

إن موت (جالينس) يعني انتهاء حكم (أذينة) المطلق في الإمبراطورية الرومانية والمغطى صوريا بجلوس (جالينس) على العرش كغطاء لنمو إمبراطورية (تَدْمُر) في الخفاء والتي تنبثق من عباءة الإمبراطورية الرومانية طبقا لما بينهما من اتفاق صريح مُرضي للطرفين.

(أذينة) يعلم تمام العلم أن (قليوديس) كان غير راضٍ عن ذلك الوضع، وربما كان اغتيال (جالينس) من أهم أسبابه رفض (قليوديس) وجود كل القوى في يد (أذينة) واكتفاء الإمبراطور بالأمان في قصره في (روما) بين خمره وجواريه.

(أذينة) أيضا يعلم أن (قليوديس) وابنه (أورليان) محاربين أشداء ليسوا أبدا مثل (جالينس) و(فاليريان)، وهذا كان سبب العداء الذي كان يتبادله الطرفان في صراعهم على شرعية العرش مما جعل (فاليريان) دوما يستثنيه من أي مناصب.

فـ(قليوديس) قيصر عسكري قوي الشخصية متمرد لن يقبل أبدا أن يكون مجرد دمية بيد (أذينة) حتى وإن كان جيشه ضعيفا كما كان (جالينس)، وسيسعى لكسر شوكة (أذينة) واسترداد الجيش والقوى والممالك من يده ليصبحوا تحت إمرته هو.

إذن فـ(أذينة) وكل الممالك التي ضمها تحت راية (تَدْمُر) والإمبراطورية الرومانية أصبحوا في خطر محقق.

إنه وقت المواجهة وكشف الغطاء والاستعداد للانفصال رسميا عن

الإمبراطوريـة الرومانيـة، فـ(تَدْمُـر) الآن قويـة تملـك كل شيء وتسـتطع مواجهـة (قليوديـس) للحفـاظ عـلى سـلطانها وتكويـن إمبراطوريـة موازيـة تحـت حكـم التدمريـين.

كان (أذينـة) غارقـا في أفـكاره ومخاوفـه وحيـدا، في حـين كانـت (زنوبيـا) في خيمتهـا الملكيـة بسـاحة الحـرب تسـتعد للرحيـل بعـد إعـلان زوجهـا (أذينـة) وقـف الحـرب والعـودة إلى الوطـن.

أربع سنوات لم يبرحوا ساحة الحرب..

أربـع سـنوات مـن الانتصـارات المتتاليـة لم تعـد خلالهـا (زنوبيـا) إلى قصرها في (تَدْمُـر) تاركـة أطفالهـا في رعايـة الأمـيرة (بوديـكا) زوجـة (هـيرودس) الجميلة.

أربــع سـنوات يتنقلـون في صحـاري الـشرق بجحافلهـم تحـارب (زنوبيـا) وتحمـل سـيفها جنبـا إلى جنـب مـع زوجهـا وتمتطـي جوادهـا كالمحاربـات الإغريقيـات الأصيـلات.

وقفـت داخـل خيمتهـا تعـرف مـا يعصـف بـرأس زوجهـا الآن، خلعـت خوذتهـا الحربيـة وانسـدل شـعرها الأسـود الحريـري وخلعـت لبـاس الرجـال وعـادت لملابسـها التـي تتفجـر بأنوثتهـا وهـي لاتـدري أن هنـاك عـين أدمنـت أن تتلصـص عليهـا يوميـا مـن جنبـات خيمتهـا بسـاحة الحـرب لمـدة أربـع سـنوات مضـت حتـى أصبحـت مسـحورة برؤيتهـا مدمنـة لفتنتهـا.

كانـت العـين العاشـقة المتلصصـة عـلى (زنوبيـا) هـي عـين قائـد الجيـوش (بيلينـوس)، فهـو يعلـم أنهـا الملكـة (زنوبيـا) زوجـة الملـك (أذينـة) القـوي والتـي تحبـه ويعشـقها، ولكنـه خـلال تلـك السـنوات الأربـع التـي حاربـت فيهـا معهـم ببسـالة لم يشـهدها في أقـوى الفرسـان لم يسـتطع جمـح قلبـه عـن المـضي قدمـا في عشـقها ولم يسـتطع منـع عقلـه مـن أن يجـن بحبهـا ولا اعـتراض خيالـه الـذي هـام في أحـلام كثـيرة بـأن تصـير يومـا ملكـه وبـين يديـه وحبيبتـه..

فالقـوة والشـجاعة عندمـا يختلطـان مـع الجـمال والـذكاء يصنعـون إكسـيرا سـاحرا لا يقاومـه الرجـال!.

في القـصر لم يكـن ليراهـا إلا الملكـة العظيمـة الجميلـة؛ أمـا في سـاحة الحروب رآهـا بشـكل مختلـف قـوي مغـوار شـجاع جميـل خـلاب رحيـم في نفـس الوقـت فسـلب لبـه وقلبه..

يجـب أن يتخلـص مـن الملـك (أذينـة) غريمـه في قلـب (زنوبيـا) ليصـير (هـيرودس) الملـك، ومـن السـهل أن يجعـل (بوديـكا) تـوشي بـ(زنوبيـا) لـدى (هـيرودس) حتـى يطردهـا مـن القـصر فيظهـر وقتهـا (بيليونـس) كالحضـن الدافـئ للأرملـة الجميلـة والملكـة السـابقة المـشردة ويتزوجهـا.

كاد أن يصيـح فرحـا في نهايـة تخيلـه الدرامـي السريـع لخطتـه الشـيطانية التـي نسـجها عقلـه في لحظـات وهـو يتجسـس عـلى (زنوبيـا) وهـي تسـتبدل ملابسـها داخـل خيمتهـا وتنـثر شـعرها الحريـري الأسـود الكثيـف حـول وجههـا المنمـق راسـمة أجمـل لوحـات الإغريـق.

** ** ** ** **

- مـولاي الإمبراطـور (قليوديـس) العظيـم، هنـاك رسـول يـصر أن يقابلـك يقـول أن معـه رسـالة هامـة سريـة مـن أحـد المخلصـين للبـلاط الرومـاني بمملكـة (تَدْمُـر).

اعتـدل الإمبراطـور في جلسـته ولمعـت عينـاه عنـد ذكـر تَدْمُـر وأشـار لـه بالسـماح بالدخـول.

دخـل شـاب مهـذب يحمـل صندوقـا ملفوفـا بالحريـر وضعـه أرضـا أمـام الإمبراطـور وتراجـع خطـوات وهـو يقـول بانحنائـة إجـلال وتقديـر:

- إمبراطـوري العظيـم (قليوديـس)، أنـا رسـول شـخصي مـن قائـد الجيـوش بمملكـة (تَدْمُـر) الضابـط (بيلينـوس).. أرسـلني لأحـذرك مـن أن الملـك (أذينـة)

يسعى إلى الانفصال عن الإمبراطورية الرومانية في الأيام القادمة وسيخوض حربا ضدكم ضاما لنفسه كل الممالك الشرقية التي استردها من الفرس، وسينكس راية الإمبراطورية الرومانية ويحتفظ فقط براية مملكة (تَدْمُر) عليهم، وأنه أيضا يستعد بعد إعلان وقف الحرب مع الفرس لإعلان التمرد والانفصال عنكم رسميا وهذا ما رفضه قائد الجيش (بيلينوس) المخلص إلى بلاط الإمبراطورية الرومانية وأرسل أيضا إلى عظمتك هذا الصندوق كدليل على صدق كلامه.

سمعه الإمبراطور بصمت ووجه جامد كالتمثال وأشار لأحد جنوده بنزع الغطاء الحريري ليجد أمامه صندوقا معدنيا منقوش عليه باللغة الآرمية:

«من الملك (شابور) ملك الفرس إلى الملك (أذينة) ملك (تَدْمُر):

سعييكم مرفوض وتحالفنا معكم مستحيل، الرجاء عدم المحاولة مجددا وإلا أرسلت الصناديق القادمة إلى إمبراطور (روما) شخصيا ليضع فيها رأسكم.

الملك العظيم (شابور)»

فأكمل الرسول كلامه:

- هذا الصندوق يعود إلى عام (٢٥٨م) قبل حرب الإمبراطور (فاليريان) شقيقكم الأكبر مع (شابور) ملك الفرس وكان هذا هو رد (شابور) على عرض (أذينة) عليه بخيانة الإمبراطورية والتحالف معه ضدكم.. هذا هو دليل القائد (بيلينوس) لسموكم على صدق كلامه تأكيدا لمساعي الملك (أذينة) لخيانة البلاط الروماني منذ عهد قديم.

لم يستطع الإمبراطور الحفاظ على وجهه الجامد أكثر وقد بدأ يتحول إلى اللون الأحمر غضبا مما سمع ورأي؛ فهو كان يكره (أذينة) بسبب قوته

وسـيطرته عـلى (جالينـس) وكان ينتظـر تلـك الإشـارة ليتحـول مابينهـما مـن غـيرة صامتـة وحقـد دفـين إلى انفجـار عـداء صريـح مسـبب.

ولكـن (جالينـس) الضعيـف لم يـترك للبـلاط الرومـاني جيشـا قويـا ليدعـم (قليوديـس) ضـد (أذينـة) وأعطـى كل مقاليـد القـوى لـ(أذينـة).. فالعـداء حاليـا لـن يكـون شريفـا في سـاحة حـرب.. ويجـب اللجـوء إلى طـرق أخـرى.

اعتدل الإمبراطور (قليوديس) في جلسته وقال:

- أيهـا الرسـول، أبلـغ القائـد (بيلينـوس) امتناننـا لإخلاصـه وحرصـه عـلى إعلامنـا بالحقيقـة، وبـشّره بـأن تعاونـه معنـا سـيجلب لـه خـيرا كثـيرا لـه في المسـتقبل، وأخـبره أيضـا أن انتقـام الإمبراطـور (قليوديـس) سـيكون قريبـا، ولكن سـأحتاجه الفـترة القادمـة ليكـون عينـي المخلصـة سرا داخـل (تَدْمُـر)، وسـأطلب منـه بعـض الخدمـات ولـه منـي جزيـل العطايـا في المسـتقبل.. وإن تعاوننـا سـيظل دومـا طـي الكتـمان حتـى أنتهـي مـما أخطـط لـه بخصـوص (أذينـة).

***

الفصل السابع عشر

- بتفريغ الكاميرات الخارجية والداخلية تم رصد الآتي:

أولا خـارج المتحـف: توقفـت سـيارة ربـع نقـل مطموسـة الأرقـام أمـام البـاب الخلفـي للسـور، نزلـت مـن كابينـة القيـادة (زينـب) بصحبـة رجـل رياضي البنية ذى لحيـة ودلفـا إلى المتحـف عـبر البـاب الخلفـي.. أمـا الكامـيرات الداخليـة فعرضـت مـرور (زينــب) والرجــل الملتحــي ووصولهــما إلى القبــو باسـتخدام بصمـة (زينـب) كـما قصـت. تركهـا الرجـل بداخـل القبـو بعـد أن تحدثـا حديثـا سريعـا، فتلفتـت (زينـب) بخـوف واختبـأت تحـت منضـدة قديمـة لتتحـدث بالهاتـف وهـي تتلفـت، ولكنهـا في اتجـاه واضـح للكامـيرات، ثـم توقفـت الكامـيرات الداخليـة للمتحـف عـن العمـل منـذ تلـك اللحظـة ولم ترصـد أي شيء بعـد ذلـك.

أمـا عـن الكامـيرات الخارجيـة أمـام المتحـف؛ فرصـدت أيضـا وجـود جنـدي الشرطـة القتيـل أمـام البـاب الرئيـسي محـل خدمتـه، ثـم اقـترب منـه شـاب صغـير السـن يرتـدي قبعـة تخفـي وجهـه عـن الكامـيرا تحـدث معـه وظهـر الانفعـال والاهتـمام عـلى وجـه الشرطـي وحـركات جسـده مـما يـدل عـلى أن الصبـي يخـبره بـشيء هـام، ثـم أشـار الصبـي بيـده إلى شيء مـا، واصطحبـه الشرطـي وهـرولا موازيـن للسـور حتـى دلفـا مـن نفـس البـاب الخلفـي الصغـير بعـد دخـول (زينـب) والرجـل الأول.

وتـم رصـد أيضـا مـن كامـيرات المراقبـة الخاصـة بالمحـال القريبـة مـن المتحـف وبعـد مـرور وقـت خـروج الرجـل الملتحـي والصبـي الشـاب ومعهـما طفـل يرتـدي سروالا وقميصـا ويحمـل بيـده ملابـس أخـرى بيضـاء -مـن المتوقـع طبعـا أنـه هـو نفسـه التمثـال الرابـع للطفـل المختفـي- وقـد اسـتبدل

ملابسه الرومانية بملابس مجهزة مسبقا تناسب مقاسه ولم يترك ملابسه الرومانية بالمتحف وأخذها كسابقه، كان الرجل الملتحي يحمل التابوت الحجري الخامس المحتوي على التمثال الخامس بمنتهى السهولة وكأنه يحمل صندوقا خشبيا خاويا خفيف الوزن بعد أن أخفاه بالتغليف الورقي ووضعوه بالسيارة مطموسة الأرقام وانطلقوا.

قال ذلك الشرح التوضيحي (إياد) مخاطبا (أميرة) ومدير أمن الاسكندرية الذي حضر إلى المتحف الروماني مع قوة من الشرطة والنيابة ورجال البحث الجنائي الذين انتشروا بالمكان مع منتصف ليل اليوم الجديد.

فقال مدير الأمن لـ(إياد):

- وماذا عن هاتف (زينب).. والرقم الذي قالت أنه اتصل بها ليخبرها بأنه من طرف دكتورة (أميرة) واصطحابها إلى المتحف.

فرد (إياد) وهو ينظر إلى (زينب) التي تجلس بركن بعيد عنهم واضعة رأسها بين كفيها بعد كل مامرت به:

- لم نجد الهاتف من الأساس؛ فالجاني لم يفت عليه أن يسرق هاتفها.. وأعتقد أنه استخدمها فقط للدخول إلى القبو باستخدام بصمة إصبعها حتي لا يلتفت الأمن حين يعمل جهاز الإنذار لأنها من العاملات بالمتحف.

قال مدير الأمن وهو ينظر إليها أيضا:

- السؤال الأهم إذا كانوا استخدموها للدخول ببصمة إصبعها فلماذا لم يقتلوها هي ولماذا بحثوا عن ضحية غيرها؟.

فقال (إياد):

- فكرت في نفس الأمر وتعجبت من ذلك.. ولم أجد تفسيرا إلا أن الطقوس لا تتم إلا بدماء رجال فقط؛ فالضحايا الأربع كلهم رجال حتى الآن على كل

حـال.. هـذا هـو التفسـير المتاح.

رد مديـر الأمـن مفكـرا ومـترددا وهـو ينظـر الي (زينـب) التـي تجلـس بعيـدا عنهم :

- ربمـا.. عـلى كل حـال لا تجعلهـا تغيـب عـن ناظـرك واسـتجوبها فهـي الوحيـدة التـي تعاملـت مـع الجـاني بشـكل مبـاشر.

- السـؤال الـذي يعصـف بعقـلي: إذا كان الجنـاة فقـط هـم الرجـل الملتحـي والصبـي وكانـوا هـم نفسـهم التمثـال الثـاني والثالـث المتحولـين والمطابقـين بالفعـل لهيئـة التمثالـين.. فمـن نفـذ جريمـة قتـل (أحمـد عبـد اللـه) التـي تحـول فيهـا التمثـال الثـاني إلى الرجـل الملتحـي الـذي رصدتـه الكامـيرات وكان يرتـدي وشـاحا أسـودا يخفيـه؟ ومـن هـو التمثـال الـذي أحيتـه دمـاء (ماهـر)؟ ومـن هـي المـرأة التـي خرجـت مـن الصخرة؟وأيـن هـي الآن؟.

قال مدير الأمن مفكرا:

- هنـاك شـخص آخـر يـا (إيـاد).. إنـه متهـم رئيـسي ولم يشـاركهم هـذه المـرة لسـبب مـا.

فأكمل (إياد) كلامه إلى مدير الأمن:

- إن موعـد إتمـام الطقـوس القادمـة لتحـول التمثـال الخامـس سـيكون بعـد أسـبوعين حسـب المتتاليـة الحسـابية التـي يسـير الأمـر تبعـا لهـا؛ أي نصـف شـهر.. كـما أن السـهولة التـي حملـوا بهـا التابـوت وبداخلـه التمثـال الحجـري الـذي يـزن وحـده حـوالي طـن والتـي رأيناهـا بالكامـيرات تجعلنـا نـدرك أيضـا أننـا أمـام طقـوس تحـول تماثيـل إلى أشـخاص خارقـي القـوة دمويـين وليسـوا بـشرا طبيعيـين!

تنفس مدير الأمن بضيق ونفث دخان سيجاره وقال:

- يجب أن توقف كل هذا يا (إياد).. يجب أن تصل إلى التمثال الخامس قبل أن يتحول؛ فلا نعرف ماذا سيحدث بعد ذلك وماذا ستفعل هذه الكيانات المتحولة في هيئة بشر!.

رحل مدير الأمن تاركا رجال البحث الجنائي يرفعون البصمات من القبو؛ فاقترب أحد الضباط من (إياد) يسأله:

- ماذا عن (زينب)؟ هل نحتجزها أم نخلي سبيلها؟.

التفت ناظرا إليها وقال للضابط:

- سأخلي سبيلها بالتأكيد بعد استجوابها.. ليس ضدها شيء.. إنها مجني عليها وليست متهمة حسب تسجيل الكاميرات التي أكدت قصتها!.

شرد لحظات ثم قال لـ(أميرة):

- أعطني الورقة التي تحتوي على النص الذي كان منقوشا على جدار الصخرة وترجمتيه.

عبثت سريعا بحقيبتها ثم ناولته ورقة مطوية:

- أيتها الأجساد الكامنة داخل الصخور الجوفاء.

ستعودون حين تمتصون الذكريات والحياة من الدماء.

ستحكمون العالم بأجساد لاتضعف ولا تعرف الفناء.

ستنفضون عنكم الصخر في ميقات لا يخلف النداء.

أنصاف أوقات تفصل بين الموتى والأحياء.

ستقفون أشداء لا يقهركم جوع ولا عطش ولا بكاء.

ستتعلمون من الصخر كيف تصبحون أشداء.

إن تخلى أحدكم عن وعده للآخر فسيعود إلى الحجر كما جاء.

فاحــمــوا أرواحــكــم الــتي تــســكــن الرؤوس الــصــمــاء.

وإن عدتم ستمــتــلكون العالم بأيــديكم الخمــس الأقويــاء.

قرأها بصوت مسموع ثم أعاد جملة بصوت واحدة بصوت أعلى:

- إن تخلى أحدكم عن وعده للآخر فسيعود إلى الحجر كما جاء.

فاحــمــوا أرواحــكــم الــتي تــســكــن الرؤوس الــصــمــاء.

ثم نظر إلى (أميرة) بانتصار وقال:

- يجب أن نمنع طقوس تحول التمثال الخامس -الذي سرقوه - بعد أسبوعين حتى يعودوا جميعهم تماثيل صخرية مرة أخرى.. إن فشل طقس تحول التمثال الأخير سيعودون إلى الحجر كما جاءوا..

** ** ** ** **

في الثانية صباحا عادت (أميرة) متعبة منهكة إلى البيت بعد يوم طويل بدأ من المتحف وانتهى منه، ولكن مع جريمة قتل جديدة.. وتمثال متحول وآخر مختفٍ!.

إنه البيت الذي تحول بالنسبة لها إلى مكان مرعب يثير أعصابها ويفقدها التحكم في نفسها أكثر من الشارع والعمل.. حقيقي أن (خالد) قد اعتذر.. وحقيقي أنها كانت تحبه.. حقيقي أنها سامحته..

ولكنها خائفة منه.. بل مذعورة.. قلبها يرتجف عند دخولها للمنزل..

لحسن حظها أن (خالد) قد نام الآن وأغلق عليه باب غرفته؛ فهي ليست على استعداد إطلاقا لبدء مشاجرة بلا أسباب تنتهي بقسم طلاق جديد.. فقد أصبح في الفترة الأخيرة ناجحا جدا في أن يصيبها بنوبات انهيار

عصبي.. وهي لم تتعافى بعد من آخر شجار ولم يشف جسدها من أثر الضرب الأخير.

دخلت بهدوء تسحب جسدها المتعب المنهك وترمي بنفسها على أقرب أريكة، تناولت جهاز الكمبيوتر الشخصي الخاص بها من حقيبته لكي تبحث أكثر عن عصر الملكة (زنوبيا) والملك (وهب اللات) والذي أشارت العملات الذهبية إلى عصرهما؛ وبالتالي يعود سر تلك التماثيل الملعونة إلى زمنهما.. وتصنع ملف تجمع فيه أهم المعلومات التي تجدها وتعرفها عنهما.

مر وقت وهي تقرأ بتركيز وتدقيق وتدون ملاحظات عن أهم أحداث ذلك العصر حتى انتهى شحن كهرباء جهازها ولم تجد الشاحن الخاص به، تذكرت أنها تركته بالمكتب اليوم عقب ترجمتها النص الآرامي وخرجت دون أن تأخذه..

وجدت (خالد) وقد ترك جهاز الكمبيوتر الشخصي الخاص به مفتوحا.. فتناولته لتكمل عليه بحثها وترفعه بالـ(دروب بوكس)!.

كان مفتوحا على صفحة (واتساب ويب) التي تصنع نسخة من تطبيق الواتساب الموجود على الهاتف وتصله رسالة الآن لتظهر أمام عينيها في محادثة تدور في نفس الوقت..خلف الباب المغلق، ومن خلال هاتفه!.

من الواضح أنه مستيقظ بغرفته ويتظاهر بالنوم .. لتجد نص محادثاته عبر الهاتف كاملة مفتوحة:

- حبيبي.. أتخيل وأنا مع زوجي أنه أنت.. يجب أن نتقابل.. لم أعد أطيق صبرا علي استمرار علاقتنا عبر الإنترنت والكاميرا فقط.. أريد أن تصبح حقيقة.

- لا تتحدثي عنه أمامي.. إن سيرته تثير أعصابي.. وقت قصير وأتخلص

مـن زوجتـي الغبيـة وتتخلصـين أنـتِ مـن زوجـك.. قلبـي يحدثنـي أننـا سـنكون لبعضنـا في النهايـة.

- لماذا تزوجتها طالما لا تحبها؟.

- كانــت الموجــودة .. تحبنــي وتنفــذ أوامــري مجــرد دميــة ألقيهــا تحــت قدمـي.. إنهـا إنسـانة مقيتـة غبيـة ضيقـة الأفـق.. ولم أكـن قابلتـك بعـد لأعـرف الفـرق حـين تزوجتهـا.. أمـا الآن فأنـا أحبـك أنـتِ وعرفـت الحـب الحقيقـي عـلى يديـك.. وقـت أن تنفصلـين مـن زوجـك الحـمار سـأتخلص منهـا ونتـزوج.

- ولكنـي لـن أسـتطع الطـلاق مـن زوجـي؛ إنـه طبيـب يعمـل بالخليـج وثـري ويرسـل لي أمـوالا كثـيرة ويعاملنـي أفضـل معاملـة ويحبنـي أنـا وأبنائـه الأربعـة، ولـن توفـر لي أنـت نفـس الحيـاة..

- هههههههــه .. إذن لا داعــي للطــلاق.. فنحــن هكــذا ســعداء.. أرســلي لي صـورة عاريـة سـاخنة..

وحشــتيني.. هيــا أنــا مســتعد ..اســتعدي لليلــة ماجنــة؛ ســأحدثك فيديــو؛ فأنـا وحـدي بالغرفـة كـما تعلمـين ياحبيبتـي وهـي تظـن أني نائـم .. هيـا اخلعـي ملابسـك أمـام الكامـيرا.

سـمعت (أمـيرة) صـوت تكـة مفتـاح بـاب غرفتـه وهـو يغلقهـا مـن الداخـل ليتأكــد مــن عــدم دخولهــا الغرفــة عليــه لأي ســبب أثنــاء ممارســته الزنــا الإلكـتروني؛ فرفعـت (أمـيرة) يدهـا لتـضرب وجههـا بـه في محاولـة لأن تسـتيقظ مـن ذلـك الكابـوس البشـع القـذر المقـزز الـذي تشـاهده عـبر شاشـة الحاسـوب وهـي تقـول لنفسـها بصـوت مرتعـش مسـموع:

- ما هذا؟.. ما هذا!

قبــل أن ترمــش بعينيهــا وصلــت أمامهــا بالصفحــة صــورة.. إنهــا صــورة عاريـة لسـيدة دميمـة قبيحـة سـمينة تضـع طنـا مـن المسـاحيق التـي جعلتهـا

أقرب للمسوخ مع عدسات لاصقة رخيصة جعلتها أشبه بالكلاب الهايسكي تبتسم ابتسامة بلهاء تكشف أسنانا بارزة مسوسة وهي تضغط رقبتها لتصبح أقرب للبجعة يحمل شعرها الخفيف الذي يكشف فروة رأسها في بقع عديدة زيوتا كثيرة جعلت ما تبقي منه متلبدا، وبرغم ذلك مازال مجعدا تستطيع شم رائحة زناخة زيوته عبر الصورة، وتقف أمام مرآة غرفة نومها المبعثرة بالكراكيب مشروخة المرآة لتصور جسدها الرخيص العاري المثير للاشمئزاز لا الإغراء بذلك الكرش المتدلي أمامها والأثداء المترهلة.. إنها حقا سيدة قبيحة.. قبيحة خِلقة وخُلقا.. إنها الشمطاء كما يجب أن تكون!.

ضرب قلبها ضلوعها ضربات مجنونة عنيفة باردة متلاحقة توشك على تفجير ضلوعها وكأن قلبها يصرخ بها أن تكف عن رؤية ما تراه فورا.. حركت المحادثه بأصابعها المرتعشة لتعود بها إلى الخلف لتجد كلاما خارجا منحلا من أقذر وأقبح ما تتخيل يدور بينهما.. إن زوجها (خالد) لم يكن لينطق بلفظ واحد من هذا المكتوب أبدا معها طوال أربع سنوات من الزواج وسنة من الخطوبة.. إنه وبرغم كل عيوبه محترم ومن أسرة محترمة.. من هذا؟.

لا.. ليس هو..

إنه مهندس محترم خجول وابن ناس..

مستحيل أن يكون هو من يفعل ذلك! مستحيل.

إنه شخص آخر غيره بالتأكيد..

- ليس (خالد).. ليس (خالد).. ليس هو!.

قالتها لنفسها بصوت متهدج وأنفاس لاهثة وقلب يتفجر ويتشرخ استعدادا للانهيار..

حركت المحادثة أكثر لتجد صورا خاصة بـ(خالد) نفسه ملتقطة بطريقة السيلفي مرسلة في أوضاع غريبة وهو منعكش الشعر كث اللحية احمر العيون بملابسه الداخليه أو بدونها.. صور كتلك لا ترسل الي أي شخص خصوصا بغرض الأفعال الإباحية بل تمحى فورا .. إنه مختل إذن.. مقاطع صوتية تحوي صوته الذي لا يمكن أن تشك في صحته وهو يقول أبشع الكلام الخارج القذر الذي يصل إلى مرحلة من الإباحية البشعة المقززة حقا.

خرجت من تلك المحادثة لتجد مثلها العشرات!.

نعم..

العشرات في نفس الوقت!.

نساء وفتيات وعجائز ومراهقات..

جميلات ودميمات..

متزوجات وغير متزوجات..

كلها أحاديث خارجة إباحية مقززة..

كلهن يحبهن في نفس اليوم ونفس الساعة ويقسم على ذلك!.

كلهن يتمنى لو يتزوجهن ولكن لا باليد حيلة لأنه متزوج من تلك الغبية البلهاء ويعدهم بسرعة التخلص منها؛ فليكتفوا بممارسة الرذيلة على الإنترنت عبر الكاميرا..

كلهن يرسلن له مقاطع وصورا خارجه عارية لأجسادهن الرخيصة.. وكلهن يؤكد لهن حبه لهن وكراهيته لـ(أميرة)..

ومعظمهم دميمات بشكل لايقبل النقاش أو النسبية!.

مــاكل هــذا الكــم مــن الحــرام والرخــص والعــري مــن ســيدات ظاهرهــن محترمـات تضعـن صـورا لأسرهـن وصـورا دينيـة وآيـات قرآنيـة وأدعيـة وبعضهن أمهـات وزوجـات ومحجبـات أو منتقبـات أو حتـى غـير محجبـات.. إن إحـدى غـرف بيتهـا تسـتقبل كل ليلـة عاهـرة قـذرة وزوجهـا هـو القـواد.. وهـي لم تكـن تـدري!.

مـا هـذا البـاب القـذر الـذي فتـح أمـام عينهـا وألقـى بهـا في اقـذر جـزء مـن جهنم..

باب خلفي على أبشع شيء كانت تتخيله في العالم!.

عرفـت لأول مـرة أن العاهـرات لسـن فقـط بالملاهـي الليلـة.. لسـن فقـط مـن يرتديـن مايعلـن عـن مهنتهـن.. بـل إن أكثرهـن داخـل بيـوت أزواجهـن وبـين أهلهـن يجلسـن بـين أبنائهـن وهـن ترتديـن زي الـشرف أو إسـدال الصلاة، وفي يدهـن هاتـف محمـول يقودهـن إلى غـرف نـوم الرجـال.

إنـه رقـم هاتـف غـير رقمـه الـذي تعرفـه هـي.. إنـه يملـك رقـما مخالفـا لتلـك الأفعـال، ولذلـك افتعـل مشـكلة معهـا لكيـلا تراسـله عـلى واتسـاب رقمـه الحقيقــي..

ولذلـك وجـد حيلـة أخـرى ليجعلهـا لا تنـام جـواره ليكفـي شـبق كل تلـك النسـوة القبيحـات الـلائى يشـعرنه برجولتـه أو شـيطانيته عـبر المحادثـات الإلكترونيـة؛ ولـكل منهـن ليلـة عـبر الهاتـف.

اشترى الحرام بقذارته وبشاعته بإرادته وباعها!.

إنه كابوس.. بل إنه أسوأ كابوس مر عليها في عمرها كله..

لا بد أنها هلاوس التعب والإرهاق..

من هذا الذي يجمعها معه بيت واحد!.

إنها لا تعرفه.. ليس (خالد) الذي تزوجته وأحبته..

ليس هو..بل هو ..لماذا؟!.

لماذا يفعل ذلك؟.

ما الذي ينقصه!.

ليس له أي مبرر أمام الله قبل الناس!.

إنه تزوجها بعد قصة حب عاصفة.. ليس كما يصف لعاهراته!.

كلما تركته هي بكى وانهار وركع يرجوها ألا تفعل !!.

فبعد أن رفض أهلها الزيجة تمسك بها وتمسكت به وكان يبكي دموعا لكيلا تتركه وتتخلى عنه لأنه يحبها! بل لأنه يعشقها..

وبالفعل فعل الكثير والكثير ليثبت هذا، فبالتوازي مع خلافاتهما الغريبة المستمرة منذ مدة فهو يفعل من أجلها أفعالا صغيرة كثيرة تثبت حبه لها.. وتلك هي الأفعال التي كانت تجبرها أحيانا علي أن تغفر له.

إن كان يحبها وهي جميلة فاتنة لا تقارن بأي قذرة ساقطة من أولئك، فلماذا يفعل ذلك؟.

ما مبرره أمام نفسه؟.

إنها أجمل من كل هؤلاء بلا منازع..

إنها أرق وأفضل وأنظف من كل هؤلاء..

إنها تحبه وتتقي الله فيه وتهتم بتفاصيله ولم تقصر يوما معه في شكلها أو نفسها أو بيتهما، بل هو المقصر في كل شيء وهي متحملة اياه..

لم تنشغل عن بيتها إلا تلك الأيام فقط بالقضية ولأول مرة وبموافقته وتشجيعه..

دائما مايقابل كل موقف جميل منها ببرود.. إنه حقا يعيش معها في حياة مثالية يتمناها أي رجل عاقل!.

كل الناس حولهما يحسدونه عليها.. جميلة.. ناجحة.. تحبه.. ترضى معه بأي ظروف دون ضجر.

يعاملها مؤخرا بجفاء ويهجرها في حين يتوسل إلى هؤلاء الشمطاوات عبر المحادثات لإرسال صورة إباحية بشعة مقززة لأثدائهن ومؤخراتهن التي تثير الغثيان والقيء لا الإغراء والإثارة.

إن كان يتحدث إلى واحدة فقط فكانت ستقول لقد أحبها والحب أعماه عن القباحة.. ربما وجد فيها مالم يجده بزوجته الفاتنة.. ربما قلبه ليس بيده وأحبها بحق برغم دمامة شكلها ..

كانت وقتها ستنفصل.. وليعوض الله كلا منهما من فضله!.

ولكن ذلك ليس حبا.. وليست واحدة.. بل عشرات في نفس الوقت يحدثهن بنفس الكلام!.

إنه أمر آخر قذر بشع جعلها لا تمنع نفسها من أن تتقيأ فورا ويدها ترتعش وركبها تنتفض ولا تحملها.

فهمت في تلك اللحظة تحديدا نفسية من يقتل شخصا وهو مغيب الوعي فاقد العقل..

فلو أن (خالد) أمامها حالا أو خرج من غرفته لقتلته بوحشية دون أن تدرك ماذا تفعل..

بدأ الهواء يدخل صدرها باردا مثلجا لتدرك أنها على وشك الدخول في ذبحة صدرية..

اختنقت أنفاسها..اشتدت ضربات قلبها حتى سقطت على ركبتيها أرضا..

تماسكت قبل أن يصيبها فقدان الوعي واستندت إلى الطاولة الزجاجية القصيرة بجوارها.

لم تدرك ماذا تفعل الآن..

أخرجت بطاقة ذاكرة رقمية صغيرة من حقيبتها وأولجتها بالحاسوب بيد ترتعش وأخذت نسخة من المحادثات والمحتوي كاملا من صورٍ لفيديوهاتٍ لمقاطعٍ صوتية لكي لا ينكر وقت المواجهة وطلبها الطلاق ويتهمها بالجنون والكذب والادعاء أمام أهلهما..

أو ربما لتؤكد لنفسها أن ما رأته حقيقة حقا.. لأنها من المؤكد وإنها حتي تلك اللحظة لا تدرك ماتراه وتشك أنها تهلوس لسبب ما.

مازال عقلها لا يستطيع استيعاب الأمر!.

سحبت بطاقة الذاكرة في نفس اللحظة لتجده يقف خلفها وعيناه الحمراوتان تطلقان شرر الشر والاختلال العقلي والنفسي، وقد رأى الواتساب مفتوحا وأدرك أنه لم يغلقه وأنها علمت وجهه القذر البشع الآخر.

انتفضت لرؤيته وشعرت كأن قلبها قد توقف للحظات ثم عاد للعمل..

شعرت أنها رأت الشيطان نفسه يقف خلفها!.

وضعت بطاقة الذاكرة سريعا بجيبها وابتعدت عنه تعدو، ولكنه استطاع أن يمسكها لينهال بقبضة يده على وجهها ولكمها بقوة وهو يمسك شعرها ليتمكن من ضرب رأسها وأخذ في ركلها دون أن يتحدث، ولكنها ظلت تصرخ حتى أفلتت منه وقد شعرت بخلع فكها .. ولحسن حظها أنها من شدة تعبها كانت لم تغير ملابسها بعد ولم تخلع حتى حذاءها؛ فسحبت حقيبتها وأخذت تعدو كالعدائين هاربة من أبليس إلى سيارتها، وقفزت بداخلها بينما توقف هو عند باب الشقه ولم يستطع اللحاق بها لأنه كان بملابسه الداخلية والجيران كانوا قد بدأوا يفتحوا الأبواب بسبب صراخها.

وقـادت سـيارتها بسـاق منتفضـة لا تقـوى عـلى التحكـم بهـا وهـي تدعـو اللـه أن يوقـف قلبهـا الـذي صـار ينبـض بـألم في صدرهـا رافضـا تلـك الحيـاة برفقـة (خالـد)..

مرحبا بالموت الليلة!.

الفصل الثامن عشر

(٢٦٧م) - حصن (حِمْص):

عـاد جيـش (تَدْمُـر) الضخـم إلى حصـن (حِمْـص) كـما أمـر (أذينـة) معلنـا انتهـاء الحـرب محتفـلا بكـم الانتصـارات التـي حققهـا خـلال الأربـع سـنوات السـابقة..

كان احتفـالا مهيبـا أضـاء سـماء الليـل بالمشـاعل وكانـت أرض (حِمْـص) تعـج بالراقصـات والمهرجـين والطبـول والخمـر، فتقدمـت جاريـة حسـناء رومانيـة الأصـل تتمايـل بخصرهـا الضيـق الـذي يظهـر مـن فسـتانها المكشـوف وهـي تحمـل كأسـين مـن الخمـر تقدمهـما إلى (أذينـة) و(هـيرودس) بابتسـامة، ومـا أن احتسـوهما حتـى جحظـت عينيهـما وبـدأت بشرتهـما تسـود وكأنهـما يحترقـان وهـما ينظـران إلى بعضهـما البعـض وإلى الكـؤوس التـي قدمـت لهـما ويحـاولان البحـث عـن الجاريـة ولكنهـا كانـت قـد تبخـرت في لحظـة.

بـدءا يمسـكان حلقهـما المحترقـان المختنقـان وبشرتهـما تـزداد سـوادا حتـى سـقطا وسـط الجنـود جثتـين هامدتـين في لحظـات..

صمت عزف الموسيقى..

توقفت الأصوات والأنفاس حولهما..

تحجرت العيون..

ثم بدأ الصراخ والعويل الغير مصدق ولا مستوعب لما حدث في لحظات.

لقـد اغتيـل الملـك (أذينـة) وولي العهـد (هـيرودس) بمنتهـى الهـدوء وهـما يحتفـلان بانتصارهـما وسـط أرضهـما وجيوشـهما وأهلهـما بكأسـين مسـمومين..

أهكذا بكل سهولة؟!.

نعم..

هـذا هـو القـدر وسـخريته.. لم تطلهـما السـيوف والمجانيـق بـأذيٍ في أراضي الحـرب التـي لم يبرحوهـا لسـنوات طـوال، وماتـا مقتولـين في أرضهـما وسـط جيوشـهما بـكأس خمـر مسـموم بمنتهـى البسـاطة والسرعـة حـين أمـرا بوقـف الحـرب والاحتفـال.

(بيلينـوس) وقـف كالمصعـوق يعلـم أن هـذا هـو تدبـير الإمبراطـور (قليوديـس)، وهـو مـن جعـل الجاريـة تدخـل قاعـة الاحتفـال بأمـر سري مـن الإمبراطـور، ولكـن كانـت خطـة وشـايته مبنيـة عـلي أن تنتهـي بمـوت (أذينـة) فقـط ليـس (هـيرودس) لـكي يتـم تشريـد (زنوبيـا) وسـحب العـرش مـن تحـت سـيطرتها بعـد أن يعتليـه (هـيرودس) وزوجتـه (بوديـكا) عشـيقته.

ولكـن الإمبراطـور أمـر بقتـل (هـيرودس) ولي العهـد أيضـا ولم يكتفـي بـ(أذينـة).. لم يكـن يحسـب حسـابا لذلـك.. ولم يكـن يعلـم أن هـذا ماسـيفعله الإمبراطـور.. هكـذا غـير القـدر نتيجـة خطتـه في لحظـة.

انهـارت أحـلام (بيلينـوس) أمـام عينيـه لأن مـن الآن سـتكون (زنوبيـا) هـي الملكـة الوحيـدة المنفـردة عـلى العـرش أم ولي العهـد الجديـد (وهـب الـلات) الـذي مـازال مراهقـا صغـيرا نسـبيا وسـتقوى شـوكتها أكـثر وتطـول المسـافة الفاصلـة بينهـما أميـال إضافيـة عـن السـابق.

وصـل الخـبر الأسـود إلى (زنوبيـا) و(بيلـودكا) في قلعتهـما، فاتجهـا لسـاحة الاحتفـال يهرولـون صارخـين، أخـذت (زنوبيـا) رأس (أذينـة) زوجهـا المغتـال في صدرهـا وهـي تبـكي وتـصرخ وتعـده بالانتقـام لـه وظلـت تحدثـه وهـي غـير مسـتوعبة أنـه قـد مـات:

- (أذينـة).. لـن أنـام أو يهـدأ لي بـال إلا قبـل أن أثأر لدمك أنـت و(هيرودس)

ولدي الكبير الذي لم أنجبه يا (أذينة).. لن أترك دماءك التي أهدرت غدرا دون أن أنتقم.. لم تقتل في مواجهة شجاعة ولا في قتال محاربين شرفاء.. روحك الباسلة يا (أذينة) التي لم تفيض في ساحة الحرب لسنوات فاضت وأنت تحتفل بانتصارك وسط جنودك وفي مملكتك بغدر وخيانة..

سأثأر لك من الإمبراطور (قليوديس)..

سأثأر من كل يد غدرت بك..

أعدك ياحبيبي..

ياملكي..

ياشريك عمري..

أعدك أن أحقق حلمك وأن أكمل مسيرتك وأن أحفظ اسمك عاليا طالما حييت . .

أعدك أن تكون (تَدْمُر) أعظم الممالك وأن يكون ابنك (وهب اللات) هو امتدادك وامتداد أخيه (هيرودس) المحارب الشجاع.

** ** ** ** **

اتشحت (زنوبيا) بالهموم وكسا وجهها الحزن والشحوب وانطفأت لمعة عينيها بعد وفاة (أذينة).

تم تنصيب (وهب اللات) الصبي الصغير ملكا رسميا لمملكة (تَدْمُر) و(زنوبيا) وصية عليه؛ فأصبحت تجلس هي على العرش كحاكمة منفردة باسم ولدها الملك (وهب اللات).

(زنوبيا) ورثت من جدتها (كليوباترا) الروح القتالية المثابرة والقوية القيادية.

فبرغـم حزنهـا القـوي عـلى (أذينـة) لم تنـس أنهـا الملكـة الآن وأنهـا تحمـل مسـؤلية ولا وقـت لديهـا لرفاهيـة الحـزن عـلى رفيـق عمرهـا زوجهـا وحبيبهـا وأبـو أبنائهـا كباقـي النسـاء.

لملمـت فتـات قلبهـا وأمـرت (زنوبيـا) بعقـد اجتـماع سـيناتورات مجلـس الشـيوخ الأربـع عـلى وجـه السرعـة بعـد دفـن الملـك وولي العهـد في اجتـماع سري هـام؛ فحـضر (بيلينـوس) و(ثاديـوس) و(لونجينـوس) و(لورنتيـاس).

وعند خلو القاعة من الجميع قالت لهم:

- نحـن قادمـون عـلى أخطـر فـترة سـتمر عـلى المملكـة؛ إمـا أن نكـون كل شيء أو نخسر كل شيء.. إنهـا الخطـوة التـي ظـل (أذينـة) يخطـط لهـا سـنوات وسـنوات وقضينـا مـن أجلهـا سـنوات صعبـة في سـاحة الحـروب.. لقـد قتـل الإمبراطـور (أذينة)مـن أجـل ضـمان عـدم حدوثهـا.

تنهدت بحزن وسرعان ما استعادت نبرة صوتها القوية وأكملت:

- يجـب أن ننفصـل وفـورا وبـأي شـكل كان عـن الإمبراطوريـة الرومانيـة التـي أصبحـت عدونـا الخفـي الغـير معلـن الـذي لايقـدر عـلى مواجهتنـا حتـى الآن بشـكل مبـاشر.. جميعنـا نعلـم أن الإمبراطـور (قليوديـس) هـو مـن قتـل (أذينة) وولي العهـد الأمـير (هـيرودس) وفي الغـد سـيقتلنا جميعـا عندمـا يسـتعيد قـواه ويسـتطيع مواجهتنـا.. وأنـا أعـرف أن مثلـه سيسـتعيد قـوى الجيـش سريعـا.. أريـد أن أسـمع آراءكـما في موقفنـا الحـالي..

نظـر الكاهـن (ثاديـوس) إلى الحكيـم (لونجينـوس) كأنـه يقسـم أن لا ينطـق هـذه المـرة قبلـه أبـدا، فقـال القائـد (بيلينـوس):

- مـولاتي.. الانفصـال اليـوم يعنـي الحـرب الحتميـة مـع الإمبراطوريـة الرومانيـة.. أنـا لا أخـاف حربنـا معهـم لأننـا بالفعـل أصبحنـا أقـوى مـن الإمبراطوريـة نفسـها.. فمهـما كان قـرارك سـتجديني في ظهـرك سـاندا لـك

بجيش قوي فلا تقلقي.. إن جيشنا أصبح أقوى من جيوش الفرس والروم مجتمعين وروحي ستكون فداء سلامتك وسعادتك ورغباتك.

رمقه (لونجينوس) بنظرة مرتابة وأومأت (زنوبيا) برأسها بجدية وأشاحت نظرها من على (بيلينوس) ونظرت إلى الوزير (لورنتياس) آذنة له بالكلام فقال:

- قرارك صائب يامولاتي ولكني أخاف أن ننفذه بشكل خاطىء فنحن نحتاج لخطة انسحاب حكيمة تدريجية للخروج من تحت عباءة الإمبراطورية الرومانية الصورية.

كان (ثاديوس) رافض النطق إلا بعد (لونجينوس) بشكل ملحوظ فقال (لونجينوس) وقد يأس أن يسبقه الكاهن (ثاديوس) هذه المرة:

- مولاتي لا أجد مفر من انفصالنا عن الإمبراطورية كما قال الجميع وكما خطط ملكنا (أذينة).. خصوصا أن الإمبراطور (قليوديس) يغار من قوة مملكتنا ويضع نصب عينيه كسر شوكتنا ونعلم أنه المتهم الأول والوحيد في اغتيال ملك الملوك (أذينة) وولي العهد، ولكن إعلاننا الانفصال حاليا سيكون خطأ جسيما برغم من أننا فعليا منفصلين عنهم دون إعلان رسمي.. إن (قليوديس) يحتاج على الأقل لعام أو عامين ليجهز جيشا يستطيع به مواجهتنا، وقبل ذلك لن يستطيع إلا على المكائد الخبيثة الغادرة مثل دس السم بالخمر كما فعل مع الملك وولي العهد.. فعلينا أولا طرد كل من له صلة بـ(روما) أو له أصول رومانية ويتقلد منصبا مهما بممالكنا لحمايتك وحماية الملك (وهب اللات) وأخيه (حيران الثاني).

أخذ نفسا عميقا وأردف:

- كما أرى أن نكمل فتوحاتنا سريعا دون إعلان رسمي للانفصال، ولكن ليس في الشرق تجاه بلاد الفرس كما كنا بل في الغرب مع بلاد الروم

نفسـها وليكـن مقصدنـا الأول (مـصر) حيـث تُمِـد (رومـا) بالغـلال والحبـوب والقمـح والمـال ونوسـع رقعتنـا بضـم أهـم الممالـك الاسـتراتيجية التـي سـتضعف إمبراطوريـة (قليوديـس) أثنـاء فـترة تجهيـزه لجيشـه وقبـل أن ينتهـي مـن تجهيـز الجيـش وقبـل أن يفكـر أن يواجهنـا يجـد نفسـه يواجـه مجاعـة داخـل (رومـا) نفسـها وفقـرا بسـبب منعنـا الغـلال عنـه عـن طريـق ضـم (مـصر)، وهكـذا لا يلبـث أن يحـل مشـكلة حتـى نكـون أوقعنـاه في أخـرى عـن طريـق امتلاكنـا الممالـك التـي يسـتند عليهـا في مـوارده، وفي نفـس الوقـت تقـوى مملكتنـا في ذلـك الوقـت أضعافـا وأضعافـا.. وقتهـا نعلـن انفصالنـا ونحـن بأمـان تـام ونتجنـب أي حـرب مـع (قليوديـس)، وربمـا أرسـل هـو رسـله لنـا طالبـا التفـاوض.

قال الكاهن (ثاديوس) مبتسما راضيا:

- أوافقك الرأي ياحكيم (لونجينوس).. الرأي ماقاله يامولاتي.

فقالت (زنوبيا):

- إذن لنبـدأ فـورا في التوسـع شـمالا حتـى (البسـفور)، وغربـا حتـى نضـم (مـصر) قبـل أن يجهـز (قليوديـس) جيشـه ونحـرص عـلى ضـم كل الممالـك الاسـتراتيجية كـما اقـترح (لونجينـوس).

انسـحبوا مـن الاجتـماع بعـد تحيـة الملكـة واحـدا تلـو الآخـر بينـما وقـف (بيلينـوس) ليكـون الأخـير وبمجـرد أن خلـت القاعـة عليهـما اقـترب مـن (زنوبيـا) وركـع أمامهـا وهـو يقـول:

- مـولاتي.. مليكتـي.. عندمـا أعلنـت أني وراءك وفي ظهـرك مهـما كان قـرارك لم أكـن أتحـدث فقـط كقائـد الجيـوش، كنـت أتحـدث كـ(بيلينـوس) الـذي لايهمـه سـوي أمانـك وسـلامتك ورفعتـك، فأنـت لا تعلمـين مـا مقـدارك وقـدرك عنـدي يامـولاتي.. مـولاتي أنـتِ بالنسـبة لي (زنوبيـا) لا الملكـة فقـط ولـن تعرفـين

ماتعنـي لي (زنوبيـا) مهـما تخيلتـي.

كانـت (زنوبيا) عـلى قـدر عـالٍ مـن الـذكاء والفطنـة والدهـاء الـذي جعلها تستشـف مايقصـده (بيلينـوس) وتفهـم مـا هـو مقـدم عليـه مـن عـرض حبـه لهـا، ولكنهـا أبـت تركـه يتـمادى في كلامـه المعسـول فـلا مجـال أمامهـا إلا أن تطيـح بـه مـن منصبـه لتجـاوزه حـدوده مـع الملكـة وهـو قائـد الجيـوش منـذ سـنوات وسـنوات وكل أسرار الجيـش بحوزتـه وهـي في وقـت حـرج وحـرب وشـيكة، أو أن تقبـل حبـه مـن بـاب الابتـزاز لـكي تحافـظ عـلى جيشـها وأسراره وهـذا مـن سـابع المسـتحيلات..

القراران أسوأ من بعض و ترفضهما.

أعـدت معادلـة سريعـة في عقلهـا خرجـت منهـا بنتيجـة واحـدة حتميـة وهـي إيقـاف هـذا الحديـث بحـدة وفـورا في تلـك اللحظـه..

هذا هو الحل الأفضل..

قاطعتـه (زنوبيـا) بحـزم وجديـة وهـي تقـف هابطـة مـن كـرسي العـرش منهيـة الحديـث معـه:

- وهـذا هـو المتوقـع منـك أيهـا القائـد (بيلينـوس) قائـد جيـوش (تَدْمُـر) المخلـص لسـنوات وسـنوات.. إنـه واجبـك ولاء ووفـاء منـك إلى الملـك (أذينـة) ولي نعمتـك وصديـق عمـرك تجـاه زوجتـه الملكـة (زنوبيـا) فأنـت أخـي قبـل أن تكـون قائـد الجيـش.. وقبـل كل ذلـك هـو واجبـك تجـاه وطنـك مملكـة (تَدْمُـر).. أسـتأذنك بالرحيـل مـن القاعـة لأني متعبـة للغايـة وأحتـاج أن أرتـاح.

وصلـت الرسـالة بنجـاح وشـعر (بيلينـوس) بنـبرة حـادة جـادة غـير متقبلـة لأي تخـط حـدود في الـكلام أصابتـه بخيبـة أمـل وتركـت (زنوبيـا) القاعـة ورحلـت تاركـة إيـاه يتصبـب عرقـا في خيبتـه التـي خـان (أذينـة) مـن أجلهـا وتحالـف مـع الإمبراطـور مـن أجـل حلـم امتـلاك الجميلـة (زنوبيـا)، ولم يفـق

منهـا إلا عـلى (بيلوديـكا) تقـف أمامـه في قاعـة العـرش والغضـب يقفـز مـن عينيهـا الزرقاوتـين والتـي كانـت قـد اختبـأت وسـمعت مـا دار مـن حديـث؛ فقالـت بغضـب لـه:

- تحبها؟..وأنـا مـاذا أمثـل لـك!.. اسـتغللتني سـنوات وسـنوات.. تزوجـت مـن أجـل أن أصبـح جاسوسـتك داخـل القـصر ولـكي تتحكـم في قـرارات (هـيرودس) في صـورتي.. مـاذا أمثـل لـك أنـا في النهايـة! أنـت تعلـم أني أحبـك وكثـيرا مـا تركـت (هـيرودس) وجناحـي الملـكي لآتي إلى قـصرك ليـلا متنكـرة متخفيـة دون أن يشـعر أحـد وأنـت تقـضي الليـل كلـه تهيـم بي حبـا تعـدني أن نجتمـع قريبـا.. سـنوات وسـنوات قضيتهـا كزوجـة خائنـة، واليـوم عندمـا مـات زوجـي وزوجهـا في يـوم واحـد تختارهـا هـي وتنسـاني! وتغرقهـا هـي بالـكلام المعسـول.. ولسـخرية القـدر هـي مـن تصـدك!

اقـترب (بيلينـوس) منهـا واضعـا يـده عـلى فمهـا لتصمـت بعنـف وقـد نفـرت عروقـه غضبـا:

- (بيلوديـكا) اصمتـي أيتهـا المخبولـة حتـى لا يسـمعك أحـد.. أنـا أحبـك أنـتِ.. ولا أحـب سـواك.. كل مافعلتـه كان مـن أجـل أن تصبحـي أنـتِ الملكـة، ولكـن الإمبراطـور بقتلـه (هـيرودس) جعـل (زنوبيـا) هـي الملكـة لا أنـتِ.. أنـا أحـاول خداعهـا ياحبيبتـي لـكي أسـلبها العـرش والتـاج فقـط لأعطيهـما إيـاك.. إنــه مكانــك أنـت لا مكانهــا.. فأنــت مــن تسـتحقين ذلــك التــاج وليسـت (زنوبيـا).. خطتنـا لم تنتـهِ بعـد يا(بيلوديـكا)، إذا تزوجتـك الآن سـنخسر كل شيء وكل مجهودنـا سـنوات وسـنوات سـيذهب هبـاء..

قَبل كف يدها وقال وهو يخدر عقلها:

- لا أطلــب منــك إلا الصــبر ياحبيبتــي وأن تظــلي عينــي داخــل القــصر.. (زنوبيـا) تثـق فيـك وستشـاركك أفكارهـا.. ابـق بجانبـي وثقـي في حتـى نصـل الي العـرش سـويا.

إننـي عـلى اتصـال بالإمبراطـور شـخصيا وسيجلسـني عـلى كـرسي العـرش إذا تخلصـت منهـا وأنـت سـتكونين زوجتـي وحبيبتـي وملكتـي..

ملكة (تَدْمُر)..

زوجة الملك (بيلينوس).

قبل يدها وهو يعلم أنه يخدرها بنجاح..

هو يعلم أنه يستطع خداعها بكل سهولة دوما..

إنها ساذجة للغاية..

ولم يفشل في ذلك قط.

***

الفصل التاسع عشر

مـرت ليلـة عصيبـة عـلى (أمـيرة) و(إيـاد).. كلا منهـما غـارق في همـوم عالمـه الخاص..

كلا منهما استيقظ في اليوم التالي ليرى أمامه حياة لا يريدها..

ففـي (القاهـرة) تنـازل (إيـاد) عـن سـيارته التـي لم يكمـل تسـديد أقسـاطها بعـد إلى (أمنيـة) وحـول الأمـوال التـي طلبتهـا لحسـابها البنـكي وباعهـا بعقـد نهـائي شـقته والتـي هـي كل مـا ادخـره، وكان الأصعـب عـلى قلبـه مـن كل مـا مـضي هـو توقيعـه عـلى قسـيمة الـزواج الصوريـة للمـرة الثالثـة التـي تجمـع اسـمه وصورتـه بتلـك الإنسـانة البغيضـة في مقابـل أن يسـتعيد أبنـاءه مـن براثنهـا.. أنهـى الأمـر واطمـئن عـلى أن أبنـاءه في حضـن والدتـه ثانيـة وهـرب إلى مكتبـه في مديريـة أمـن (الإسـكندرية) ليكمـل تحرياتـه وتحقيقـه في القضيـة.. هربـا مـن واقعـه المريـر!.

أمـا في (الإسـكندرية) فقـد كانـت (أمـيرة) في الصبـاح داخـل سـيارتها التـي باتـت ليلتهـا فيهـا بعـد أن أصابهـا الإعيـاء بعـد كل مـا مـرت بـه في الليلـة الماضيـة.. إنهـا لازالـت لا تقـوى بعـد عـلى مواجهـة العـالم ولا نفسـها بحقيقـة (خالـد) البغيضـة التـي عرفتهـا.. تشـعر أنهـا لا تملـك لسـانا يواجـه ولا عقـلا يـدرك تلـك البشـاعة، وفي نفـس الوقـت لا تقـوى عـلى النظـر إليـه أو رؤيتـه أو حتـى سـماع صوتـه ثانيـة.. فقـط صـار بالنسـبة لهـا (إبليـس) شـخصيا.. تحتـاج لوقـت لـكي تسـتجمع عقلهـا ونفسـها وتنفـذ قرارهـا بالطـلاق والـذي لا فـرار منـه بعـد ماعرفتـه ورأتـه بعينيهـا.. مـا أن أشرقـت الشـمس حتـى فتحـت عيونهـا المتحجـرة وقـادت سـيارتها قاصـدة مكتبهـا بمديريـة الأمـن دون كلمـة واحـدة متحججـة بالقضيـة.

هـرب كلاهـما مـن حياتـه المقيتـة إلى قضيـة خطـيرة يحيطهـا الدمـاء والرعـب واللعنـات والمـوت.. فتلـك الجرائـم الدمويـة كانـت أرحـم عـلى قلبيهـما مـن حياتهـما الحقيقيـة.

***

جلسـت (أمـيرة) عـلى مكتبهـا تحلـل المعلومـات التاريخيـة وتضـع بعـض الكتـب المهمـة التـي أحضرتهـا مـن مكتبتهـا في البيـت وتضـع جوارهـا بعـض الأبحـاث التـي طبعتهـا عـبر الإنترنـت وتقـارن المعلومـات وهـي ممسـكة بقلمهـا وتكتـب أشـياء عشـوائية شـاردة.. تفكـر في المعلومـات التـي تجمعهـا في محاولـة التوصـل لأصحـاب التماثيـل الحقيقيـين أو أي معلومـات تاريخيـة تفيدهـا..

بينـما انهمـك (إيـاد) في المكتـب المقابـل لهـا بمشـاهدة المشـاهد القليلـة المسـجلة بكامـيرات المراقبـة لجريمـة قتـل الجنـدي باليـوم السـابق مـرارا وتكـرارا وهـو يحـاول تحليلهـا للوصـول لأي خيـط جديـد يسـاعده حتـى شـعر أنـه قـد حفـظ تفاصيلهـا.

دق هاتف (أميرة) برقم مجهول حاملا صوتا متوترا:

- دكتورة (أميرة).. هل لي أن أقابلك على وجه السرعة الآن؟.

- من معي؟.

- أنـا (زينـب)، هـذا رقـم جديـد اشـتريته اليـوم بـدلا مـن ذلـك الـذي سرق بالأمـس مـع الهاتـف.

- خيرا يا (زينب).. هل أنت بخير؟.

- نعـم نعـم.. ولكـن هنـاك أمـر هـام حـدث اليـوم بالمتحـف أود إطلاعـك عليـه..

سأنتظرك أمام المتحف الروماني..

ولكـن رجـاء خـاص لا تخـبري المقـدم (إيـاد) حتـى أقابلـك أولا ثـم نخـبره سـويا بالأمـر إن كان يسـتحق.. فلربمـا يكـن مـا اسـتنتجته مجـرد تخاريـف وشيء سـاذج، فـلا أريـد الإحـراج أمامـه.

نظـرت (أمـيرة) لـ(إيـاد) الـذي سـمع المكالمـة معهـا بالفعـل عـبر مكـبر صـوت الهاتـف الـذي ردت عـلى (زينـب) مـن خلالـه منـذ بدايـة المكالمـة؛ فأشـار لهـا أن تسـتمر ولا تلفـت نظرهـا أنـه سـمع الحديـث بالفعـل:

- سأكون معك خلال دقائق يا(زينب).. انتظريني.

هم (إياد) لكي يرافقها فأشارت (أميرة) له:

- سـأذهب بمفـردي أيهـا المقـدم احترامـا لرغبتهـا، وإن كان الأمـر هامـا فعـلا سـأخبرك لتلحـق بي فـورا.

- لا أرى أن تلـك فكـرة صائبـة يادكتـورة.. ولكـن لـك ماتريديـن عـلى أن تطمئنينـي ولـو برسـالة عندمـا تصلـين عـن ماهيـة الأمـر وحتـى إن كان سـاذجا يجـب أن أعرفـه.

***

مر قرابة الساعة.. لم تتصل (أميرة) أو ترسل أي رسائل..

شـعر (إيـاد) بالقلـق والفضـول في نفـس الوقـت.. فالطريـق بـين مديريـة الأمـن والمتحـف خمسـة عـشر دقيقـة عـلى الأكـثر!.

حـاول الاتصـال بـ(أمـيرة) ولكـن لم تجـب عـلى الهاتـف.. أعـاد المحاولـة ليجـد الهاتـف قـد أغلـق!.

اتجه فورا إلى المتحف ولكنه لم يجد (زينب) ولا (أميرة)!.

وجد (إياد) سيارة (أميرة) تقف بالقرب من سور المتحف..

مفتوحة وفارغة..

طلب على الفور إفراغ أي كاميرات ترصد تلك المنطقة من السور وإرسال محتواها له على وجه السرعة..

وقد أيقن أن (أميرة) و(زينب) يواجهان خطرا جسيما الآن!.

- تفريغ الكاميرات جاهز أيها المقدم.

قالها أحد الضباط، فاتجه (إياد) معه مسرعا ليشاهد (زينب) وهي تقف خارج المتحف تنظر في ساعتها بتوتر..

تأتي أحد السيارات وتقف ويمتد يد أحدهم ليفتح باب المقعد الخلفي ويجذب (زينب) لتدخل بعنف وتختفي داخله..

تمر دقائق قليلة ثقيلة حتى تظهر سيارة (أميرة) وتتوقف لتهبط منها (أميرة) التي تقترب لتنظر من الزجاج الخلفي للسيارة التي صعدت إليها (زينب) قبلها بفزع..

تفتح أميره الباب وتدخل بجذعها إلى داخل السيارة.. وكأنها تحاول تحرير (زينب) من قيد ما..

يأتي رجل من خلفها يدفعها إلى الداخل ثم تندفع السيارة راحلة!.

***

الفصل العشرون

(٢٧٠م) – (مصر)

ثلاث سنوات من الفتوحات التي استمرت منذ اعتلاء (زنوبيا) العرش بجوار ولدها (وهب اللات) لتجعل ممالك (تَدْمُر) تمتد إلى ساحل (البسفور) شمالا وضفاف (الفرات) شرقا لضمان حماية حدود المملكة مع الرومان، وأيضا بعض أراضي شبه الجزيرة العربية.. وحان الآن دور (مصر) حلم (زنوبيا) القديم وموطنها الأصلي الذي طالما حلمت أن تعود إليه كملكة على عرشها.

إن ضم (مصر) يعني طعنة قاتلة أخيرة لـ(قليوديس)؛ فهي تعني مجاعة وفقر في (روما) بسبب قطع الغلال والحبوب والقمح والمال عنهم.

دخلت (زنوبيا) (مصر) على رأس جيشها مع (وهب اللات) وخلفهم السناتورات الأربعة كل على جواده؛ ولكنها اكتشفت أن أهل (مصر) ينتظرونها بفرحة ويرحبون بها ويهتفون باسمها في الشوارع ترحيبا وانتظارا لقدومها ويرمونها بالورود والابتسامات!.

لم تصدق نفسها.. إنه حلم!.

إنها لا تحارب؛ بل تدخل (مصر) كبطلة!.

لقد أجّلت تلك الخطوة ثلاث سنوات استعدادا لخطورتها وكانت تظنها حرب ضروس، ولكنها تجد أن (مصر) تحتفل لقدومها ولا تقاومها.

إنها تُستقبل استقبالا لم يكن في أجمل أحلامها..

المصريون لم ينسوا أن (زنوبيا) هي حفيدة (كليوباترا) الملكة العظيمة

والتي جعلت من شعب (تَدْمُر) في أعلى المكانات بين الشعوب حتى وصل صيتها إلى (مصر) ورحبوا بها وقد ضاقوا ذرعا بالحكم الروماني المستبد الذي يمتص كل الخيرات ليرسلها إلى (روما) رأسا ويتركونهم هم في الفقر والجوع ويمتص دماء شبابهم في حروب خاسرة ويفرض الضرائب والجزية المجحفة عليهم ويقتطع من أموال الدولة لصالح الحامية الرومانية.

(زنوبيا) كانت بالنسبة لهم الملكة المصرية القريبة من دمائهم التي قضت طفولتها وصباها بأرض (الإسكندرية)، كانت سيرة حكم (أذينة) و(زنوبيا) لـ(تَدْمُر) وخيراتها وحسن سياستهم وعدلهم وقوتهم تسبقها إلى مسامع المصريين الذين -وبدون تفكير- اختاروا انضمامهم إلى حكم (زنوبيا) بإرادتهم ورغبتهم وترحيبهم.

جلست (زنوبيا) بسهولة دون أدنى حرب على عرش (مصر) بجوار ابنها (وهب اللات)، وأول مافعلت أن اتجهت للسجون لتحرير أي مسجون مظلوم بفعل الرومان وعلى رأسهم الفيلسوف والحكيم (يوليوس) معلمها وأستاذها هي و(لونجينوس) وعينته فورا كبير الحكماء وعوضته عن سنوات السجن الشاقة بعد أن تخطي عمره المئة عام بأعوام..

فور ضم (مصر) وضمان دق آخر مسمار في نعش الإمبراطورية أصدرت (زنوبيا) أول أوامرها من على عرش (مصر) بـ(الإسكندرية) بأن تصك العملات في (الإسكندرية) لجميع الممالك التي تحت راية (تَدْمُر) على أن تحمل وجها لـ(وهب اللات) ووجها لصورتها هي، ويتم حذف صورة إمبراطور (روما) من العملات الذهبية تماما.

وأيضا أمرت بطرد كل الحاميات الرومانية من الموظفين والعاملين التابعين للبلاط الروماني وترحيلهم إلى (روما) من جميع الممالك التابعة لـ(تَدْمُر) في جميع الأنحاء كإعلان شبه رسمي لاكتمال مراسم الانفصال بعد ضمان ضم (مصر).

(٢٧١م) - مملكة (تدمر):

عقب فتح (مصر) بعام واحد توفي الإمبراطور (قليوديس) بعد مرض شديد أصابه في (روما) وتولى العرش ابنه الإمبراطور (أورليان)، أو كما كان يحب أن يلقب بالإمبراطور (أورليان) العظيم.

(أورليان) كان أقوى من والده وأكثر حنكة وجبروتا ومكرا وذكاء، وكانت (زنوبيا) تعلم ذلك جيدا.

أرسل (أورليان) وفدا وعلى رأسه الحكيم (ماكسميان) إلى (زنوبيا) ليعرضوا عليها التفاوض والاتفاق في بداية عهد حكمه.

استقبلتهم (زنوبيا) بكل كبرياء وشموخ وهي تعتلي كرسي العرش بـ(تَدْمُر) في مشهد لم يتخيلوا أن يجدونها عليه، يجلس بجانبها (وهب اللات) على العرش.

كانت تشع قوة وشبابا وجمالا وكبرياء وذكاء بشكل باهر أوقع في قلوبهم الخوف والرهبة من قوة سلطانها وإن كانوا يتوقعون أن يجدوا ملكة أكبر سنا أو أقل فتنة وجمالا لتليق بصيت جبروتها وقوتها الحربية والعسكرية ودهائها.

استقبلتهم استقبالا كريما هي والسيناتورات الخمسة لمجلس الشيوخ التدمري بعد انضمام المعلم (يوليوس) لهم معلمها الشيخ الذي انضم لمجلس الشيوخ بعد تحريره من سجن الرومان عقب فتح (مصر).

جلس وفد الإمبراطور في قاعة العرش يصطفون على الجانبين أمام كرسي عرش الملكة (زنوبيا) التي قالت بكبرياء يكسوه ابتسامة لطيفة:

- أرحب باسمكم أيها السادة أعضاء مجلس الشيوخ التدمري وباسمي أنا الملكة (زنوبيا) الوصية على العرش والحاكمة باسم ابني الملك (وهب

اللات) ابن ملك الملوك العظيم (أذينة).

أرحب بالسيد (ماكسميان) رسول الإمبراطور (أوريان) العظيم وأمد لكم يد الصداقة والتعاون المبني على الاحترام المتبادل بيننا.. تفضل أيها الرسول (ماكسميان) وأطلعنا على ماجئت من أجله من (روما).

وقف الرسول (ماكسميان) قائلا:

- أنا لا أملك يامولاتي سوى أن أنقل لكم استياء الإمبراطور (أوريان) العظيم من بعض الأمور التي أقدمتم عليها مؤخرا خصوصا في نهاية عهد والده الإمبراطور (قليوديس) وأنه يرى فيها تمردا واضحا على(روما).

قاطعته (زنوبيا) بحدة ونظرة حادة كادت تشق الرجل نصفين وقالت:

- عذرا يا (ماكسميان).. إنك استعملت كلمة التمرد في موضع خاطىء تماما ربما كان السبب جهلك باللغة الآرمية.. على كل حال تابع وحاول أن تنتقي كلماتك بكلمات تعي معناها جيدا قبل التفوه بها لكيلا تثير غضبي وتطلعني على النقاط التي استاء منها الإمبراطور بلغة آرمية صحيحة ومفردات سليمة ولك مني العفو على خطأك اللغوي السابق في اختيار لفظ تمرد..

توتر (ماكسميان) وقد شعر بخطورة غضب (زنوبيا)؛ فهو ليس أمام شابة جميلة فحسب.. وأكمل:

- أهم النقاط التي استاء منها الإمبراطور يامولاتي صكك مؤخرا للعملات الذهبية والتي تحمل رسم وجه ولدك الملك (وهب اللات) ورسم وجهك بدلا من وجه الإمبراطور خصوصا بعد فتحك (مصر) وضمها لمملكتك.

صمت الرجل لحظات يحاول أن يستشف رد فعلها وليتأكد إن كان أخطأ مجددا في أي لفظ أم لا بعد أن ألقى أول النقاط التي أرسله بها الإمبراطور (أوريان).. نظرت له بوجهٍ متجمدٍ قاسٍ وقالت له:

- تابع.

- حاميتكم التدمرية الموجودة بحدود (مصر) منذ عام مضى تقف حائلا أمام عودة (روما) إليها وتمنع نقل الغلال والحبوب إلى (روما) وتمنع دخول أي مندوبين من البلاط الإمبراطوري إلى (مصر)، كما منعت حاميتنا من أخذ الأموال من الخزينة المصرية وطردتها وعينت موظفين مصريين على المال المصري بدلا من موظفينا الرومانيين.

قالت بوجه جامد كالتمثال:

- تابع..

- أيضا الحامية الرومانية المقيمة في (تَدْمُر) منذ سنوات وسنوات لها حق في جزء من أموال الخزينة التدمرية بناء على نصوص القانون التدمري والذي يسن على تبعيتها للبلاط الإمبراطوري الروماني وينص على حقنا في جزء من أموال الخزينة سنويا ولكنك ألغيتِ التشريع فجأة وطردتِ الحامية ولم ترسلي الأموال منذ قرابة الأربع سنوات؛ أي منذ موت الملك (أذينة) وموت الإمبراطور (جالينس).

- هل هناك شيء آخر أرسلك الإمبراطور (أورليان) به لكي أجيب عليك مرة واحدة؟.

- ملاحظة أخيرة لوسمحت جلالتك أن أذكرها..

ابتسمت وقالت وهي تضع ساقا على ساق:

- تفضل.

- لاحظ الإمبراطور (أورليان) في الآونة الأخيرة ومنذ عهد الإمبراطور (قليوديس) أنكم تعملون على تجريد الموظفين الرومان من مناصبهم واحدا تلو الآخر في (تَدْمُر) ثم في كل الممالك التي وقعت تحت حكمكم،

وهـذه بـادرة لم يقـدم عليهـا مطلقـا أي ملـك مـن قبـل في أي مملكـة تابعـه لنـا.

نظـر سـيناتورات مجلـس الشـيوخ الأربعـة لبعضهـم البعـض بتوجـس.. إن (زنوبيـا) في مواجهـة مبـاشرة بـدأ بهـا (أورليـان) حكمـه!.

نظـروا إلى (زنوبيـا) التـي كانـت تبتسـم بثقـة وثبـات انفعـالي وقـوة مبهـرة تحسـد عليهـا وقالـت:

- يبـدو أن الإمبراطـور (أورليـان) العظيـم يفهـم الصلـة بـين تدمـر و(رومـا) فهـما خاطئـا.. ربمـا لأنـه حديـث العهـد بالعـرش؛ ولكـن لا أجـد مشـكلة في أن أشرح لـه ولـك طبيعـة العلاقـة الرومانيـة التدمريـة في الوقـت الحـاضر كهديـة توليـه حكـم (رومـا).

تنهدت وهي تستكمل حديثها وتبدأه بضحكة:

- هههههههـه.. أظـن انـه يعتقـد أن (تَدْمُـر) جـزء مـن إمبراطوريتـه حتـى الآن.. ونحـن نخالـف الإمبراطـور فهمـه للصلـة الحاليـة التـي بيننـا.

ثـم اختفـت الضحكـة السـاخرة فجـأة وكسـا وجههـا الجديـة والصلابـة وهـي تكمـل كلامهـا:

- الصلـة الحاليـة بيننـا لا تتعـدى صلـة جـوار أو مصالـح قديمـة تاريخيـة وسياسـية مشـتركة، وإن شـاء جعلناهـا صلـة صداقـة قائمة عـلى العدل والمسـاواة والعلاقـات الطيبـة.. وإن شـاء أيضـا جعلناهـا شـيئا آخـرا لـن يحبـه ولا أحـب ذكـره الآن في حديثنـا.. لأني عـلى ثقـة أنـك تفهـم مـا أقصـد.

ابتسـمت بعـد أن ألقـت تهديدهـا المسـتتر بالحـرب وهـي تكمـل حديثهـا وسـط صمـت الجميـع وإعجابهـم:

- إننـا كنـا لـ(رومـا) أصدقـاء أوفيـاء وجيشـا صلبـا أعـاد لهـا كرامتهـا ومنـع سـقوطها وتعثرهـا في عـز ضعفهـا والتاريـخ أثبـت حسـن نيتنـا في صداقتنـا

وعهودنا مع (روما).. وليس بالتاريخ القديم بل منذ سنوات بسيطة فقط مضت في عهد ملك الملوك (أذينة) واتفاقه مع الإمبراطور (جالينس)؛ فلم يكن لـ(روما) قائمة ستقوم بعد حروب الإمبراطور (فاليريان) الخاسرة أمام الفرس لولا جيش (تَدْمُر) وحروبنا معه حتى انهزم أمامنا (شابور) ملك الفرس ليثأر (أذينة) البطل العظيم لإمبراطوركم المهزوم (فاليريان).

بدأ (ماكسميان) ووفده يتصببون عرقا من ردها؛ فأكملت بهدوء وابتسامة ثقة:

- فلا أعتقد أن إمبراطوركم (أورليان) قد نسي سريعا حروبنا لحمايتكم بقيادة العظيم (أذينة) والتي حافظت له على العرش الذي يجلس عليه اليوم بفضل جيش (تَدْمُر).. لقد حقق (أذينة) بجيش (تَدْمُر) نصرا ساحقا لم تقدر (روما) متحدة مع جميع حلفائها على فعل ربعه؛ فأوقف (أذينة) جحافل الفرس التي كانت ستزحف حتى (روما) نفسها لتبتلعكم داخل قصوركم وتسبي نساءكم وتُيتِّم أطفالكم.. وقَطَع رأس (شابور) وأرسلها إلى (روما) هدية إلى الإمبراطور (جالينس).. (شابور) الذي علق رأس إمبراطوركم (فاليريان) على سيفه ورقص به يوما.. تذكرونه بالتأكيد.

صمتت لحظات كأنها تحرقهم بنظراتها وكلماتها التي بدأت تسقط عليهم حمما نارية وقالت بغضب جم:

- هذا ما قدمه (أذينة) ملك تدمر لـ(روما).. فماذا قدمتم أنتم لـ(أذينة) و(تَدْمُر) في المقابل؟.

هل تعلم؟.

هل تستطيع أن تجيبني يا (ماكسميان)؟.

تردد (ماكسميان) وهو يجيب:

- أنعم عليه الإمبراطور (جالينس) بلقب رئيس المشرق ملك الملوك

وصـك العمـلات برسـم وجهـه عـلى أحـد جانبـي العمـلات معـه.

قاطعته بغضب العالم كالبركان وهي تقف لتفجر القاعة بالغضب:

- بـل أنعمـت عليـه (رومـا) بالقتـل غـدرا مسـموما هـو وولي عهـده (هـيرودس) ويتّمـتْ أبنائهـما أثنـاء احتفالاتهـما بالنـصر.

قال (ماكسميان) مستنكرا بتوتر أكبر:

- هل تلمحين لاشتراك (روما) في اغتيال الملك (أذينة) يامولاتي الملكة!.

- أنا لا ألمح.. بل أجزم يا(ماكسميان).

- مولاتي أنا لا أفهم شيئا مما تقولين.. إنه اتهام بالغ الخطورة.

- أنـا أتهـم (قليوديـس) وأنـت تتحـدث بلسـان (أورليـان).. أعـي تمامـا الفـرق.. ولـولا أنـك رسـول لـ(أورليـان) وليـس لـ(قليوديـس) لمـا كنـت جلسـت عـلى هـذا المقعـد مـن الأسـاس.. فـإن كنـت جئـت تحمـل اسـم (قليوديـس) لكنـت أرسـلت رأسـك مـع وفـدك لـه ولمـا كنـت لأسـمع منـك حرفـا واحـدا مـما قلتـه لتـوك، ولكنـي فتحـت البـاب لسـماع الإمبراطـور الجديـد علـه يكـون مختلفـا عـن والـده القاتـل الغـادر الخائـن.

أخـذت نفسـا عميقـا وقالـت بصرامـة أخفـت فتنـة وجههـا وكسـته بالرهبـة والحـزم:

- بالنسـبة للنقـاط التـي جئـت تعددهـا عـن لسـان إمبراطـورك (أورليـان) فهـذا ردي الرسـمي عليهـا..

وقالت بصوت قوي:

- ليـس مـن حـق (رومـا) توظيـف رعاياهـا في مملكتـي بعـد تأكدنـا مـن تآمركـم عـلى أمننـا وسـلامتنا بعـد اغتيـال (أذينـة) و(هـيرودس).. وتشريعـات قوانيننـا التـي تنظـم شـئون حاميتكـم لدينـا هـي قوانـين باطلـة وضعتهـا

(رومـا) في عصـور ضعفنـا وقوتكـم في المـاضي البعيـد، أمـا الآن فقـد انقلـب الحـال ونحـن مـن نمتلـك القـوة والجيـش والمـال والممالـك فمـن حقنـا تغييرهـا.. أمـا فيـما يتعلـق بـ(مـصر) فأنـا أفهـم مـن كلامـك أنكـم تطالبـون باسـترجاعها؟.

كيـف تريـدون اسـترداد شيء لا يخصكـم يـا (ماكسـميان)! تذكـر أن جـدتي الملكـة (كليوباتـرا) هـي آخـر ملـكات (مـصر) الإغريقيـات قبـل احتلالكـم الرومـاني.. انظـر في الشـوارع إلى الترحـاب الـذي قوبلـت بـه لـدي وصـولي (الإسـكندرية) لتعـرف أن هـذا الشـعب لا يحكمـه غريـب.. ولتعـرف مـن الحاكـم الحقيقـي لمـصر.. ومـن اختـاره المصريـون!.

أمـوال (مـصر) لشـعب (مـصر) وغـلال (مـصر) حـق لأهلهـا ليـس لكـم ولا حتـى لـ(تَدْمُـر) فيهـا شيء، ومـن يحتـاج قنطـارا فليدفـع ثمنـه لأصحابـه أولا ويأخـذه برضاهـم.. فأنـا لـن أمنعهـم أن يبيعوكـم غلالهـم ولكـن بثمـن مـرض وعـادل.

ابتسمت (زنوبيا) وهي تكمل بهدوء:

- كنـت تقـول أيضـا أن إمبراطوركـم يسـتاء مـن صـكي نقـودا ذهبيـة تحمـل رسـم وجـه ابنـي الملـك (وهـب الـلات) ووجهـي في الجهـة الأخـرى، وأنـا أرد عليـه في المقابـل أني أسـتاء مـن أن يصـك في (رومـا) نقـودا تحمـل وجهـه!.

تجهـم (ماكسـميان) وكتـم (لونجينـوس) ضحكـة كادت تنفجـر رغـما عنـه فقالـت (زنوبيـا) مكملـة حديثهـا:

- فإن كان لا يحق لي ذلك فلا يحق له أيضا يا(ماكسميان).

رد (ماكسميان) وقد احمر وجهه وعجز عن الرد:

- إنكم هكذا تسعون للانفصال الرسمي عن (روما) يامولاتي!.

ضحكت حتى جلجل صوت ضحكتها في القاعة وقالت:

- ههههههههه.. نحـن منفصلـون بالفعـل يا(ماكسـميان).. لم نكـن تابعـين لـ(رومـا) منـذ سـنوات طويلـة مضـت وإن كنتـم لا تعـون ذلـك فهـذا خطؤكـم وشـأنكم وحدكـم ولا يعنـي هـذا أني مسئولة عـن سـوء فهمكـم وعـدم إدراككم للأمـور مـن حولكـم وإلى أيـن آلـت.

وقف (ماكسميان) غاضبا هو ووفده وقال:

- إنك تغلقين الطريق بيننا لأي مفاوضات ياجلالة الملكة.

وقفت وأشارت له بالرحيل من القاعة وهي تقول بقوة ونظرة نارية:

- بـل أغلـق أي طريـق أخـسر فيـه شـبرا واحـدا مـن مملكتـي أو أتنـازل فيهـا عـن قطعـة ذهبيـة واحـدة لصالـح (رومـا) مـن نقـود أهـلي وشـعبي.

أشـارت بحـزم تجـاه البوابـات التـي فتحهـا الجنـود لحظـة رؤيتهـم إشـارتها وقالـت بقـوة:

- انتهـت المقابلـة، وبلغـوا إمبراطوركـم رسـالتي باختصـار.. إمـا الصداقـة والجـيرة بـين الإمبراطوريتـين أو العـداوة والحـرب...

الخيار له الآن..

***

الفصل الحادي والعشرون

(٢٧٢م) - مملكة (تدمر)

دخـل (بيلينـوس) قاعـة العـرش يهـرول بعـد أن طلـب اجتماعـا سريعـا لسـيناتورات مجلـس الشـيوخ الذيـن صـاروا خمسـا وهـو يـصرخ:

- الرومـان يحـاصرون (الإسـكندرية) الآن يامـولاتي، ويقذفـون كـرات النـار عـلى بيـوت المواطنـين العـزل.

كان هـذا هـو رد (أورليـان) بعـد عـام واحـد مـن الصمـت بعـد ردهـا النـاري عـلى رسـله، فقالـت (زنوبيـا):

- وأين جيشنا بمصر يا(بيلينوس)؟.

- عـلى وشـك الانهيـار يامـولاتي، فهـو مجـرد حاميـة صغـيرة لم تصـل حتـى إلى كتيبـة جيـش كاملـة.. فـلا تنـسي أننـا دخلنـا (مـصر) دون حـرب مـن الأسـاس وليـس لنـا فيهـا أعـداء.

فقال (لونجينوس) وهو يحاول فاشلا أن يتحكم في أعصابه:

- وهـل هـذا مـبرر أيهـا القائـد المحنـك؟ نـترك (مـصر) دون جيـش يحميهـا وأنـت تعـرف أننـا عـلى أعتـاب مواجهـة قاسـية مـع (أورليـان) وأن صمتـه لـن يطـول.. (مـصر) هـي رمانـة ميـزان القـوى بالنسـبة لـه.. ثـم إنـك لسـت قليـل الخـبرة الحربيـة لتفعـل تلـك الحماقـة وتـترك فرصـة لـ(أورليـان) لاسـترداد (مصر) دون جيـش يحميهـا.

قالت (زنوبيا) وغضب العالم يحتشد أمام عينيها:

- أرسـل فـورا فيلقـا كبـيرا مـن الجيـش بقيـادة القائـد (ذُبـدة) إلى (مـصر) لـرد

الرومانيـين يا(بيلينوس)..

لا تتركها لهم..

أصلح هذا الخطأ فورا..

خذ كل جيشنا واتجه إلى (مصر) فورا وأنا سأكون على رأس الجيش.

فقال (لونجينوس) مفكرا بصوت عالٍ:

- مـولاتي، ومـاذا إذا كانـت تلـك خدعـة مـن (أورليـان) لعلمـه بأننـا تركنـا (مـصر) نقطـة ضعـف دون حمايـة فحاصرهـا ليجتـذب جيشـنا إلى (مـصر) ثـم يهاجـم (تَدْمُـر) مـن الشـمال مـن سـواحل (البسـفور) بعـد تأكـده مـن خلوهـا مـن الجيـش واتجاهـه ناحيـة (مـصر)، إن ذلـك هـو الاتجـاه الأقـرب لـ(رومـا).. فكـري في كل الاحتـمالات يامـولاتي.

وقفت (زنوبيا) وقد بدا عليها الخوف من كلام (لونجينوس) وقالت:

- وهـل أتـرك لـه (مـصر) يا(لونجينـوس) من أجـل مخـاوفي أن يهاجـم (تَدْمُر) مـن الشـمال.. لقـد حدثـت نقطـة الضعـف بالفعـل وتُركـت (مـصر) دون جيـش يحميهـا ويجـب معالجـة الأمـر فـورا، مـاذا عسـاي أن أفعـل الآن سـوى التمسـك بـ(مصر)؟.

إن أخذها فسيكون قد امتلك القوة من جديد..

فقال (بيلينوس):

- مولاتي اسمحي لي أن أتحدث إليك على انفراد دقيقة..

نزلـت مـن فـوق عرشـها واتجهـت معـه لمجلـس صغـير جانبـي داخـل قاعـة العـرش لتسـمع مايقولـه بعيـدا عـن مسـامع باقـي المجلـس؛ فقـال وهـو يرمـق باقـي عيـون أعضـاء المجلـس المتطفلـة:

- (زنوبيـا).. سـأكون صريحـا لأبعـد حـد فـلا يوجـد وقـت نضيعـه في الهـراء.. إذا وافقتـي أن أتزوجـك اليـوم وليـس غـدا وأكـون ملـكا عـلى البـلاد مـن اليـوم إلى جـوارك أنـت و(وهـب الـلات) سـأضمن لـك النـصر على(أورليـان) مـن بعـد الغـد.. نـصر سـحيق وأعـدك أن لا يتمكـن لا مـن (مـصر) ولا مـن شـبر واحـد من أرض (تَدْمُـر) وأي مملكـة تابعـة لنـا وربمـا أجلسـك عـلى عـرش (رومـا) نفسـها إن وافقتـي الآن.. أريـد جوابـك الآن وفـورا لآخـذ قـراري أنـا الآخـر بمـا يناسـب مصلحتـي.

كان جوابها أسرع مما يتخيل..

نـزل كفهـا عـلى وجهـه يصفعـه لـيرج القاعـة بقـوة، وهبـت (زنوبيـا) صارخـة بـه وعيناهـا تطلقـان شرر الغضـب فالتفـت الحضـور إليهـما:

- ويحك يا (بيلينوس) أنت جننت أيها القذر؟

تسـاومني بعرضـك الوقـح عـلى قيـادة الجيـش في الحـرب مقابـل الـزواج والعـرش أو تهـددني بالتخـلي عـن الجيـش.. أهـذا ماكنـت تريـده!.

سحبت سيفها ووضعته على رقبته وهي تقول بغضب العالم:

- (بيلينـوس).. أغـرب عـن وجهـي الآن وفـورا وإلا سـتطير رقبتـك.. ومـن الآن يتـم تعيـن القائـد (ذُبـده) قائـدا عامـا للجيـوش بـدلا منـك، وأقسـم أن لـولا تاريخـك المـشرف مـن انتصـارات مـع الجيـش منـذ عـصر (أذينـة) لكنـت أعدمتـك فـورا ودون محاكمـة عقابـا عـلى عرضـك هـذا بتلـك الطريقـة وبذلـك الشـكل الوقـح.

كان صوتهـا العـالي يزلـزل المـكان ويربـك أعضـاء مجلـس السـيناتورات الذيـن هبـوا ناحيتهـما إلا المعلـم الحكيـم (يوليـوس) الـذي جلـس يـرى مايحـدث وهـو يعبـث بلحيتـه الطويلـة البيضـاء وقـد فهمـوا مـادار مـن ردهـا وأزاحـوا السـيف مـن عـلى رقبـة (بيلينـوس)، فلاحقهـم (ثاديـوس) كبـير الكهنـة قائـلا:

- مـولاتي.. مـن المؤكـد أن هنـاك سـوء تفاهـم كبـير.. لا يمكـن أن يسـاوم (بيلينـوس) عـلى قيـادة الجيـش في فـترة الحـرب.. هـو سـيعتذر لـك فـورا.. إنـه أفنـى عمـره في خدمـة (تَدْمُـر) ولـه عليـك حـق الشـفاعة يـا مـولاتي بعـد ماقدمـه لـ(تَدْمُـر) لعقـود مضـت، ولنتحاسـب بعـد انتهـاء المعركـة عـلى الأخطاء التـي صـدرت منـه، فهـو لـن يـترك قيـادة الجيـش في هـذا الوقـت وليـس هـذا وقـت فرقـة وخلافـات داخليـة تحـدث بيننـا.

قال (بيلينوس) وهو ينزل على ركبته راكعا أمامها دامعا كتمساح ماكر:

- السـماح يامـولاتي.. السـماح والعفـو ورقبتـي تحـت أمـرك إن لم تغفـري لي تطـاولي فاقطعيهـا.. فلـم أكـن لأسـاومك أبـدا.. كان طلبـا غبيـا ولم أحسـن اختيـار ألفاظـي وأنـا أقدمـه، ولا التوقيـت ففهمتينـي خطـأ.. لا تحرمينـي مـن قيـادة الجيـش في أصعـب الأوقـات يامـولاتي واقبـلي اعتـذاري وتذكـري معـاركي وفتوحـاتي في عهـد ملـك الملـوك (أذينـة) ومعـك حتـى أصبحـت (تَدْمُـر) عـلي يـدي أقـوى الممالـك عـلى وجـه الأرض.

تركت (زنوبيا) المجلس وهي ترمي بردائها خلفها غاضبة قائلة:

- انتهي المجلس.. ارحلوا جميعا.

فتابعها (بيلينوس) بنظره وهي ترحل وهو يتمتم بصوت غير مسموع:

- سـتأتي لي زاحفـة راكعـة عـما قريـب يـا (زنوبيـا) أيتهـا المغـرورة.. وسـأجعلك جاريـة تحـت قدمـي في بـلاط مملكتـي قريبـا عندمـا أصبـح أنـا الملـك (بيلينـوس) وأنـت أسـيرة ذليلـة.. لقـد كان هـذا اختيـارك إذن..

وستدفعين الثمن.

***

الفصل الحادي والعشرون

ترك (إياد) سيارته وهرول إلى بيت العصافرة الذي كان يسكنه (سعيد بدير).. وصعد مسرعا إلى الدور الثالث حيث قالت (زينب) حين قابلها أن شقتها به يلحق به قوة من الشرطة معهم إذن نيابة للاقتحام والتفتيش أملا أن يجد أي خيط بمنزل(زينب).

كسر (إياد) باب الشقة الذي من المفترض أن تقطنها (زينب) ليجدها خاوية..

لا أثر لإقامة بشر أحياء بها..

لا يوجد بها أي أثاث يدل على إقامة أي شخص..

لا يوجد سرير أو موقد أو صحون أو حتى زجاجة مياة أو أكواب..

المطبخ خاو..

هناك فقط ملابس متناثرة..

أدوات تجميل..

بعض العملات كالتي وجدها من قبل ملقاة على الأرض!.

وجد بأحد الغرف الخاوية ثوبين بالطراز الروماني إحداها يخص شخصا بالغا نوعا ما، والآخر صغير الحجم يخص طفل، كانا ممزعا النسيج وفهم بالطبع أنهما يخصان الصبي والطفل وأحدهما هو الذي مزقه بنفسه حين كان حجرا وكسره.. حرزهما وناولهما لأحد الضباط وأكمل تفتيشه ليجد ختما غريب الشكل.. ختم يحمل وجه امرأة واسم مكتوب معكوسا بلغة غريبة تشبه تلك التي كانت منقوشة بداخل الصخرة.. اللغة الآرامية.

- ما الذي أتى بتلك الأشياء ببيت (زينب)؟.. هل تسرق المتحف أم أنها متورطة في كل ماسبق!.

خرج (إياد) من الشقة ليأخذ أقوال الجيران خصوصا الصبي (عبد الوهاب) الذي كان عائدا برفقتها، فكان من الواضح أنه يعرفها جيدا وعلاقتها به جيدة حيث قالت (زينب) أنه ابن جارتها..

قالت الجارة التي تقطن بالشقة المقابلة وكانت تجلس متوترة تتلفت في فزع من كم الضباط والجنود الذين انتشروا في البناية البسيطة الفقيرة:

- أنا ليس لي أبناء سوى ابنتي (سلوى) بكلية الطب.. (عبد الوهاب) هذا ابنها هي وليس ابني.. إن تلك المرأة (زينب) منذ أن أتت كانت صامتة لا تتحدث كثيرا ولم يزرها أحد من الجيران من قبل ولم تكن ترد حتى السلام إلا مع أستاذ (سعيد بدير) رحمه الله الذي كان الوحيد الذي تتحدث وتضحك معه كثيرا هي وزوجها.. ذلك الرجل الملتحي الوسيم الذي يقيم معها.. ثم ومنذ شهر واحد فقط انضم لهما صبي وسيم بين الخامسة عشر والسادسة عشر من العمر قالت أنه ابنها واسمه (عبد الوهاب) وكان يقيم مع خاله.. لقد كانوا موجودين بالشقة حتى صباح اليوم رأيتهم من الشرفة يرحلون بسيارتهم النصف نقل وكان معهم طفل آخر صغير لا أعرفه ولم أره من قبل معهم.

من الواضح أن السيدة لا تكذب..

ومن الواضح أن (زينب) لها أسرة وتكذب فيما يخص فقدانها الذاكرة.. ومن الواضح أن لها علاقة ما بالتماثيل وبكل الجرائم .. ومن الواضح أنها خدعتهم جميعا.

***

عاد (إياد) سريعا إلى مديرية الأمن وأصدر أمرا عاجلا لأحد الضباط

بالكشـف عـن آخـر رقـم اتصـل بهاتـف دكتـورة (أمـيرة) وأن يتتبعـه عـن طريـق شركـة الاتصـالات ومعرفـة مكانـه الآن..

أخـذ (إيـاد) يبحـث بسرعـة في الكتـب التاريخيـة الموضوعـة عـلى مكتـب (أمـيرة) بمديريـة الأمـن ويقلـب في الأوراق التـي كانـت (أمـيرة) تطبعهـا عـبر الطابعـة عندمـا تجـد معلومـة مهمـة عـلى الإنترنـت.. كانـت تعبـث بالقلـم وهـي شـاردة تقرأهـا بتركيـز وحتـى قبـل المكالمـة بدقائـق كانـت تفكـر وتكتـب معلومـات توصلـت إليهـا.

وجدهـا تكـرر كتابـة أسـماء معينـة عـلى أطـراف الأوراق وهوامـش الكتـب مـما يـدل أنهـا كانـت تفكـر في شيء مـا يخصهـم وتضـع دائـرة عنـد معلومـات تخـص نفـس الأسـماء الغريبـة في الأوراق والكتـب.. أخـرج (إيـاد) سريعـا ورقـة بيضـاء وقلـما وبـدأ يكتـب الأسـماء التـي كانـت (أمـيرة) تكتبهـا وتصنـع دوائـر عديـدة عـلى أسـمائهم.

كانـت الأسـماء مكـررة في أكـثر مـن مصـدر ومـع كل تكـرار تعيـد (أمـيرة) العلامـات..

(زنوبيا)..

(أذينة)..

(وهب اللات)..

(لونجينوس)..

(لورنتياس)..

(بيلينوس)..

(حيران الثاني)..

(أورليان)..

(يوليوس)..

(ماكسميان)..

(فاليريان)..

(جالينس)..

(شابور)..

- من هؤلاء يا (أميرة)؟ فيم كنت تفكرين؟.

قالها بصوت عالٍ مستغربا وهو يرفع الورقة أمام عينيه..

جلس مسرعا إلى جهاز الحاسب الآلي وقلبه تتسارع دقاته وأخذ يشاهد المشاهد التي سجلتها كاميرات المراقبة في الليلة السابقة بالإضافة إلى اللقطات المسجلة اليوم لخطف (أميرة) و(زينب) ليتأكد أن الرجل الخاطف هو نفسه القاتل بالمتحف قبل ليلة ثم اتسعت عيناه فجأة وهو يشاهد الوقت والتاريخ على تسجيل قبو المتحف.. بعد أن عرف أن (زينب) شريكتهم.

ثم فتح هاتفه ولاحظ أمرا ملفتا للنظر غريبا بسجل المكالمات لديه في اليوم السابق.

إن مكالمته لـ(عبد العزيز العبيدي) بالأمس كانت في نفس وقت اتصال (زينب) للاستنجاد بـ(أميرة) قبل حدوث الجريمة بالمتحف.. وكانت أصواتهم تتقاطع أثناء حديث كل منهم بهاتفه.

مكالمته لـ(عبد العزيز) كانت في التاسعة وعشر دقائق.. وتلقّى بعدها مكالمة أمنية وهو في الطريق إلى المتحف في تمام التاسعة وعشرين دقيقة، أي قبل وصوله بدقائق.

أعاد النظر إلى شاشة الحاسب الآلي مرة أخرى بحماس وأدار المشهد

الصامت لدخول (زينب) القبو مع الرجل الملتحي واختبائها لمحادثة (أميرة) وحتى انقطاع تسجيل الكاميرات ليجد التسجيلات تشير إلى الساعة الثامنة وخمس دقائق.

قال لنفسه وعينه تزداد اتساعا بفزع وهو ينقل بصره بين الهاتف وجهاز الكمبيوتر:

- عندما اتصلت (زينب) لتستنجد بنا كنا بالمتحف بعدها بربع ساعة تقريبا.. حقا كيف تمت الجريمة بتلك السرعة؟.

فأردف بصوت مسموع صارخ بفزع:

- نحن وقعنا في فخ غبي.. إن كاميرات المراقبة تسجل محاولتها الاتصال بـ(أميرة) والاستنجاد في الساعه الثامنة وخمس دقائق ثم تم إيقاف الكاميرات بعدها بينما المكالمة الحقيقية حدثت في التاسعة وعشر دقائق.. هذا يعني أننا نشاهد مشهدا تمثيليا صامتا تم تصويره عن عمد قبل حدوث المكالمة الحقيقية بساعة كاملة لتعطي الفرصة للجناة لإتمام الطقوس وجريمة القتل ونقل التمثال الخامس ..

إن (زينب) تمثل مشهدا تعلم تمام العلم أنه يُسجل ويصور بكاميرات المراقبة التي تعلم أماكنها في المتحف بحكم أنها تعمل به لنرى ذلك المشهد فيما بعد ولتوثق به قصتها مع الشاب الملتحي الذي استدرجها لفتح القبو وضربها.. وتظهر كضحية لا شريكة.

ما أراه بالتسجيل ليست المكالمة الحقيقية..

وبالطبع هي تمثل أيضا في المشهد الآخر الذي سُجل خارج المتحف في الصباح عند خطفها لعلمها بوجود كاميرات ولم تخطف هي الأخرى.. بل استدرجت (أميرة) لكي تُخطف!.

قال (إياد) بانفعال وكأنه قد جن وهو يحدث نفسه بصوتٍ عالٍ:

- إن (زينب) متورطة معهم وليست مجني عليها.. إنها هي من تدير كل شيء.

إنها متهمة..

بل هي.. قائدهم!.

أسرع يبحث وسط الصور التي التقطها بهاتفه عقب جريمة مقتل المجند بالأمس لمسرح الجريمة ليجد إحدى الصور تظهر فيها (زينب) في الخلفية بوضوح؛ فأرسلها إلى (عبد العزيز العبيدي) عبر الواتساب وهو يكتب رسالة تحت الصورة:

- عبد العزيز هل تعرف تلك السيدة؟.

أرسل الرسالة وهو يقول لنفسه:

- إن صح ما أفكر فيه الآن؛ فقد وجدت الرابط بين (ماهر) و(أحمد عبد الله) و(سعيد بدير)..

سرعان مادق هاتف (إياد) ليجد (عبد العزيز) يحدثه بفزع وهو يصرخ بعصبية:

- إنها هي.. إنها هي ياباشا.. هي من كانت داخل الصخرة وأوهمتني أنها (ماهر).. هي نفس السيدة التي قتلت (ماهر) وكانت ترتدي ملابسه داخل الصخرة ..

تنفس (عبد العزيز) بسرعة وهو يقول:

- أنا في طريقي إليك بالفعل ياباشا لأمر هام آخر.. دقائق وأكون عندك بالمكتب بـ(الإسكندرية) .. أعطهم أمرا ليسمحوا لي بالدخول إلى مكتبك أرجوك.. على وجه السرعة.. الأمر سينتهي بإذن الله.. سأنهي الأمر ياباشا كما بدأته. إن لي ثأر خاص مع تلك المرأة.. ثق في.. أستطع القضاء عليها

هـي ومـن معهـا بمـا أملـك الآن!.

- في انتظارك!.

أغلق (إياد) الهاتف قبل أن يدخل ضابط إلى المكتب قائلا:

- أحمـل لـك خـبرا عجيبـا أيهـا المقـدم (إيـاد).. إن آخـر رقـم حـدث دكتـورة (أمـيرة) عـبر الهاتـف في الصبـاح هـو نفسـه رقـم هاتـف (أحمـد عبـد اللـه).. المجنـي عليـه في قضيـة المتحـف الرومـاني!.

انتفض (إياد) وقال:

- إن الهاتـف مختـفٍ منـذ قتلـه، حيـث وجـدت جثتـه عاريـة ولم يكـن معـه أي مـن متعلقاتـه الشـخصية ومـن المتوقـع أنـه بحـوزة التماثيـل المتحولـة.. هـل تتبعتـم الهاتـف؟.

- نعـم.. الهاتـف وجدنـاه اسـتقر بحـي (بـين السرايـات) بـ(القاهـرة)، ثـم تـم إغلاقـه قبـل أن نتمكـن مـن رصـد المـكان بدقـة.

فكـر (إيـاد) سريعـا.. كان عقلـه كحاسـب آلى يعقـد عمليـات حسـابية سريعـة.. وهـو يكـرر:

- (بين السرايات)..

(القاهرة)..

(زينب) هي نفسها امرأة الصخرة التي قتلت (ماهر)..

(زينب) تتحدث من هاتف (أحمد عبد الله) وصديقته المقربة..

(زينب) جارة (سعيد بدير) وتتودد إليه..

(زينب) تعمل في المتحف الذي يحرسه فرد الأمن المقتول..

و(زينب) هي نفسها التمثال الأول المتحول وهي من تدير كل الأمر..

علـى الفـور نهـض (إيـاد) إلى مكتـب مديـر أمـن (الإسـكندرية) ليطلعـه علـى التطـورات السريعـة التـي حدثـت وانتقـال الأحـداث مـن (مطـروح) إلى (الإسـكندرية) والآن إلى (القاهـرة)، ثـم عـاد مسرعـا ليجمـع أغراضـه مـن مكتبـه اسـتعدادا لرحيلـه إلى (القاهـرة).

ظهـر (عبـد العزيـز العبيـدي) عنـد البـاب في تلـك اللحظـة وهـو يتصبـب عرقـا ويلهـث لالتقـاط أنفاسـه وهـو يقـاوم جنـود الحراسـة ويحـاول الدخـول إلى (إيـاد) الـذي أشـار لهـم أن يتركـوه يعـبر وهـو يحمـل لفافـة ضخمـة مـن الأنسـجة الكتانيـة البنيـة الباليـة القديمـة ويحتضنهـا:

- أيـن هـي يـا باشـا.. أيـن هـي تلـك القاتلـة القـذرة المجرمـة.. قاتلـة (ماهـر)؟.

لم يجـب (إيـاد) عليـه ولكـن قـال لـه وهـو يهـم بأخـذ هاتفـه ومفتـاح سـيارته مـن علـى المكتـب سريعـا:

- إنهـم بـ(القاهـرة) الآن يـا (عبـد العزيـز).. عـد إلى (مطـروح)، ليـس لوجودك فائدة!.

دمعـت عينـا (عبـد العزيـز) وهـو يمسـك معصـم (إيـاد) متوسـلا وبيـده الأخـرى يحمـل لفافتـه الضخمـة:

- أرجـوك يـا باشـا.. خـذني معـك.. أقسـم لـك أني سـأنهي الأمـر بمـا أحملـه في هـذه اللفافـة..

وأشـار إلى اللفافـة القديمـة التـي يحملهـا، فنظـر لـه (إيـاد) مشـفقا وقـد عـاد لـه الشـك أن (عبـد العزيـز) فقـد جـزءا مـن عقلـه بعـد كل مـا مـر بـه.

فقال له (إياد):

- هذه اللفافة البالية ستنهي أمرهم؟ ماذا بها؟ افتحها!.

- لا أستطيع فتحها.. لا أستطيع ياباشا..

اقترب (عبد العزيز) من (إياد) وقال هامسا بأذنه وهو يدور بعينيه في المكتب:

- أنا نفسي لن أستطع رؤية مابداخلها ياباشا!.

صمت (إياد) وهو ينظر للرجل بشفقة وقد تأكد من أن عقله قد أصابه ضرر حقيقي، فقال (عبد العزيز):

- بالله عليك خذني معك يا باشا؛ لست مجنونا كما تظن.. بداخلي نار وثأر خاص تجاه تلك المرأة التي سرقت روح وذكريات وجسد (ماهر).. أرجوك خذني معك.. وإن لم أفدك فلن أضرك.. ولكن أعدك أني قادر على إنهاء الأمر، وسترى بنفسك .. ثق بي أرجوك.

فأشار (إياد) بوجهه موافقا وهو يشعر بالشفقة على نفسية (عبد العزيز) والمعزة الخاصة التي يحملها للرجل منذ أن قابله في المصحة.. فهو كان دوما مفتاح حل ألغاز تلك القضية ..

هكذا هرول (عبد العزيز) خلفه حاملا لفافته.

***

الفصل الثاني والعشرون

مملكة (تدمر) – (٢٧٣م)

عرفـت (بيلوديـكا) ماحـدث باجتـماع سـيناتورات مجلـس الشـيوخ بـين (بيلينـوس) و(زنوبيـا) مـن والدهـا الكاهـن (ثاديـوس)، فثـارت وتخفـت بـرداء الخـدم وهرولـت تجـاه بيـت (بيلينـوس) ودخلـت مـن سرداب سري يـؤدي إلى غرفـة نومـه لا يعرفـه شـخص سـواها وهـي تحمـل سـيفها بـين طيـات ثيابهـا وغضـب العـالم يتراقـص أمـام عينيهـا؛ فوجدتـه يقـف أمـام المدفـأة يلتهـم دفـء نارهـا في تلـك الليلـة البـاردة، فهجمـت عليـه مـن الخلـف قائلـة وهـي تضـع السـيف عـلى رقبتـه في وضـع النحـر:

- سـأقتلك يـا (بيلينـوس).. سـيفي سـيفعل مـا لم يفعلـه سـيف (زنوبيـا) في الصبـاح!.

إلى متـى سـتخدعني! إلى متـي سـيضيع عمـري في حـب كاذب! إلى متـى يسـتمر هـذا الوهـم.. فأنـا حتـى لا أعـرف حقيقـة مشـاعرك تجاهـي..

بكت وتراخت يدها ولم تقوَ على إكمال جدية تهديدها وهي تقول:

- مـاذا تريـد منـي! أضعـت سـنوات عمـري كدميـة تحركهـا لمصلحتـك فقـط.. أيـن مصلحتـي أنـا؟ لثـاني مـرة أعـرف أنـك تحبهـا هـي وتريدهـا هـي لا أنـا.. مـاذا أمثـل لـك أنـا؟!.

عادت لتشد السيف على رقبته ويعود صوتها للقوة وهي تقول:

- أكرهـك يـا (بيلينـوس).. عشـت سـنوات عمـري أنفـذ مـا تريـده أنـت لا مـا أريـده أنـا.. هـل فكـرت يومـا فيـما تريـد (بيلوديـكا) التـي ظلـت تضحـي وتضحـي وتتنـازل مـن أجلـك..

تزوجت من تريده أنت لا أنا وأصبحت جاسوسة على زوجي لمصلحتك..

مـاذا لـو كان اكتشـف (هـيرودس) أو أي شـخص علاقتنـا يومـا؟ كانـت ستضيع رقبتـي كزوجـة خائنـة وأنـت تتغـزل وتتذلـل لـ(زنوبيـا) التـي أهانتـك أمـام المجلـس وكادت تقتلـك وهـي ترفضـك، ولـولا تدخـل والـدي لكانـت قطعـت رأسـك أيهـا العاشـق الذليـل.. لمـاذا تعـدني بالحـب وأنـت تحبهـا! لمـاذا أعيـش حيـاة لا أطيقهـا مـن أجلـك..

وأنت بالأساس لا تحبني..

سأقتلك!.

أفلـت مـن قبضتهـا بسرعـة وأوقـع السيـف مـن يدهـا وتناولـه بيـده الأخـرى بحركـة محترفـة قتاليـة وأسـقطها أرضـا وجثـا عـلى ركبتـه يثبتهـا أرضـا ويضـع سيفه عـلى رقبتهـا وهـو يقـول لهـا بغضـب:

- أيتها المخبولة الغبية.. من تلك التي أحبها! هل صدقتِ أنني أحب!

أنـا لا أحـب أحـدا يا(بيلوديـكا).. لا أحـب أحـدا.. أنـا أحـب (بيلينـوس) فقـط!.

ربما أحب العرش وأحب امتلاك قوة (زنوبيا) وجمالها ولكني لا أحبها..

ولا أحبك!.

الحب ضعف وأنا (بيلينوس) القوي..

أنا لا أحب.

حاولـت التملـص منـه فضربهـا بقبضـة يـده عـلى وجههـا وسـالت الدمـاء مـن أنفهـا وفمهـا والسـيف لازال عـلى رقبتهـا وأكمـل وهـو يقبـض بـين فكيـه فيخرج صوتـه مصحوبـا بصـوت جزّ اسـنانه:

- لقد اتفقت مع الإمبراطور (أورليان) وسوف أسلم له من الغد (زنوبيا) وجيش (تَدْمُر) في مقابل أن يجعلني ملكا على مملكة (تَدْمُر).. جيش (ذُبدة) سيباد وهو في الطريق إلى (مصر) وقد أخبرت (أورليان) بالطريق الصحراوي الذي سيسلكونه إلى (مصر)، وهو ينتظرهم برماة يختبئون أعلى جبلين سيمر الجيش في ممر بينهما ليطوقهم ويبيدهم قبل الوصول إلى (مصر) لحظة مرورهم بين الجبلين، وسيهجم بفيلق ضخم أخر من الشمال الخالي من الجنود والذي صنعت له بالجيش ثغرة رهيبة تجعله يدخل إلى (تَدْمُر) بأمان وسهولة ويدمر الجيش ليفاجىء (زنوبيا) بوجوده.. هذا بعد ما تركت له (مصر) هدية وعربون اتفاق دون جيش يحميها.

كانت (بيلوديكا) صامتة صدرها يعلو ويهبط بعنف وهي تسمعه وعيناها متسعتان وهو يكمل بقوة:

- جيش (تَدْمُر) القوي الذي ظل لسنوات وسنوات مصدر قوتها تحت قيادتي أنا سينهزم خلال أيام بفضل خطتي أنا أيضا.. والثغرات صنعتها لـ(أورليان) بنفسي وأطلعته عليها في مقابل أنه سيجلسني على العرش كملك كما وعدني بمجرد أن يتسلم المملكة.. وسيقطع رؤوس كل عائلة (أذينة).

ضحك بجنون وأكمل:

- عندما عرضت عليها الزواج اليوم كانت آخر فرصة لأجلس على العرش بسلام دون أن أشارك (أورليان) في الحرب وأن أصير ملكا على (تَدْمُر) و(تَدْمُر) بكامل قوتها وقوة جيشها، ولكنها أصرت بغرور على الرفض ولها ذلك..خرجت من القصر لأرسل إلى (أورليان) فورا كيف وأين يلتقي بـ(ذُبدة) والجيش التدمري ومن أين يهجم على (تَدْمُر) من الشمال.. سأجلس على العرش و(تَدْمُر) تحت راية الجيش الروماني.. ولن يفرق معي ذلك على كل حال فالعرش واحد في النهاية حتي وإن اختلفت الرايات. أنتم من فقدتم الفرصة لنجاتكم ليس أنا.

قالت (بوديكا) وهي تبلع ريقها برعب: إنك تسلم (تَدْمُر) للرومان.. تسلم جيشك ل(أورليان)؟.

قال بعنف: نعم أسلمه لأستلم العرش وأكون الملك.. فلا يهمني سوي العرش!.

ثم ملس على شعرها الذهبي بحنان وقال:

- وتقديرا مني لخدماتك طوال السنوات الماضية وحتى لا تقولي عني أني ناكر الجميل، فلن أتركك أسيرة لدى الإمبراطور (أورليان) ليحولك إلى جارية في بلاط الإمبراطورية كأحد أفراد عائلة (أذينة)، ولا سأترك رأسك الجميل يزين أسوار قلعة (تَدْمُر).

احتضنها ثم باغتها بنحر رقبتها وهو يقول: سأقتلك بيدي ياصغيرتي الجميلة.. وأصنع لك جميلا أخيرا.

***

هجم جيش الرومان بقيادة (أورليان) واحتل كل المناطق الشمالية حتى وصل إلى (أنطاكية) بمنتهى السهولة بعد أن أبيد جيش (ذُبدة) المتجه إلى (مصر) عن بكرة أبيه قبل أن يصل إلى (الإسكندرية) ودخل (أورليان) الممالك بجيشه ليقتل العجائز والنساء والأطفال دون رحمة ولتصل حكايات المذابح التي حدثت في (أنطاكية) إلى كل أرجاء الممالك التدمرية وتثير الفزع والهلع.

أدركت (زنوبيا) فورا الخيانة التي تتم في صفوف جيشها من القائد (بيلينوس) وتأكدت أن عرضه في ساعة الشدة للزواج لم يكن إلا مساومة حقيرة مقصودة بالفعل كما فهمتها ليس كما أنكر.

حضر (لونجينوس) إلى (زنوبيا) مسرعا عند علمه بما حدث في (أنطاكية) وقال:

- مـولاتي، إن مايحـدث ليـس هزيمـة.. نحـن لا نحـارب مـن الأسـاس، جيشـنا يبـاد دون أن يحـارب الرومـان.. الأمـر لـن يأخـذ إلا سـاعات وينتهـي.

- أعلـم.. أعلـم أن مايحـدث الآن هـو خيانـة يـا (لونجينـوس).. (بيلينـوس) خـان (تَدْمُـر).. إن (أورليـان) يعلـم كل شيء عـن جيشـنا.. يعلـم نقـاط ضعفـه ونقـاط تمركـزه ومـن أيـن يقتـل الجنـود ويبيدهـم دون أن يتكلـف هـو جنديـا واحـد.. هنـاك ثغـرات صنعـت بالجيـش عمـدا.. وقـد اختفـي (بيلينـوس) منـذ الأمـس هـو والكاهـن (ثاديـوس).

إن (أورليـان) يحاربنـي الآن بقائـد جيـشي الحقـير الخائـن الـذي سـاومني عـلى الـزواج مقابـل عـدم خيانتـي وخيانـة وطنـه.

قال (لونجينوس):

- الكارثـة تكمـن في أن الجيـش منـذ سـنوات وسـنوات تحـت قيادتـه.. يعلـم كل شـق يوجـد بـه جنـدي تدمـري.. ولا يوجـد أي مجـال لتغيـير أي شيء في الحصـون أو الأسـلحة ولا السراديـب والمخـابئ التـي أُنشـئت منـذ عقـود.. إننـا بالفعـل بدأنـا الحـرب ونحـن عرايـا مكبلـون ومكممـون أمـام الرومـان!.

ردت (زنوبيا) بصوت يملؤه اليأس:

- سـأقود الجيـش بنفـسي يـا (لونجينـوس) وسـأحارب حتـى آخـر قطـرة دمـاء وبـكل مـا أوتيـت مـن قـوة.. أعلـم أن فرصتنـا للنجـاة سـتكون معدومـة خصوصـا بعـد انضـمام (بيلينـوس) الحقـير لصـف (أورليـان)، وبعـد أن خـرب صفـوف الجيـش قبـل رحيلـه وعمـل عـلى إفسـاد كل مواقـع التمركـز وقـضى عـلى كل قيـادات الجيـش التـي كان مـن الممكـن أن يحـل أحدهـم محلـه.

خلعت سيفها من موضعه واكملت:

- سـأموت حاملـة سـيفي في أرض المعركـة يـا (لونجينـوس).. سـأموت ملكـة محاربـة لا أسـيرة.

وضع (لونجينوس) كفيه على وجهه في يأس ثم رفع عينيه مرة أخرى إلى (زنوبيا) وعيناه يتحجر فيهما الدموع:

- لن أتركك للموت يا(زنوبيا).. سنحارب ولكن لن أتركك للموت.

***

اتجهت (زنوبيا) بالجيش إلى حصن (حِمْص) لتلتقي (أورليان) في حرب بذل فيها جيش (تَدْمُر) كل قواه، ولكن في الحروب تكون للخيانة الكلمة العليا على الشجاعة..

تراجعت فورا إلى قلعة (تَدْمُر) عندما تأكدت من هزيمة جيشها وموت العديد من الجنود دون مواجهة حقيقية؛ فحقنا لدماء المتبقين من فرسانها أمرت بالانسحاب إلى (تَدْمُر).

وضعت (زنوبيا) المجانيق على أسوار مدينة (تَدْمُر) للدفاع عن المملكة ضد جيوش (أورليان)..

أغلقت كل الأبواب وصار الحصار قويا وأكدت على تخزين الحبوب والغلال لما يكفي للشعب.. فجيش الرومان يحيط بالأسوار من الخارج وهي وشعبها بالداخل!.

- كم من الوقت سيكفينا الطعام؟.

رد الوزير (لورنتياس):

- أقل من شهر يامولاتي..

- إذن فنحن هالكون.. إن لم يكن بالحرب سيكون بالحصار والجوع!.

- اهربي يامولاتي!.

- لن أفعل!.

رد (لونجينوس) الصامت الشارد:

- إنه كلام العقل يامولاتي.. اهربي.. (لورنتياس) يقول الصواب.

ردت (زنوبيا) والدموع تتحجر في مقلتيها:

- لـن أكـون الملكـة الجبانـة التـي تـرك لهـا (أذينـة) أقـوى الممالـك لتنتهـي وتهلـك خـلال سـنوات عـلى يدهـا وتهـرب تاركـة شـعبها يقـاوم الحصـار والجوع والهزيمـة.. كان حلمـه إمبراطوريـة عظيمـة فضاعـت المملكـة بأكملهـا بسـببي.. لـن أهـرب.

أتاهـا صـوت عجـوز يبـدو كأنمـا تخطـى المائـة عـام يدخـل القاعـة مسـتندا إلى عصـاه.. صـوت تعرفـه جيـدا.. صـوت المعلـم (يوليـوس):

- أنـتِ لسـت جبانـة ولا منهزمـة ولا ضعيفـة يا(زنوبيـا).. أنـتِ لم تحـاربي مـن الأسـاس.. معـك جيـش قـوي جـدا أقـوى مـن جيـش (أورليـان) ولكـن تـم تخريبـه بالخيانـة والغـدر.. فقائـده (بيلينـوس) هـو نفسـه قائـد جيـوش الأعـداء الآن!.

اقترب المعلم (يوليوس) منهم أكثر وهو يكمل:

- (بيلينـوس) اختفـي تـلاه (ثاديـوس) كبـير الكهنـة وشـاهدهما الكثـيرون في صفـوف الرومـان في معركـة (حِمْـص)..

إن الخيانـة كبـيرة وجـاءت مـن داخـل مجلـس السـيناتورات نفسـه يا(زنوبيـا).. إذن فهزيمتـك أمامهـم أمـر لا مفـر منـه وليـس بضعـف.. أنـا مـع رأي (لونجينـوس).. اهـربي يابنيتـي.. فـأي قـرار غـير الهـروب الآن سـيكون انتحـارا.. اهـربي يابنيتـي.

- أهرب بنفسي وأترك شعبي للعاصفة؟.

فقال المعلم (يوليوس):

- الشعب هو عشب الأرض والعاصفة لا تريد اقتلاع عشب الأرض بل تريد اقتلاع الشجر العالي.. (أورليان) يريدك أنتِ لا يريد أذى الشعب لأنه يطمع في مملكة (تَدْمُر) شعبا وأموالا وجيشا.. يريد ذلك الشعب ليحكمه فلن يؤذيه إن اختفيتِ أنتِ.

هزت رأسها بعناد:

- لا.. سأموت محاربة.. أرحب بدق سيف (أورليان) في قلبي عن أن أهرب! لن أحيا إلا ملكة لا هاربة جبانة.

صمت (يوليوس) العجوز الذي أصبحت بشرته كورقة عصرتها قبضة الزمن، ثم قال بعد تفكير وهو يمسك يدها:

- هل تثقين في يابنيتي؟.

- بالتأكيد.. وفيمن أثق بعدك يامعلمي؟.

- إذن افعلي ما سأقوله دون نقاش، فأنا الآن معلم طفولتك لا مستشارك.. أخبري الجنود جميعا أننا سنهرب في الغد إلى بيت صغير على ضفاف نهر الفرات، وبالتأكيد سيوشي أحدهم بذلك الخبر إلى (أورليان) و(بيلينوس).. اجهزي أنتِ الآن وفورا لا تنتظري الصباح وأحضري ولديك (حيران) و(وهب اللات) خلال ساعة واحدة من الآن، ولنلتقي مع (لورنتياس) و(لونجينوس) بالسرداب أسفل القلعة، وسنهرب في الحقيقة إلى شمال (مصر) لا العراق؛ فعندي خطة الخلاص لكم ربما تنجح.. ولا تخبروا أي شخص بأي كلمة أكثر مما طلبت أرجوك.

هزت (زنوبيا) رأسها مستسلمة للمعلم (يوليوس) وهي تنقل بصرها إلى (لونجينوس) الذي ابتسم لها مشجعا.

***

الفصل الثالث والعشرون

ترنحت (أميرة) وبدأت تفتح عينيها بضعف وهي ترى صورة مشوشة تتضح شيئا فشيئا..

كانت داخل غرفة صغيرة مليئة بالأتربة والعنكبوت، من الواضح أن لم يدخلها بشر منذ شهور مضت..

وجدت نفسها مكبلة اليدين والقدمين فوق سرير حديدي وأمامها دولاب وأريكة خشبية يعلوها وسائد قطنية قديمة..

حرصت (أميرة) ألا تصدر صوتا أو تلفت الانتباه لإفاقتها قبل أن تدرك أين هي أولا ومع من..

كل ماتتذكره أنها ما أن اقتربت بسيارتها من المتحف حتى وجدت (زينب) تنظر لها من النافذة الخلفية لإحدى السيارات وهي مكممة الفم بشريط لاصق تحاول الإشارة لها بيدها لكي تنقذها وكانت السيارة خاوية فهرولت (أميرة) لكي تفتح أبواب السيارة وتخرج (زينب) وما أن لمست باب السيارة حتى انفتح بسهولة، فدخلت بجذعها إلى المقعد الخلفي لتفك وثاق (زينب) وهي تهدئها أن الأمر قد انتهي لتجد مطرقة ثقيلة تهوي على رأسها تفقدها الوعي..

ولم تستعد وعيها إلا الآن وهنا..

بقي سؤال إضافي..

أين (زينب)!.

وهل هي خاطفة أتقنت دورها أم مخطوفة مثلها الآن في هذا المكان؟.

حاولت (أميرة) أن تنهض برأسها الثقيل بسبب تكبيل جسدها لترى ماحولها بهدوء، فرأت عبر انفراج باب الغرفة طفلا جميلا يبكي ويجلس على الأرض بالردهة خارج الغرفة وهو يضمُ ساقيه أمام صدره ينظر إلى ثلاثة أشخاص برعب.

كانوا يقفون بظهرهم إلى باب الغرفة ولكنها تعرفت بسهولة على (زينب) من وسطهم بسبب شعرها الأسود الناعم الكثيف الطويل وقوامها الممشوق والصبي الوسيم (عبد الوهاب) الذي قابلته برفقتها على مدخل درج بيت العصافرة ومعهم رجل رياضي البنية.. وسمعت حوارهم:

قال (عبد الوهاب):

- إلى متى سيظل أخي بذلك الحال يا أمي؟

ردت (زينب):

- إنه خائف.. أشعر به.. إنه الآن مشوش يحمل ذكريات فرد الأمن الذي أخذ دماءه بالكامل مختلطة بذكرياته التي تأتي من زمن يعتبر الآن ماض بعيد، إنه يرانا ونحن لسنا بالهيئة التي يعرفها وبملابس عجيبة ويرى عالما كاملا في زمن لا يعرفه في المستقبل.. بالنسبة لعمره الصغير صعب عليه استيعاب الأمر مثلنا، إدراك أننا في مستقبل بعيد صعب!.

فهو الآن لا يعرف حتى من هو.. هل هو بسيوني الجندي أم الأمير حيران؟.

اتركوه حتى يستعيد نفسه ويستوعب الأمر كما حدث معنا جميعا!.

نظر (عبد الوهاب) لها وقال:

- أنا حتى الآن يتردد في عقلي من آنٍ لآخر نصوص قوانين شرعية وجنائية

ومدنيـة لا أفهـم معناهـا تخـص عقـل (سـعيد بديـر)، وعندمـا أتحـدث إليـكِ أشـعر أنـكِ أمـي تـارة أو (زينـب) جـارتي تـارة أخـرى!.

قالت (زينب):

- أنتـم جميعـا لم تعانـوا مثـلي أبـدا.. لقـد قضيـت شـهرا كامـلا حبيسـة صخـرة مظلمـة كالقـبر ضاعـت بوابتهـا التـي كنـت أعرفهـا وطمسـت معالمهـا، لا يؤنـس وحـدتي فيهـا إلا جثـمان شـاب منحـوس يتحلـل يومـا بعـد يـوم.. حملتـه وأرقدتـه داخـل تابـوتي وأغلقتـه عليـه لأهـرب مـن مشـهد تحللـه جـواري بعـد أن اسـتبدلت فسـتاني بملابسـه الغريبـة لأطمـس هويتـي الحقيقيـة إن وجـدني جنـود (أورليـان).. قبـل أن أخـرج وأدرك كـم مـن الزمـن مـر علينـا في الواقـع.. كنـت أتوقـع أننـا لم نبعـد إلي هـذا الحـد.

نطـق الطفـل الصغـير أخـيرا وهـو خائـف ليقـول لـ(زينـب) وهـو مازال يشـك أنهـا حقـا والدتـه:

- هل عاد المعلم (يوليوس) لنا يا أمي؟.

- بالطبـع لا.. ولا أحـد يعلـم مـاذا حـدث للمعلـم (يوليـوس) ومنعـه مـن أن يعيدنـا للحيـاة كـما وعدنـا بعـد انتهـاء الحـرب بعـام عـلى الأكـثر.. لقـد تركنـا قرابـة الألفـي عـام.

قال (عبد الوهاب) لـ(زينب):

- هـل قصـد ذلـك الشـاب (ماهـر) أن يعيدنـا إلى الحيـاة يـا أمـي ويبـدأ الطقـوس؟.

- بالطبـع لا.. هـو مجـرد شـاب سيء الحـظ بسـيط وصـل إلى جـوف الصخـرة وجرحـت يـده وليتأكـد أنـه منحـوس للغايـة فقـد قـرر أن يمسـح دمـاءه بحافـة التابـوت المفتـوح لأنـه كان يقـف بجـواره والـذي كان بـدوره متعطشـا للدمـاء البشريـة؛ فجـذب جسـده ومنعـه مـن الفـرار لحظـة دخـول دمائـه إلى تجاويـف

الأنابيب العطشى وجذبته كالمغناطيس حتى امتصت آخر نقطة من دمائه لتعطيها لي.. الأمر كله حدث بالصدفة..ففتحت عيني لحظة غلق عيونه مستكملة حياته.

شردت وهي تكمل:

- أتذكر أني جلست في التابوت وخطوت بقدمي خارجة لأجد جثمان (ماهر) وتماثيلكم مرصوصة داخل التوابيت وأحمل على عاتقي همّ إعادتكم جميعا في المواعيد المحددة حسب طقوس الإفاقة من السبات الصخري وإلا سنعود تماثيلا مرة أخرى جميعا كما ترك لنا المعلم (يوليوس) نص الطقوس داخل الصخرة على الجدار..

وجدت نفسي أحمل كل ذكريات وخبرات (ماهر) العامل الطيب البسيط الذي ترقد جثته بجواري لتختلط بذكرياتي وعقلي، وعرفت أني في المستقبل البعيد عن عالمنا ولم يعد هناك (تدمر) ولا امبراطورية رومانية!.

تنهدت واكملت:

- كدت أجن.. كدت لا أدرى هل أنا (ماهر) أم أنا نفسي التي أعرفها.. أتحسس من وقت إلى الآخر وجهي في الظلام وأمسك شعري بيدي لأتاكد أني لست رجلا اسمه (ماهر).. فقدت الأمل في خروجي من تلك الصخرة وفشلت في تحطيمها دون أدوات هدم.. لعنت اليوم الذي استيقظت فيه من سباتي، فكوني تمثالا في سبات كان أرحم من أن أعي أني داخل قبر بلا موت ولا حياة متعطشة للدماء والسلطة والحكم.. لا أجوع ولا أعطش ولا أنام.. وأنتم مسجيون بجواري تماثيلا مصمتة أتحسس وجوهكم في الظلام.. حتى وصل صديق (ماهر): (عبد العزيز)!.

في البداية شعرت بالخوف منه ولكنه أخرجني بعد أن أقنعته أني (ماهر)، ولكن تحولت إلى امرأة وساعدني في إثبات ذلك ذكريات (ماهر)

التـي حملتهـا عـبر دمائـه.. بعدهـا رأيتهـم يحملـون التوابيـت لينقلوهـا إلى المتحـف، وكـدت أجـن..

وسـافرت خلفكـم إلى (الإسـكندية) وافترشـت أرض الشـارع أمـام المتحـف حتـى سـاعدني (أحمـد عبـد اللـه) في أن أدخـل المتحـف ثانيـة!.

فأكمل الرجل الملتحي مقاطعا بعد طول استماع:

- عندمـا عـدت مـن سباتي بفضلـك أنـتِ؛ جلسـت لأيـام أشـعر أني أقـرب لـ(أحمـد عبدالله) مـن نفسـي.. أحمـل ذكرياتـه وعقلـه ومشـاعره وأعـرف أدق تفاصيـل حياتـه وأعـرف الكلمـة السريـة لهاتفـه وأعـرف حتـى كيـف أسـتعمله وكيـف أقـود السـيارات.. بالمناسـبة هـل كنتـي تعرفـين أنـه يحبـك ويهيـم بـك حبـا ولم يمنعـه مـن الـزواج بـكِ إلا خوفـه مـن أن تكـوني متزوجـة بالفعـل وفاقـدة الذاكـرة.. ولذلـك انتظـرك بالقبـو ولم يخـبر مخلوقـا كـما طلبتـي منـه.

فضحكت (زينب) وهي تقول:

- أعـرف بالطبـع.. لذلـك اخترتـك أنـتَ تحديـدا لـكي تـسري دمـاؤه بعروقـك.. شـعرت أنـه يناسـبك أكـثر.. خصوصـا أنـه كان أيضـا ذكيـا وصديقـا مخلصـا سـاعدني كثـيرا.. فدمائـه تناسـبك للغايـة.

قال(عبد الوهاب):

- و(سـعيد) أيضـا يـا أمـي.. عندمـا طلبـت منـه بإلحـاح أن يحـضر إلى المتحـف ليقـضي يومـا كنزهـة بـه معـك حقـا لم يخـبر أحـدا كـما طلبـتِ منـه، واستسـلم لكـوب العصـير الـذي يحـوي المخـدر الـذي قدمتيـه لـه وكان مـن السـهل إخفـاؤه بالقبـو المظلـم حتـى رحـل الجميـع ونفـذتِ الطقـوس بعـد فصـل جميـع الكامـيرات.. كانـت سـتكون مأسـاة إن نسـيتي يـا أمـي تجهيـز ملابـس تناسـب جسـدي وحجمـي واعتمـدتي أن آخـذ ملابـس (سـعيد) بعـد موتـه واسـتبدالها كـما فعلتـم مـع (أحمـد عبـد اللـه) مـن قبـل لأن (سـعيد)

كان بدينا عني كثيرا!.

قالت (زينب):

- ليس هذا فقط السبب.. فقد عرفت أن (أميرة) تجمع ثيابنا بعد أن نرميها لأنها بالنسبة لها ثياب آتية من الماضي السحيق وتعتبر شيئا أثريا غريبا من العصر الروماني.. وسمعت عند عملي بالمتحف الضجة التي فعلتها (أميرة) بثياب (لونجينوس) صبيحة إحيائه وموت (أحمد عبد الله) عندما وجدتها في الصباح وعرفت أنها تحتفظ أيضا بفستاني.. إن هذه الماكرة الذكية تعرف الكثير وكانت على بعد خطوة من معرفة سرنا وكشف شخصياتنا الحقيقية.. لقد تعرفت على العملات التي كانت بحوزة (حيران) وذكرت أسماءنا عندما قابلتها عند بيت العصافرة وعرفت إلى أي عصر ننتمي تحديدا.. إنها تشكل خطرا عظيما؛ لذلك كان يجب أن أضع خطة سريعه لخطفها مع (لونجينوس) عقب إحياء (حيران) فورا.

كانت (أميرة) تسمعهم واتسعت عيناها وهي تكرر الاسم بصوت خافت:

- (لونجينوس).. (حيران)!.

ثم شهقت وهي تقول بصوت خافت:

- (زينب).. (عبد الوهاب).. (زنوبيا).. (وهب اللات)!.

هنا شهقت وقد أدركت الأمر..

***

الفصل الرابع والعشرون

وصل (إياد) إلى مكتبه بمديرية أمن (القاهرة) وهو يتابع مع شركات الاتصالات أي رصد لإعادة تشغيل هاتف (أميرة) أو هاتف (أحمد عبد الله) لتحديد مكانهما بشكل أدق ومعه (عبد العزيز) الذي أتى معه يرافقه إلى (القاهرة) بشكل ودي وهو يحمل لفافته الغريبة البالية ذات الرائحة العطنة التي يحتضنها دوما ويضمها إلى صدره.. كانه يخاف أن تهرب من بين يديه.

جلس (عبد العزيز) على أريكة خشبية أمام المكتب الذي دخله (إياد) بعد أن أشار لـ(عبد العزيز) ألا يتبعه وينتظره بالخارج، طلب (إياد) فورا ترشيح أحد أكبر أساتذة التاريخ الروماني في (مصر) وأمهرهم، فجاء الترشيح لاسم شهير بكلية الآثار جامعة (القاهرة)، فطلب موعدا معه سريعا خلال نصف ساعة على الأكثر بمكتبه.

عبر(إياد) مسرعا أروقة جامعة (القاهرة) وقد بدأت الشمس تميل لتعلن مغيبها عن ذلك اليوم ليجد (د./محمد عبد الرحمن) الرجل المكتنز الجسد أبيض الشعر الخمسيني ذو الهيبة والوقار الذي يرتدي بذلة رمادية بانتظاره في مكتبه؛ فرحب به وقال بمجرد دخول (إياد):

- أهلا بك مقدم (إياد).. جائتني اتصالات على أعلى مستويات أن أقابلك وأقدم لك أي مساعدة في استطاعتي تقديمها.. هل هناك مكروه حدث؟!.

قال (إياد) وهو يجلس أمامه على المكتب:

- لا تقلق يادكتور (محمد)، أريد منك بعض التفسيرات التاريخية ليس

أكـثر.. لقـد رشـحك أكـثر مـن شـخص لخبرتـك وعلمـك الغزيـر في التاريـخ الرومـاني والإغريقـي وصدقنـي الأمـر جلـل ولا يحتمـل أي تأخـير.

فقال دكتور (محمد عبد الرحمن) وقد بدا على وجهه الاهتمام:

- تحت أمرك يافندم.

أخـرج (إيـاد) مـن جيبـه الخِتـم الـذي وجـده بشـقة (زينـب) ووضعـه أمـام دكتـور (محمـد) وقـال:

- ما رأيك في هذا الختم؟.

مـد الرجـل يـده وتناولـه وبـدأ فمـه ينفـرج وهـو يقلبـه أمـام عينيـه، ثـم نظـر لـ(إيـاد) وقـد لمعـت عينـاه وهـو يقـول:

- إن هـذا الختـم أصـلي وليـس مزيفـا ويعتـبر مـن الآثـار الرومانيـة، ويعـود إلى القـرن الثالـث الميـلادي، إنـه يحمـل صـورة واسـم الملكـة (زنوبيـا) باللغـة الآراميـة ملكـة مملكـة (تَدْمُـر) إحـدى أشـهر ملـكات العـصر الرومـاني..

إن هـذا الاسـم يتكـرر عـلى مسـامعه كثـيرا خـلال اليومـين الماضيـين! فكـرر (إيـاد) الاسـم وهـو يهـز رأسـه.

- الملكة (زنوبيا)!.

ثـم أخـرج (إيـاد) مـن جيبـه عملـة مـن العمـلات الذهبيـة التـي قالـت (أمـيرة) أنهـا تحمـل وجـه (زنوبيـا) و(وهـب الـلات) وقـال:

- وهل لك أن تؤكد لي أيضا هل تلك العملات أصلية أم مزيفة؟.

نظر لها دكتور (محمد) وأشرق وجهه انبهارا وهو يقول بسرعة:

- أصليـة طبعـا ونـادرة جـدا، إنهـا تخـص أيضـا عـصر حكـم (زنوبيـا) وابنهـا (وهـب الـلات) الـذي لم يطـل كثـيرا، ولكـن حالـة العمـلات رائعـة دون أدنى

عوامل تعرية أو تلف.. إنك تستخرج من جيبك كنوزا أثرية أيها المقدم.. هل سرق أحدهم مقبرة رومانية؟.

استخرج (إياد) من جيبه الورقة التي جمع بها الأسماء التي كانت تدونها (أميرة) وتشير إليهم بالكتب والمقالات التي كانت على مكتبها قبل خطفها وناولها لدكتور (محمد) وقال:

- كأستاذ دكتور آثار رومانية عريق.. تخيل معي ما هو الذي يمكن أن يدور بذهنك أو كنت تفكر فيه يربط بين تلك الأسماء وبعضها ويجعل أستاذة وعالمة آثار فى مكانة تشبه مكانتك تدونهم أكثر من مرة وهي تبحث في قضية لها علاقة مباشرة بالتاريخ الروماني.

تناول دكتور (محمد) الورقة ورفعها أمام عينيه وقرأها بصوت مسموع:

- (زنوبيا).. (أذينة).. (وهب اللات).. (لونجينوس).. (لورنتياس).. (بيلينوس).. (حيران الثاني)..(يوليوس).. (أورليان).. (ماكسميان).. (فاليريان).. (جالينس).. (شابور).

رفع دكتور محمد عينيه من على الورقة ونظر إلى (إياد) وهو يخلع عويناته ويقول بثقة:

- بالطبع بينهم رابط.. إنهم شخصيات تاريخية حقيقية معروفة جدا عاشوا في نفس الزمن ولكثير منهم تماثيل موجودة بالمتاحف، وهم جميعا أبطال قصة تاريخية شهيرة هي قصة الملكة (زنوبيا) ملكة مملكة (تَدْمُر).. وهي صاحبة الختم الأصلي الذي بيدك والعملات الذهبية أيضا.. فإن دونت أستاذة دكتورة في التاريخ الروماني تلك الأسماء فهي كانت تبحث في قصة الملكة (زنوبيا) حتما.

- قصها عليّ يادكتور (محمد) من فضلك تفصيلا.

قص دكتور محمد عبد الرحمن قصة الملكة (زنوبيا) منذ زواجها

بـ(أذينـة) وحتـى انهزامهـا أمـام (أورليـان) بسـبب خيانـة (بيلينـوس)..

فقال (إياد) بعد أن استمع إليه بتركيز:

- ومـاذا بعـد انهزامهـا؟ مـاذا كان مصيرهـا ومصـير حلفائهـا (لونجينـوس) و(لورنتيـاس) وولديهـا؟.

قال دكتور (محمد) وهو يشعل سيجاره الثمين:

- كل مامـضى وقصصتـه عليـك لا جـدال عليـه تاريخيـا إلا نهايتهـم ومصيرهـم.. فقـد اختلفـت الروايـات حـول مصـير الملكـة (زنوبيـا) بعـد دخـول الرومـان إلى (تَدْمُـر) واسـتيلاء (أورليـان) عـلى الحكـم رسـميا عـام (٢٧٣م).. ففـي روايـة يقـال أنهـا انتحـرت بعـد هروبهـا بـأن جوّعـت نفسـها حتـى المـوت ولم يعـثر لهـا عـلى جثـمان، فيـما ذكـرت مصـادر أخـرى أنهـا ماتـت داخـل (تَدْمُـر) بسـبب مجاعـة حصـار (تَدْمُـر) لأنهـا أبـت أن تـأكل والشـعب يجـوع ودفنـت سرا مـن قبـل حلفائهـا (لونجينـوس) و(لورنتيـاس) لكيـلا يمثـل (أورليـان) بجثمانهـا. في حـين أن آخـرون يرجّحـون أن الرومـان قامـوا بإعدامهـا هـي ومستشـاريها (لونجينـوس) و(لورانتيـوس) سرا حتـى لا تصبـح بطلـة قوميـة لـ(تَدْمُـر) وأخفـوا جثامينهـم أو أحرقوهـم.. ولكـن هنـاك روايـة أكـثر انتشـارا بـين المؤرخـين والكُتـاب -ولكـن دون أدلـة قاطعـة تاريخيـة عـلى صحتهـا- أنهـا هربـت إلى ضفـاف نهـر الفـرات وهنـاك أوشى بهـا أحـد الخونـة إلى (بيلينـوس) الـذي قبـض عليهـا لتقـع أسيرة لـ(أورليـان)، ويقـال أن (أورليـان) أعجـب بقوتها وتحديهـا لـه وذكائهـا فأمـر بالإبقـاء عليهـا وعـلى أبنائهـا أحيـاءً، وأن (أورليـان) عـلى عكـس المتوقـع منـه عندمـا وقعـت (زنوبيـا) في الأسر بـين يديـه لم يقتلهـا أو يذلهـا، بـل وعدهـا بحيـاة كريمـة وأحسـن اسـتقبالها لأنـه كان يعلـم أنهـا لم تنـل فرصـة الحـرب أمامـه بـشرف بسـبب خيانـة (بيلينـوس) لهـا وأخذهـا (أورليـان) إلى مدينـة (تيبـور) بـ(رومـا) وتوجهـا عنـد دخولهـا (رومـا) بإكليـل مـن الغـار قائـلا أنهـا لم تكـن ملكـة منهزمـة أبـدا ولم يحـترم ملكـة كـما احترمهـا

لتعيش في ضيافة (روما) تحت حراسة شديدة تمنعها من الخروج من (روما) لضمان عدم عودتها إلى (تَدْمُر)، وتزوجت (لونجينوس) وعاشت كزوجة وأم تقليدية باقي حياتها في بيت عادي كامرأة رومانية بعد أن غيرت اسمها لاسم آخر غير (زنوبيا)..

وربما كانت إحدى تلك الروايات حدثت حقا وربما لم تحدث أي منهم على الإطلاق والنهاية مجهولة، فجميع النهايات دون أي دليل تاريخي كنهايات كل الملوك المنهزمين قديما.

أخذ نفسا عميقا من سيجاره وهو يستطرد:

- وأنا شخصيا أعتقد أن كل هذه النهايات مجرد خيال الكُتاب والمؤرخين الذين كتبوا عنها واحتاروا لغلق تلك النهاية المفتوحة لملحمتها الملهمة وكونها رمزا للحرية والصمود في التاريخ العالمي.. إن (زنوبيا) لم يكتشف لها مقبرة تخلد ذكرى وفاتها حتى اليوم ولا جثمان يجزم شكل نهايتها.

اعتدل (إياد) بجلسته وهو يمد يده ليصافح دكتور (محمد) قائلا:

- لا أعلم كيف أشكرك.. فربما أنا الآن الوحيد الذي على وشك أن يعرف مصير الملكة (زنوبيا) وحلفائها.

***

الفصل الخامس والعشرون

مصر (٢٧٣م)

جرت الأمور بشكل يشبه الحلم..

للأدق كان كابوسا لا يمكن الاستيقاظ منه..

كابوس يحمل ملمس ولون ورائحة الواقع المرير والهرب من براثن الإمبراطور الروماني المتعطش للدماء!.

الهروب من الموت الي المجهول ..

اصطحب المعلم (يوليوس) (زنوبيا) وحلفاءها إلى ما يسمى اليوم بـ(حمام كليوباترا).. المكان الذى شهد تحولهم الخارق من أجساد آدمية إلى صخور جامدة..

تماثيل صخرية ليس لها تفاعل مع الكون..

تماثيل صخرية ميتة.. بلا روح ولا إحساس..

تماثيل تنتظر العودة ليحكمون العالم بأيدٍ صخرية لا تلين، ولكن القدر كان يخبىء مفاجأة قاسية، إذ أن مفتاح عودتهم للحياة قد مات.. بعد تحولهم بدقائق ..

قُتل المعلم (يوليوس) بيد بربرية غادرة، وتجمدت الحياة عندهم لما يزيد عن ألفى عام..

عشرون قرنا..

مئات السنين مرت على تماثيل لا تدرى هل تعود يوما للحياة أم أن

رحلتها على الأرض قد انتهت عند هذا الحد..

تماثيل استغلت فكرة هروب غير مألوفة أُبتُكرت من أجل الملكة العظيمة (كليوباترا)، وكانت النتيجة النهائية خمس توابيت صخرية تضم تماثيلا شديدة الإتقان لـ(لونجينوس) و(لورنتياس) و(وهب اللات) و(حيران) و(زنوبيا) شخصيا!.

تماثيل متعطشة للدم.. تماثيل ماتت قلوب أصحابها ولن تعود.

***

لتفاصيل أكثر أعد قراءة أحداث المقدمة (ما قبل الفصل الأول)

الفصل السادس والعشرون

دخلت (زينب) ووقفت بجوار السرير الذي قيدت إليه (أميرة) وهي تنظر لها نظرة ثابتة متحجرة و(أميرة) تتظاهر أنها مازالت فاقدة الوعي، ولكن دب الخوف في قلب (أميرة) من نظرة (زينب) الثابتة الطويلة فقررت إنهاء فقرة أنها فاقدة الوعي وبدأت التحرك ببطء كأنها تستعيد وعيها لتوها من المخدر..

- آآآآآآآآه.. أين أنا؟ من أنتم؟ (زينب)!.

- هل تدرين أنك لست ممثلة جيدة يا (أميرة)؟.

على العموم لا يهم ماتفعلين ففي كل الأحوال سيمتلك أحد أتباعي ذكرياتك وعقلك وسيعرف كل ماتعرفين وسيخبرني به بعد أربعة عشر يوما، فكوني فتاة مطيعة.

ضحكت (زينب) ساخرة واستدارت لتخرج من الغرفة، فقالت (أميرة) متحدية:

- تقصدين الوزير (لورنتياس) التمثال الخامس؟ أليس كذلك يامولاتي الملكة (زنوبيا)؟.

توقفت (زينب) واتسعت عيناها وعادت مسرعة فدب الرعب في قلب (أميرة) وقالت (زنوبيا) بغضب:

- سأقتلك.. سأقتلك يا (أميرة).. قضى عليك ذكاؤك.. كنت أعرف أنك على وشك التوصل لشخصياتنا.. لذا قررت خطفك وكنت محقة.. والآن حكمت على نفسك بالموت مبكرا.

بيد صلبة قوية فكت (زنوبيا) قيود (أميرة) وسحبتها لخارج الغرفة وألقت بها أرضا في الردهة بشكل قاسٍ.. استطاعت (أميرة) أن ترى التابوت الخامس في غرفة مجاورة للغرفة التي كانت مقيدة بها، فحضر (لونجينوس) و(وهب اللات) مسرعين، فقالت لهم (زنوبيا):

- لقد حددت (أميرة) شخصياتنا بالفعل وتعرفت علينا.. لن أتركها أربعة عشر يوما على قيد الحياة إنها خطر جسيم.. كل ساعة تمر وهي على قيد الحياة تمثل خطرا علينا.. اقتلها يا(لونجينوس) اقتلها.. لقد حكمت عليها بالإعدام.

رفع (لونجينوس) سكينا ضخما طويلا واقترب ينفذ أمر (زنوبيا)، فجلست (أميرة) على ركبتها تقول متوسلة وهي تبلع ريقها برعب في محاولة أخيرة لإنقاذ نفسها:

- يكفيني فخرا أنى رايت قبل موتي الملكة (زنوبيا) الحقيقية التي طالما احببتها وقرأت عنها بكتب التاريخ.. ولكن مولاتي الملكة (زنوبيا) ملكة مملكة (تَدْمُر) العريقة لا تفعل ذلك.. ليس من أخلاقك قتل الأسرى يامولاتي.. وأنا الآن أسيرة لديك.. أسيرة لا تحمل سلاحا.. كنتِ يامولاتي منذ ألفي عام رمزا للصمود والحرية والقوة، فلا تكوني اليوم رمزا للدماء والقتل والدمار لقد قرأت عنك كثيرا.. ولم أجدك إلا محاربة شريفة قوية.. لا تجعلي السبات يغيرك يامولاتي.

أشارت (زنوبيا) لـ(لونجينوس) أن يخفض السكين وقالت:

- وماذا كتبوا عني بكتب التاريخ أيضا.. الملكة الغبية المنهزمة التي أضاعت مملكتها وكل مجهود زوجها (أذينة)؟ أليس كذلك؟.

- بل الملكة المحاربة القوية.. الملكة التي هزمها الغدر والخيانة لا السيف.. الملكة التي أحبها شعبها وصنعت إمبراطورية كبيرة في سنوات

قليلـة.. التاريـخ يعلـم أنـك انهزمـت بالخيانـة لا بالضعـف.

رأت (أمـيرة) شـبح ابتسـامة غـرور ترتسـم عـلى شـفاة (زنوبيـا)، فقـال (لونجينـوس) هامسـا لـ(زنوبيـا):

- مولاتي إنها تخدعك.. لا تنساقي لما تقوله.

أشـارت لـه (زنوبيـا) أن يصمـت، فأكملـت (أمـيرة) وهـي تقـف وتقـترب منهـا:

- هـل تدريـن يامـولاتي (زنوبيـا) أن بعـد انتصـار الإمبراطـور (أورليـان) وفـور انتهـاء الحـرب أمـر (أورليـان) بإعـدام القائـد (بيلينـوس) والكاهـن (ثاديـوس) عـلى أسـوار (تَدْمُـر) معلنـا أنـه مسـتحيل أن يثـق لحظـة واحـدة فيهـما بعـد خيانتهـما لـك وخيانتهـما (تَدْمُـر)، ولم يمـس (بيلينـوس) كـرسي عـرش (تَدْمُـر) بعـدك.. كـما أن (أورليـان) نفسـه مـات غـدرا بعـد تلـك الحـرب بسـنوات قليلـة.. لقـد ذاقـوا جميعـا مـن نفـس الـكأس، ولكـن في النهايـة ذكـرك التاريـخ بالخـير والـشرف ووصمهـم بالعـار والخيانـة الـذي لازمهـم آلاف الأعـوام.. فـلا تخـذلي أوراق كتـب التاريـخ وتلـوثي العـالم بدمـاء بريئـة يامـولاتي.. كفـى أربعـة أرواح بريئـة أزهقـت حتـى الآن واتـركي التاريـخ يذكـر الملكـة (زنوبيـا) القويـة المحاربـة لا القاتلـة المتسلسـلة.

شردت (زنوبيـا) وكأنهـا تعـود بالزمـن إلى قلعتهـا في (تَدْمُـر) بـ(سـوريا) آلاف الأعـوام إلى الخلـف وتتذكـر حياتهـا كإنسـان لا مسـخ متحـول مـن حجـر، فأكملـت (أمـيرة) بصـوت أكـثر شـجاعة:

- شرف لي يامـولاتي أن تقبلينـي وصيفتـك مـن اليـوم وأن أنضـم لجيشـك الصغـير، فأنـا عاشـقة للتاريـخ الرومـاني وعاشـقة لشخصك ولسـت مـن الشرطة، فأنـا أسـتاذة دكتـورة في التاريـخ.. أنـا لسـت عـدوة لـك يامـولاتي عـلى الإطـلاق بـل أنـا مـن محبينـك ومريدينـك.. وربمـا أسـتطيع مسـاعدتك.

نظر (لونجينوس) لـ(زنوبيا) التي قالت:

- ولـك الأمـان يا(أمـيرة).. لـن أقتلـك.. ولكـن لتثبتـي صـدق نوايـاك أريـد منـك قربانـا.

- قربان؟.

- أريـد دمـاء (إيـاد).. فـلا بـد وأنـه كشـف (زينـب) الآن.. أريـد دمائـه مقابـل أمانـك.

***

الفصل السابع والعشرون

خرج (إياد) من مكتب دكتور (محمد عبد الرحمن) أستاذ التاريخ، واتجه سريعا إلى مديرية أمن (القاهرة) ليجد (عبد العزيز) مازال جالسا على باب مكتبه محتضنا لفافته الغريبة القديمة الملفوفة في أقمشة بالية وقد نسى (إياد) أنه أحضره معه في لحظة شفقة على حاله!.

دخل (إياد) إلى مكتبه وتلاه (عبد العزيز) وجلس أمام مكتب (إياد) وقال:

- هل هربت منكم يا باشا؟ أين هي؟.

لم يرد عليه (إياد)، فقد كان مشغولا ينظر إلى هاتفه الذي وصلت عليه رسالة من (أميرة) عبر الواتساب تقول:

- مقدم (إياد).. لا تقلق.. أنا بخير مع (زينب) وزوجها.. هم أناس ظرفاء للغاية وبالفعل هي كانت تريدني في أمر هام وسري للغاية، ولكن انتهى شحن هاتفي ولم أستطع إعادة شحنه إلا الآن.. أنا بـ(القاهرة).. تعال إلى البوابة الرئيسية لجامعة (القاهرة) بعد ثلاث ساعات وحدك ولا تخبر أحدا أرجوك؛ فالأمر مهم، وسيمر زوج (زينب) لاصطحابك إلينا.. سلامي الحار وقبلاتي إلى زوجتك الغالية (أمنية).

رفع (إياد) عينيه وأعاد قراءة الرسالة، ولم يفته أنها تحذره من أن محتواها كاذب مقصود به العكس تماما بوضعها آخر جملة.. سلامها الحار وقبلاتها المرسلة إلى زوجته الغالية (أمنية)!.

رفع عينيه عن الهاتف وهو يحاول فهم مايحدث وقد أُغلق هاتف (أميرة) مرة أخرى..

فعاد (عبد العزيز) يقول متسائلا:

- هل تعرف طريقها يا باشا؟رد عليّ.

زفر (إياد) ولم يرد عليه وهو يعاود الاتصال بشركات المحمول متسائلا إن كان هناك جديد تم رصده بخصوص تحديد مكان (أميرة)، ثم أنهى المكالمة دون معلومة جديدة، فالبيانات تم فتحها فقط لحظة الإرسال وتم الغلق مجددا..

- ما اسمها الحقيقي يا باشا؟.

- (عبد العزيز) اصمت أنت تشوش أفكاري.. سأجعلك ترحل فورا إلى (مطروح).. بل سأجعلهم يعيدونك إلى المصحة إن لم تصمت.. الأمر يصبح أكثر خطورة وتعقيدا كل لحظة تمر.. وأنت تشتتني.

قالها (إياد) بضيق وهو يتصل بمدير الأمن ليخبره بآخر التطورات ورسالة (أميرة)؛ فصمت (عبد العزيز) وقد شعر بأنه أغضب (إياد) برغم لطفه الدائم معه..

قال (إياد) لمدير الأمن عبر الهاتف بعد أن أخبره بمحتوى رسالة (أميرة) التي تدعوه أن يحضر بمفرده وتحذره في نفس الوقت:

- سأذهب معهم وسأحاول إخفاء شريحة تتبع وأجهزة تصنت بملابسي لتعرفوا مكاني وتهجموا عليهم.. الأمر فعلا خطير؛ فالعملات والختم أصليان.. الشك الآن أصبح يقينا بأكثر من دليل أن زينب هي الملكة زنوبيا بشكل ما و(أميرة) اقتربت جدا من الحقيقة؛ لذا قررت (زينب) أو (زنوبيا) التي هي أولى التماثيل المتحولة خطفها.. لم يبق إلا أن أعرف مكانهم.

قاطعه (عبد العزيز):

- خذني معك يا باشا.. سأقضي عليهم بما معي في اللفافة.

أزاح (إياد) الهاتف عن أذنه وقال بغضب:

- (عبد العزيز)، لا تجعلني أندم على اصطحابك.. أنا لن أذهب إلى نزهة لترافقني بلفافتك النتنة تلك، التي لا أعرف ماذا بها.

نظر (عبد العزيز) إلى اللفافة وهو يصمت ويجز على أسنانه ليحفظ سرها.

***

قبل يوم واحد من الأحداث الحالية

مرسى (مطروح) / (٢٠٢١م)

-ادخل يا (عبد العزيز).. ادخل يا بني واغلق الباب خلفك.

قالها الشيخ (عبد الرحمن العبيدي) العجوز متغضن الوجه.. تقدم (عبدالعزيز) في تلك الغرفة البسيطة المكسو جدارها بالسجاد اليدوي البدوي ويغطي أرضها الحصير الدافئ ويحيط حوافها مجلس عربي يجلس في طرفه جده الأكبر الشيخ (عبد الرحمن العبيدي).

الشيخ (عبد الرحمن) هو أكبر رجال قبيلة العبايدة عمرا.. وبرغم أنه تقدم في العمر وضعف في الجسد حتى تحول إلى كومة من العظام المكسوة باللحم والجلد المجعد، لكنه مازال يتمتع بعقل حكيم خط عليه الزمن خبراته..

كان قد أرسل في طلب (عبد العزيز) فور علمه بعودته من المصحة؛ فلبى (عبد العزيز) الطلب فورا ثاني يوم لعودته إلى بيته واقترب ليقبل يد جده الأكبر الذي أشار إليه أن يجلس أمامه وقال له:

- حمدا لله على سلامتك يابني.. أعرف منذ البداية أنك لم تجن وأنك

بكامل عقلك.. طوال سبعة أشهر قضيتها بالمصحة العقليه وأنا أعلم أنك ستخرج يوما لتجلس أمامي وتعترف بخطيئتك وجريمتك التي لم يجرؤ أحدٌ من قبلك على فعلها.

ابتلع (عبد العزيز) ريقه بخوف وهو يعرف مايرمي إليه جده.. إنه يقصد إفشاء سر التمثال لـ(ماهر)! فرد بتوتر:

- لم أقصد ياجدي.. ها هو (ماهر) مَنْ عرف السر قد مات بعدها مباشرة.

- رحمة الله عليه.. ولكني لا أقصد إفشاء سر التمثال لـ(ماهر) فقط.. ولو أنه حقا جريمة وخيانة لسر قبيلتنا! بل أقصد أنك وصديقك أحييتما لعنة ستدمر العالم يا(عبد العزيز).. أنتما اشتركتما بتحرير المساخيط!.

- مساخيط؟.

قالها (عبد العزيز) بتعجب فقال الجد:

- إنهم شياطين لايعرفون إلا الدماء.. إنهم ملعونون.. هم ثاني أعظم الأسرار التي تخص قبيلتنا والتي لايعلمها إلا شخص واحد فقط في كل جيل ويختار من يورثها له بعده.. هل تعتقد أن سر التمثال هو سرنا الوحيد!.

أنت ساذج يابني.. إنه فقط سرنا الأصغر..

إننا عائلة ابتلاها الله منذ ألفي عام بمعرفة سر هؤلاء الملاعين.

تقدم الشيخ بوجهه من (عبد العزيز) الذي فغر فمه في عدم فهم وأكمل:

- وبرغم أنك أول من أفشى سرنا الأصغر ولكن القدر سيجعلني أخبرك بالسر الأكبر لأن.. أصبح عليك أن تصلح ما أفسدته يدك!.

ثم بدأ الشيخ قصته بصوت رخيم:

- منذ قديم الأزل كان أحد أجدادنا القدماء ويدعى (هيرمس) يجلس قريبا من التمثال يراقب البحر والطيور ورأى مجموعة من البشر تقترب منه ويتركون خيولهم على شاطىء البحر.. كانت هيأتهم تدل على أنهم ليسوا من أهل القبائل المجاورة وأنهم من علية القوم.. فذهب خلفهم وتبعهم خلسة حتى اكتشف أنهم يمارسون السحر الأسود في مكان ما يقود إليه جوف التمثال حيث وضعت (كليوباترا) بجوف التمثال حول المسبح كنوز لم يرها بشر من قبل.. يقال أنه رأي مايشيب له الولدان حتى عاد.. أتى بإخوته وعشيرته ليساعدوه في نقل الكنوز من جوف التمثال وعرفهم سر التمثال وكيفية المرور إلى داخله، وما أن فتح أحدهم الصندوق النحاسي الصغير الذي كان وسط الغنائم حتى تحول إلى تمثال حجري..

وكل من كان يأخذه الفضول والخوف ليرى مابداخل الصندوق يتحول أيضا إلى تمثال؛ حتى تحول نصف رجال عشيرتنا إلى تماثيل حجرية حول الصندوق المفتوح فى غضون لحظات..

تنهد وابتلع ريقه وقال بحزن:

- كانت لعنة تلك الكنوز على قبيلتنا كبيرة حيث فقدنا الكثير من رجالنا ولجأوا وقتها إلى كاهن معبد التنبؤات معبد (آمون) بـ(سيوة)، وكان من أكثر الناس علما بفنون السحر، وقال أن الصندوق به رأس (ميدوسا) المسحورة التي تحول البشر إلى حجر، وأنهم لن يعودوا إلا بامتصاص دماء آدمية لأشخاص آخرين..

كل حي مقابل ميت، ولن تقف السلسلة.. يجب أن نقتل شخصا لإنقاذ شخص آخر.. وإن عادوا لن يعودوا كبشر، بل سيكونون مسوخا دموية بلا قلب ولا رحمة..

أقوياء جدا..

مخلدون..

وسيدمرون البشر!.

كان (عبد العزيز) لا يرمش، يسمعه بتركيز.. فأكمل الجد:

- أمر كاهن معبد التنبؤات بالتخلص من الكنوز الملعونة في البحر وكسر رؤوس التماثيل التى كانت يوما من أبناء قبيلتنا واعتبارهم أمواتا.. أرحم لهم ولنا!.

وبما أن الأمر لم ينتهِ بشكل كامل، فلم يتخلص الكاهن من رأس (ميدوسا) وأخفى الصندوق النحاسي بما يحويه من رأس ملعون، ولفه بالكثير من طبقات الكتان المنقوش بالطلاسم التي تحفظ سره وتحمي شروره، وأخبر كبير القبيلة وقتها أنه يجب أن يحفظ سر رأس (ميدوسا).. حيث أنهم فشلوا في الوصول إلى مكان تماثيل الأغراب الذي مات هيرمس قبل أن يخبرنا كيف نصل إليهم ..

الأغراب الذين جاءوا بالرأس وكانوا يعلمون سر التمثال وفتحوا تلك البوابة على الجحيم وأتموا الطقوس بالداخل ولم يتم التخلص من تماثيلهم.. فحتما سيحين دور الرأس يوما عندما يصل إليهم أحد!.

الكاهن أخبرهم أنهم يجب أن يجدوا التماثيل ويدمروها بنفس الطريقة..

بكسر الرؤوس..

وأنهم إن عادوا للحياة فلن يوقفهم إلا رأس (ميدوسا) نفسها!.

فـ(هيرمس) الذى تبعهم وعرف مكانهم وقص قصتهم هو أول من تحول إلى تمثال عقب إخراج الكنوز من جوف التمثال..

كان بريق الذهب عنده أولى من إضاعة الوقت فيما عداه، فلم يخبر (هيرمس) أحدا بكيفية وطريقة الدخول إلى النفق والغرفة التي تمت بها

الطقوس عبر مكان المسبح والكنوز، وفشلوا هم في كشف طريقة الوصول إلى الغرفة..

فقط عرفوا كيفية الدخول إلى التمثال والمسبح حيث كانت الكنوز التي توقفوا عندها..

مد الشيخ (عبد الرحمن) يده ورفع كومة ضخمة من النسيج البني الممزق الجاف ووضعه على الأرض بينه وبين (عبد العزيز) الذي انتفض رعبا وعاد زحفا للخلف عندما رأي أشياء تتحرك تحت اللفافة فقال الشيخ:

- توارثنا هذه الرأس الملعونة جيلا بعد جيل، نحميها في انتظار موعدها ولا يعرف سرها وقصتها إلا شخص واحد فقط من كل جيل.. يترك وصيته لشخص مختار بعده يكون على قدر من الحكمة لحين معرفة مكان التماثيل الملعونة وتدميرهم بفصل الرؤوس، أو استخدام الرأس في حالة إحيائهم ليعودوا تماثيل..

لن يوقفهم عن شرورهم ويتصدى لهم إلا رأس (ميدوسا) نفسها.

ابتسم (عبد العزيز) بفخر وخجل وقال:

- وأنا المختار ياجدي! أليس كذلك.

فرد الجد بغضب:

- بالطبع لا! لم تكن أنت ولم أفكر حتى فيك..

امتقع وجه (عبد العزيز) وأكمل الجد:

- ولكن القدر اختارك لا أنا.. لأنك أنت من توصلت للتماثيل مع صديقك (ماهر)، وللأسف تسببتما في إحيائهم دون قصد.. إن سر الوصول لقلب التمثال نفسه والمسبح لم يكن بالسر العظيم، بل كنا نعلمه للكثير

مـن أبنـاء العائلـة منـذ الصغـر ونترككـم تسـبحون حولـه لربمـا تجـدون المدخـل لمـكان التماثيـل ونتخلـص مـن لعنـة قبيلتنـا للأبـد..

مد يده المجعدة باللفافة المهترأة البالية قائلا:

- اذهب وأصلح خطأك.. حان وقت الرأس الملعونة..

رأس (ميدوسا).

***



الفصل الثامن والعشرون

في الموعد المحدد وقف (إياد) وقد أخفى شريحة تتبع ارتداها كقلادة، وزرع ميكروفون تسجيل صغير علي شكل علامة تجارية بجيب قميصه..

ومن بعيد أخذت تراقبه سيارة غرفة عمليات كبيرة يجلس بداخلها مدير أمن (الإسكندرية) مرافقا لمدير أمن (القاهرة) وبعض الضباط، ومعهم بأحد الأركان يجلس (عبد العزيز) الذي أوصى (إياد) إلى مدير الأمن شخصيا بأن لا يتركه وحده لشك (إياد) في أن قوى (عبد العزيز) العقلية قد تأثرت بالسلب حقا وأنه ليس على ما يرام، وربما سيتوه بـ(القاهرة) إن تركه، ثم اتصل بطفليه ليسمع صوتهما ويوصي والدته عليهما وهو يشعر أنه.. لن يراهما ثانية!.

- مقدم (إياد).. أهلا بك.. أنا زوج (زينب)!.

جاء الصوت من سيارة أجرة توقفت أمامه وأطل من نافذتها الخلفية رأس شاب حليق الذقن مبتسم وسيم لن ينسى وجهه (إياد) أبدا حتى بعد أن تخلى عن لحيته الكثيفة البنية ليغير ملامحه؛ فهو نفسه الذي ظهر بجميع التسجيلات..

فتح (إياد) باب السيارة واستقلها بجواره وانطلقت، وتابعوهما للحظات حتى توقفت السيارة أمام أحد الكافيتريات في شارع الدقي والتي توجد بالدور الأول بإحدى البنايات القديمة، فقال (لونجينوس):

- تفضل معي.. سنحتسي قهوة ونتحدث في أمر ما.

نظر (إياد) بارتياب.. لا يمكن أن يأخذه تمثال رجل روماني متحول إلى مكان ما لاحتساء قهوة لكي يخبره عن معاناته في طقوس التحول أو يحكي

لـه فـرق أسـعار اللحـوم والدواجـن بـين العـصر الرومـاني والعـصر الحـالي!.

نظـر مديـرا الأمـن إلى بعضهـما وهـما يراودهـما الشـك أن مايحـدث ليـس خـيرا عـلى الإطـلاق..

مـر أكـثر مـن عشريـن دقيقـة ولم يتحـرك (إيـاد) مـن مكانـه في الكافتريـا ولا يسـمعون صوتـا لـه ولا للرجـل عـبر الميكروفـون!.

أطلـق مديـر الأمـن أمـرا باقتحـام الكافيتريـا فـورا والبحـث عـن (إيـاد) مهـما كانــت العواقب!.

جاء الرد سريعا من القوة..

إن القـلادة وملابـس (إيـاد) كاملـة وهاتفـه ومحفظتـه بـدورة ميـاه الكافيتريا ولا أثـر لـه..

كما أن الكافيتريا الصغيرة غير مزودة بكاميرات مراقبة!.

قال مدير أمن (الإسكندرية) بحنق:

- الوغد نال منه أمام أعيننا.. ماذا حدث له.. هل تبخر!.

***

اخــذ (لونجينــوس) (إيــاد) إلى دورة ميــاه الكافيتريــا عنــوة ووضــع ســكينا عــلي رقبتــه وأخــرج ورقــة مطويــة مكتــوب بهــا:

- بهــدوء اخلــع كامــل ملابســك واتــرك هاتفــك وقلادتــك وســاعتك وكل متعلقاتــك هنــا واســتبدلها بهــذه الملابــس وإلا ســأقتلك وســتُقتل (أمــيرة) في نفـس اللحظـة.. فـ(زنوبيـا) معـي عـلى الهاتـف الآن تسـمعنا وأي صـوت مقاومـة منـك أو عنـف سـتذبح هـي (أمـيرة) فـورا.

قــال (إيــاد) بعــد أن خلــع كل ملابســه في صمــت واســتبدلها ووضــع فوقهــا

عباءة نسائية سوداء ونقابا أعطاه إياها (لونجينوس) ليخرج برفقته من دورة المياه كامرأة منتقبة:

- واضح أن (أحمد عبد الله) كان شغوفا بأفلام الأكشن وروايات المغامرات البوليسية.. فهذه الخبرات لم تأت من العصر الروماني بالتأكيد!.

فضحك (لونجينوس) وقال:

- يبدو أنك حقا تعلم عنا الكثير وأنك أخطر من (أميرة).. إذن أعرفك بنفسي، أنا الحكيم (لونجينوس).

فقال (إياد) متحديا وهو يضحك بسخرية:

- أعرف ذلك.. أعرف ذلك أيها التمثال.. أنت لم تعد الحكيم .. أنت صرت مسخ.

خرجا من باب خلفي لتلك الكافيتريا الصغيرة عبر سلم حديدي معلق على جدار واستقلا سيارة أجرة إلى حي (بين السرايات) القريب من الدقي، ليجد (إياد) نفسه في حارة ضيقة يدخل بناية متهالكة قديمة خالية من السكان على بابها وضعت لوحة تحذيرية من إدارة الحي تعلن أن العقار آيل للسقوط وتم إخلاؤه من السكان وتحذر من الوقوف حوله..

ابتلع ريقه وصعد الدرج المتهالك الذي يصدر صريرا تحت قدميه يعلن عن عدم ترابط أجزائه.. يحاول الاستناد إلى السور المهدم وصولا إلى الطابق الأخير..

فتح (لونجينوس) باب الشقة ودخل ليجد نفسه داخل شقة بسيطة واسعة ذات أثاث قديم متهالك، وجميع النوافذ عليها قضبان حديدية تحكم إغلاقها.. إن الشقة تحولت إلى ثكنة عسكرية في أعلى بناية خاوية من السكان آيلة للسقوط.. سجن قوي معزول عن البشر.. رأى أميرة مكبلة اليدين تجلس على الأرض في زاوية..

خائفة..

متوترة..

ترتعش مفاصلها..

لم تعرفه في البداية بسبب العباءة الفضفاضة السوداء والنقاب الذي يخفي بها وجهه!.

ورأى على الحائط صورة مألوفة..

صورة يعرف صاحبها جيدا.. ياله من غبي كيف لم يتوقع ذلك منذ البداية إنها شقته!.

قاطعت أفكاره (زنوبيا) وهي تخرج من إحدى الغرف.. ولأول مرة يراها (إياد) حقا كملكة لها هيبة الملكات العظيمات وليست (زينب) موظفة المتحف العصبية الجميلة وقالت:

- أهلا بالمقدم (إياد).. أهلا بك معنا في مخبئنا المتواضع.. اخلع عن وجهه النقاب يا(لونجينوس).. أعتقد أنه لا يرتديه عن اقتناع.

***

الفصل التاسع والعشرون

- الأمر ازداد سوءا ولم يتحسن.. بل تعقد!

كنا نبحث عن ضحية واحدة، والآن صرنا أمام ضحيتين..

ما حدث يجب إنهاؤه فورا!.

قال الكلام السابق مدير أمن (القاهرة) موجها حديثه بحزم إلى بعض الضباط المستعدين أمامه.. فقال مدير أمن (الإسكندرية) مفكرا:

- أعتقد أننا مازلنا ندور حول حي (بين السرايات).. فجامعة (القاهرة) والكافيتريا التى بالدقي قريبان جدا من الحي الذي توقفت عنده إشارة هاتف (أحمد عبد الله).

رفع (عبد العزيز) عينيه إليهم عند ذكر اسم حي (بين السرايات) والذي يسمعه لأول مرة.. كانوا قد نسوا وجوده معهم في سيارة غرفة العمليات الضخمة التي أصبحت أشبه بمكتب اجتماعات متنقل يحتوي على أجهزة حاسب آلي..

أخذ ينظر إليهم وهو يجلس القرفصاء أرضا فى ركن غير ملحوظ تقريبا ويحتضن لفافته الكتانية البالية التي لا يعلم أحد محتواها الملعون إلا هو وبدأ يستمع إليهم باهتمام وتركيز أشد..

قال مدير أمن (القاهرة):

- ما الدافع الذي يأتي بتماثيل من العصر الروماني لأشخاص عاشوا منذ قرابة ألفي عام إلى حي (بين السرايات) تحديدا؟ بل ويسافرون من محافظة لمحافظة أخرى من أجله؟.

رد مدير أمن (الإسكندرية) الذي كان على اطلاع مستمر على كل مستجدات القضية من (إياد):

- لا أجد رابطا بينهم وبين هذا الحي تاريخيا.. ولكن لنفكر بشكل آخر.. ربما كان الرابط بين الضحايا والحي وليس بين هذه التماثيل والحي! إن أحدهم يحمل ذكريات (أحمد عبد الله) ومعلوماته التكنولوجية وخبراته وهو شاب سكندري.. أما السيدة فتحمل ذكريات ومعلومات (ماهر) العامل المسكين الشاب.. والطفلان يحملان ذكريات مجند ريفي بسيط وذكريات محامٍ شاب وهو أيضا سكندري.. هذا الحي ليس حيا أثريا ولا يوجد به أي بناء يخص العصر الروماني.. ولكن منطقيا لا بد وأن يكون هناك علاقة بين أحد الضحايا الأربعة على الأقل وبين هذا الحي.. فلنبحث في هذا الاتجاه سريعا!.

اجعل رجال البحث الجنائي يبحثون فورا في سجلات الضحايا عن أي رابط يربطهم بهذا المكان.. أريد تحريات سريعة.

هنا هتف (عبد العزيز) مفكرا بصوت مسموع:

- (بين السرايات)؟ إن السيدة تحمل ذكريات (ماهر) بالفعل، ولذلك هم هناك.

أزاح مدير الأمن الضابط الذي يحجب عنه رؤية (عبد العزيز) ونظر إليه مندهشا للحظات وكأنما اندهش من وجوده هنا، ثم قال بعصبية:

- من هذا؟ ومنذ متى هو هنا معنا؟ أخرجوا هذا الرجل فورا.. كيف يستمع إلى معلومات سرية هكذا! ماهذا التهريج!.

لم يحاول أحد تبرير وجود (عبد العزيز)، وإنما سحبه أحد الموجودين إلى الخارج فورا بحزم لامتصاص غضب مدير الأمن، وهو يصرخ فيهم واللعاب يتناثر من فمه:

- عرفت مكانهم.. أعرف مكانهم يا باشا.. أنا أعرف أين هم.

نظر مدير أمن (الإسكندرية) لمدير أمن (القاهرة) قائلا بلهجة تحمل بعض الحرج:

- لا تلتفت لما يقوله، إنه مجنون شارد العقل.. لقد كان له دور في تلك القضية في البداية وأرشدنا إلى كثير من المعلومات و(إياد) أوصاني به حتى يعيده إلى (مطروح) بنفسه عند انتهاء الأمر.. ونسيت أمر وجوده معنا عندما تم خطف (إياد) وتسارعت الأحداث.

بينما كان صراخ (عبد العزيز) يبتعد عنهم تدريجيا:

- لست مجنونا..

.. سأنهي الأمر وحدي..بما معي في اللفافة.

تركه الضابط الذي يجره ونظر له نظرة محذرة ثم عاد للاجتماع، بينما يأس (عبد العزيز) أن يسمعه أحد.. ثم اصطحبه آخر وأجلسه برفق داخل سيارة شرطة صغيرة!.

شرد لدقائق يفكر..

ودون أن يشعر أخذ يضم لفافته إلى صدره وهو يتلفت حوله بخوف..

لا أحد ينتبه إليه تقريبا..

فتح باب السيارة بهدوء وقلبه يدق باضطراب ثم ابتعد عن المكان بخطوات أقرب للجري!.

** ** ** ** **

قُيد (إياد) إلى جوار (أميرة) التي قالت له بحنق هامس:

- لقد حذرتك يا (إياد).. إن الرسالة كاذبة وكنت مجبرة على كتابتها..

لماذا ذهبت في الموعد! ألم تفهم ما قصدته بكلامي عن (أمنية)!؟.

تنهد (إياد) وقال:

- فهمت بالطبع أنك تحذريني وكنت أعرف أنك مخطوفة من بعد مرور ساعة واحدة فقط من اختفائك في الصباح.. وعندما أرسلتِ الرسالة كنت أتتبعك وأعرف أنك في حي (بين السرايات) ولستِ فى (الإسكندرية).. ولم يكن أمامي إلا تنفيذ ما ورد في رسالتك في محاولة لأن أصل إلى مكانك على الأقل لكيلا تكوني بمفردك مع هذه التماثيل الملعونة، ولننجو سويا وننهي الأمر أو..

نموت سويا..

فوجودي معك سيكون أفضل على كل حال.

قال الجملتين الأخيرتين بشيء من التردد والتوتر.. نبرة صوته تفضح شيئا كبيرا ولد فى قلبه رغما عنه، لكنه لا يستطيع أن ينطق به.. تلميح خفيف صدر من أعماق قلبه ربما وجد لديها صدى، ومع ذلك لمست صدق كلامه ومشاعره..

ارتسمت شبح ابتسامة رضا علي شفتيها..

برغم كل ما تواجهه فإلى جوارها شخص يهتم لأمرها أخيرا..

وللحظات شعرت بارتياح لطيف يغزو صدرها، فقد نست تلك المشاعر منذ زمن..

أن يحبها رجل!.

نظرت لوجه (إياد) ورغما عنها شردت في (خالد).. هل يشعر بالقلق عليها؟ هل ينبض قلبه بشيء من الخوف عليها أم أنه كالعادة لا يشعر إلا بنفسه! ربما لن يعلم (خالد) حتى إن ماتت إلا بعدها بأيام.. وربما أسعده

هـذا الأمـر حتـى ولـو أظهـر العكـس!.

عادت تنظر لعيني (إياد)..

وابتسمت..

إنها تهم (أحدهم)!.

لا يهـم مـن هـو، ولا يهـم شـكله أو سـنه أو أي شيء.. الشـعور بالاهتـمام أمـر جميـل خاصـة لمـن يفتقد هـذا الشـعور..

حتى ولو كان من زميل عمل..

هذا يسعدها!.

أخيرا قالت (أميرة) له بهمس:

- سـيحتفظون بأحدنـا إلى أن يحـين موعـد طقـس الإحيـاء لإحيـاء (لورنتيـاس) بالـدم بعـد أربعـة عـشر يومـا ويقتلـون الآخـر..

إننا في خطر.. كلانا ميت!.

أنـا حاولـت أن أروي غـرور (زنوبيـا) كملكـة؛ ولذلـك أنـا عـلى قيـد الحيـاة الآن.

ابتسم لها مشجعا وقال بنبرة حاول أن تكون مليئة بالطمأنينة:

- لاتقلقي.. سنكون بخير، وسينتهي الأمر.. كلانا سيكون بخير.

نظرت حولها وهمست بخوف حقيقي عليه:

- (إيـاد).. لا تفكـر في مواجهتهـم بالقـوة العضليـة.. إنهـم بقـوة الصخـر.. هـل نسـيت كيـف حملـوا التابـوت مـع بعضهـم البعـض بسـهولة! لا تعـرض نفسـك لخطـر أرجـوك.

ابتسم (إياد) من جملتها التى مست قلبه.. هو الآخر يفقتد أن تقال له كلمة رقيقة.. يفتقد أن تخاف عليه امرأة.. دق قلبه دقات سعادة على الرغم من الموقف العصيب، وشعر بالفرح يغزو قلبه.. أن تهتم هذه الحسناء به لهو أمر يفوق أجمل أحلامه.. كلاهما كانا جوعى للاهتمام.. لم ير مع زوجته الأولى اهتماما قط، لذلك كان الأمر حلما بالنسبة إليه.. (أميرة) بالنسبة له حلم جميل لن يناله أبدا إلا فى أحلامه فقط.. لا يعترف لنفسه بذلك لكن قلبه ينتعش عندما يسمع صوتها.. ويفرح عندما يراها، أو يشم رائحة عطرها الجميل..

حلم جميل لن يتحقق أبدا! .. فهي امرأة متزوجة علي كل حال لذلك يجب دفن تلك المشاعر.

تنهد محاولا التخلص من مشاعره التي لا مكان لها الآن وقال وهو يحاول ألا ينظر لعينيها اللتان يراهما أجمل عينين خلقتا على الإطلاق:

- أعرف ذلك يا (أميرة).. إن أي محاولة للعنف معهم ستكون انتحارا مؤكدا.. إنهم يحتفظون بخصائص الحجر ولا يموتون.. أعرف ذلك!.

ثم نظر (إياد) إلى الغرفة التي يقبع بها التابوت الأخير وقال بهمس:

- إن تخلى أحدكم عن وعده للآخر فسيعود إلى الحجر كما جاء..

فاحموا أرواحكم التي تسكن الرؤوس الصماء..

هذه الجملة ترن في عقلي يا (أميرة)..

لأصدقك القول فإن هدفي الآن هو كسر رأس التمثال الخامس..

تمثال (لورنتياس)!.

يجب تدمير رأسه حسب ماكُتب على جدار الصخرة لكي أفسد طقس إحيائه..

ربما بعدم إحيائه يعودون حجرا كما كانوا.. أليس كذلك؟.

إن أرواحهم تسكن الرؤوس الصماء..

وقتها حتى وإن قتلوني فسأكون قد أنهيت مهمتي وضمنت أنهم سيعودون تماثيلا حجرية في موعد الطقس بعد أربعة عشر يوما بسبب فشلهم في حماية التمثال الأخير.. أنتِ قلتيها أننا ميتان فى كل الأحوال، وربما.. ربما لو نفذت ما أريد تنفيذه لكُتبت لك حياة جديدة!.

دق قلبها لكنها تجاهلته وهمست مبتسمة:

- وكيف ستكسر رأس التمثال؟.

قال وهو يتلفت حوله ليتأكد أن أحدا لا يسمعهما:

- إننا في شقة عامل هدم وبناء، ولديه الكثير من الأدوات التي تصلح لهذا الغرض بالتأكيد.. ألم تلاحظين أنك فى شقة (ماهر) منذ اللحظة الأولى؟ ألم تلاحظين صورته المعلقة على الحائط بالخارج؟!

التفتت (أميرة) لتلاحظ ذلك حقا وشهقت:

- نعم.. (زنوبيا) تحمل ذكريات (ماهر).. و(ماهر) شاب وحيد يعيش بمفرده في (القاهرة) وبعيد عن أعين الشرطة ومر على وفاته أشهر.. وبالتأكيد هي تعرف كيف تفتح شقته بسهولة وأين مفاتيحها.. إنه المكان الأمثل للهروب والبعد عن (الإسكندرية)، خصوصا أني لا أسمع حتى أصوات جيران.

- على ماذا تتهامسان؟.

قالها (وهب اللات) فجأة.. من أين أتى وكيف لم يشعرا به! كان يقف على باب الحجرة يرمقهما بعينين عسليتين جامدتين..

فقال (إياد) بسرعة:

- لا شيء.. أنـا أريـد دخـول دورة الميـاه.. فأنـا إنسـان طبيعـي ولسـت مثلكـم.. أنسـيت أن هـذا الأمـر كان طبيعيـا قبـل تحولـك!.

رفـع (وهـب الـلات) حاجبـا وهـو ينظـر لهـما غـير مصـدق.. رجـل وامـرأة يتهامسـان حـول رغبـة أحدهـما فى دخـول دورة الميـاه؟ إن المسـتقبل غريـب حقـا، لكنـه قـال:

- سأستشير الملكة أولا.. ابق مكانك.

نظـر (إيـاد) لـ(أمـيرة) يمـلأ عينيـه مـن ملامحهـا الرقيقـة، ثـم رمقـا (وهـب الـلات) الـذي دخـل غرفـة قريبـة وغـاب داخلهـا للحظـات، قبـل أن يخـرج تتبعـه (زنوبيـا) وخلفهـا (حـيران) و(لونجينـوس)!.

هل الأمر كبير لهذه الدرجة! إنهم يهولون المواضيع!.

قالـت (زنوبيـا) لـه وهـي تعقـد ذراعيهـا أمـام صدرهـا بلهجـة قويـة واثقـة تحمـل شـيئا مـن الغـرور:

- هل يدرك عقلك مقدار قوتنا الجسدية يا(إياد)؟.

وأشـارت لـ(حـيران) الثـاني الطفـل الصغـير، فضـم قبضتـه ورفعهـا عاليـا ثـم ضرب طاولـة خشـبية سـميكة لتنقسـم نصفـين وتنهـار عـلى الأرض حطامـا متناثـر الشـظايا وكأن هنـاك حجـر ثقيـل ارتطـم بهـا بسرعـة بالغـة.. يبـدو أن (حـيران) نفسـه لم يتوقـع هـذا الدمـار فنظـر إلى أمـه فخـورا بابتسـامة نـصر وهـو يرفـع قبضتـه الصغـيرة التـي لم يصبهـا حتـى خـدش واحـد..

وعـادت (زنوبيـا) تنظـر لـ(إيـاد) بتحـدٍ وهـي تشـير إلى مـا فعـل (حـيران) وهـي تبتسـم:

- هـذه هـي قـوة أصغـر طفـل لدينـا.. إن قوتنـا تعـادل قـوة كتيبـة جيـش كاملـة أو ربمـا أكـثر.. إن خدعتنـا أو راوغتنـا فسـوف لـن يجـد أحـد جثـة لـك

ليدفنها.. لن نكتفي بقتلك بل سوف نسحقك.. وهو ما لن يكلفنا مجهودا كبيرا.. ق الحقيقة إن أردنا تحطيم عظامك عظمة وراء عظمة فسوف نسحقها بأطراف أصابعنا.. الموت قد يأتي سريعا بلا ألم وقد يكون مؤلما بطيئا أكثر مما تتخيل..

احذر غضبنا.. وأرجو أن تكون فهمت ما أريد إيصاله لك!.

ثم أشارت بيدها لـ(لونجينوس) وقالت:

- فك وثاقه يا(لونجينوس) وأدخله دورة المياه.. وأعد تكبيله فور خروجه.

فك (لونجينوس) الحبال المشتركة بين (إياد) و(أميرة)؛ فتحررت يد (أميرة) أيضا والتي أخذت تدلك مكان القيد على معصمها مسببا جروحا وخدوشا.. نظر إياد ليدها وعقد حاجبيه وهو يرمقها للمرة الاخيرة، ثم نهض ليدخل دورة المياه..

ق الداخل أخذ يبحث بعينيه عن شيء يستطيع استخدامه، ووجد بالفعل بلطة من تلك التي يستعملها العمال دوما تُركت خلف الباب..

حمد الله علي نجاح تخمينه.. فعادة ما يعود عامل البناء مجهدا يتصبب عرقا حاملا أدواته ليتجه إلى دورة المياه أولا للاغتسال.

أخذ نفسا عميقا.. إنه على وشك القيام بعملية انتحارية مؤكدة..

كان يهدىء من روع (أميرة) كذبا، ولكنه كان على استعداد للموت ومهيأ له بنسبة تفوق نسبة النصر..

يعلم أنهم سيقتلونه فور محاولته كسر تمثال (لورنتياس) سواء نجح أو فشل..

سيُقتل لا محالة..

إذن فلا بد أن ينجح ليكون لدمائه ثمن..

لا مقارنة في القوى الجسدية بينهم..

إنهم خارقون..

تماثيل حجرية متحركة ولكن..

التمثال الخامس حجر لا حول له ولا قوة ويجب أن يكسر رأسه.

أغمض عينيه وتمتم بالشهادتين والتقط البلطة وابتلع ريقه ثم فتح الباب خافيا البلطة خلف ظهره..

تحرك خطوات متثاقلة في البداية أمامهم وهم ينظرون له باستهانة.. وحين وصل إلى منتصف الردهة أخذ يعدو فجأة إلى حيث الغرفة التي تحوي التابوت الخامس وأغلق الباب خلفه سريعا ليكسب بضع ثوانٍ قبل أن يهشموا الباب خلفه..

سمعهم ينهضون ويصيحون بلغة لم يفهمها لكن لا وقت.. نظر للتابوت، ومن حسن حظه أن غطاء التابوت كان مفتوحا..

دون تفكير رفع البلطة عاليا وصرخ بأقصى قوته ثم هوى ببلطته على رأس التمثال، لكنه لم يتأثر تقريبا، فرفع البلطة مرة أخرى وهوى بها بقوة أكبر استنفر فيها كل عضلات جسمه حتى أن جسده ارتفع للأعلى وهو يهوى بالبلطة لأسفل، وهذه المرة تحطم جزء بسيط من الرأس وتناثر قطعا صغيرة..

في نفس اللحظة انفجر الباب خلفه بضربة بالغة القوة من أحدهم ليتحطم مع جزء من الحائط نفسه مسببا سحابة غبار عنيفة وتتناثر الشظايا فى كل مكان..

على الفور رأوا مايفعله بتمثال (لورنتياس) خلال هذه الثواني المعدودة..

اتسـعت عينـا (إيـاد) بينـما صرخـت (زنوبيـا) صرخـة مدويـة كلهـا غضـب وصرخ (لونجينـوس) بكلماتهـم ولغتهـم التـى لا يفهمهـا (إيـاد)، ثـم اقتربـوا منـه بغضـب عـارم والأرض ترتـج تحـت أقدامهـم ليفتكـوا بـه، بينـما انكمـش (حـيران) بجانـب (وهـب الـلات) يتابعـان الأمـر..

صرخـت (أمـيرة) فى حجرتهـا عندمـا رأتهـم يقتحمـون الغرفـة عـلى (إيـاد) وبكـت مسـتنجدة بـأي إنسـان، ودون وعـي هرولـت إلى بـاب الشـقة الموصـد بالمفتـاح تحـاول فتحـه وتضربـه بكلتـا يديهـا ولكـن..

دون جدوى!.

إنهم في عقار خال من السكان وآيل للسقوط..

لن يسمعها أحد.

و(إيـاد) كان واقفـا لا يعـرف مـاذا يفعـل.. لم يحسـب قـوة الحجـر، والتمثـال لم يتهشـم بشـكل كافٍ..

انتهى الأمر.. وانتصروا.

قبـض (لونجينـوس) عـلي خـصر (إيـاد) بكلتـى يديـه وضمـه بقـوة ليشـعر (إيـاد) عـلى الفـور بتحطـم ضلوعـه ويسـمع صـوت تهشـمها واحـدا تلـو الآخـر بسرعـة مسـببة ألمـا أسـطوريا منعـه حتـى مـن الـصراخ.. اتسـعت عينـاه مـن فـرط الألم ودارت عينـاه حـول بعضهـا، قبـل أن يلقـى بـه (لونجينـوس) لأعـلى ليرتطـم بالحائـط عاليـا وتنفجـر الدمـاء غزيـرة مـن أنفـه وفمـه وبضـع جـروح مـن جسـده..

شعر (إياد) بتحطم عظام كتفه أيضا وذراعه الأيسر وهو يسقط أرضا..

شـعر بالدمـاء تنـزف مـن جسـده والـدوار يتملـك منـه بسرعـة منـذرا بقـرب النهاية..

ظلت (أميرة) تصرخ وهي تحاول فتح باب الشقة دون جدوى إلى أن..

سحبتها (زنوبيا) من شعرها بقوة قاسية حتى أن بعض خصل شعر أميرة انتزعت من رأسها مسببة لها ألما عنيفا، قبل أن تلقي بها بعيدا عن الباب وكأنها طفلة تلقي دميتها بغضب، فاصطدم رأسها بالحائط وشعرت بوعيها يكاد يتسرب..

اقترب (لونجينوس) ثانية من (إياد) بغضب عارم وانحنى ثم رفعه بيد واحدة.. كانت ملامحه تحمل قدرا هائلا من الشر والرغبة في الانتقام.. رآه (إياد) يضغط على أسنانه بقوة وعيناه تبدوان وكأنما اشتعلتا كالنيران..

الصمت يخيم على المكان إلا من صوت لهاث الجميع.. لهاث القتلة ولهاث الذين هم على وشك الموت!.

اقتربت (زنوبيا) نحوهما وهي تمسك سكينا ضخما لكي تذبح به (إياد)..

رآها قادمة فتمتم الشهادتين وأغمض عينيه متمنيا أن يفقد وعيه الآن من فرط الألم مستسلما للموت وهو يسمع أنات (أميرة) الضعيفة وبكاءها مختلطة بزمجرات الغضب حوله.

تك.. تك..تك..

التفت الجميع إلى صوت تلك التكات التي أعلنت عن فتح باب الشقه بمفتاحها الأصلي ليجدوا..

(عبد العزيز)!.

سرعان ما دلف للشقة ووقف في منتصف الردهة عاصبا عينيه بوشاحه الذي كان يضعه على كتفه حاملا لفافته البالية، ثم صرخ بسرعة وهو يفك اللفافة:

- أغمضوا أعينكم فورا.. إياكم أن تفتحوها.. أغمضواااااااا.

نجح في فك اللفائف بسرعة والتقط ما بداخلها ليشعر بحركة الثعابين اللزجة بين يديه.. الثعابين التي تبرز من الرأس الباردة، وشعر بحركة عضلات وجه (ميدوسا) الغاضبة..

كان ينتفض من الخوف خاصة حين سمع تلك الصرخة الغاضبة الآتية من فم (ميدوسا) نفسها وكأنها تأتي من جوف بئر سحيق يصل إلى الجحيم.

فجأة شعر إياد بجسده يتحرر وسقط كأنما انزلق بشكل ما من قبضة (لونجينوس) أرضا..

غريزته تنبئه أن عليه ألا يفتح عينيه ويجب أن يسمع كلام هذا المجنون..

وعلى كل حال هو لا يستطيع فتح عينيه من شدة الألم الذي يحتل جسده المهشم؛ فهو لا يستطع التنفس من ألم كسر ضلوعه وكسر كتفه الذي يشعر به وجروحه المتفرقة.

- انتهى الأمر على يدي كما وعدتك يا باشا.. انتهى كما بدأ!.

قالها (عبد العزيز) عندما اطمأن أن الكل قد تحول لحجر.. عندما ساد الهدوء من حوله.. كان يلهث ويعيد إخفاء الرأس الملعونة في اللفافة الكتانية البالية وخلع عصبة عينه.

رفع (إياد) عينيه ليدرك أن (لونجينوس) متحجر كتمثال يرفع ذراعيه لأعلى في الوضع الذي كان يحمله به، و(وهب اللات) و(حيران) أيضا صارا تمثالين في أوضاع عشوائية تنم عن الفزع!.

عادوا تماثيلا ولكن بملابس عصرية هذه المرة وليست رومانية.

- ماذا حدث؟.

كان (إياد) لا يدرك ما الذي حدث خلال الثواني الماضية.. وما الذي

فعلـه (عبـد العزيـز) ليحـول (لونجينـوس) و(وهـب الـلات) و(حـيران) إلى تماثيـل..

لكـن.. أيـن (زنوبيـا)؟ كان (عبـد العزيـز) يفكـر فى هـذا السـؤال حـين أتـاه الجـواب قاسـيا..

هجمـت (زنوبيـا) عـلى (عبـد العزيـز) كالأسـد الـذي يـزأر وهـي تحمـل سـكينها بعـد أن اسـتوعبت مـا حـدث.. الغضـب والجنـون يغـزوان وجههـا الجميـل الـذى صـار مخيفـا، وصرخـت:

- لم ينتـهِ الأمـر يـا (عبـد العزيـز).. لم ينتـهِ.. سـأقتلك كـما قتلـت أبنـائي و(لونجينـوس).. سـأقتلك ثـم نعـود جميعـا لنحكـم العـالم..

ثـم غـرزت سـكينها حتـى مقبضـه في صـدر (عبـد العزيـز) الـذي تفاجـأ أنهـا لم تتحـول مثلهـم ولم تنظـر إلى الـرأس الملعـون مثلـما فعلـوا..

أفلتـت اللفافـة مـن يـده لتتدحـرج بعيـدا عنـه واتسـعت عينـاه وهـو يحـاول التقـاط نفـس أخـير قبـل أن يسـقط أرضـا ينـزف دمـاء صـدره وهـو يتشـنج تشـنجات المـوت.. كانـت (زنوبيـا) ممسـكة بقبضـة السـكين وتجـز عـلى أسـنانها وتـزوم وكأنمـا تتأكـد مـن خـروج روحـه مـن جسـده..

كانـت اللفافـة قريبـة مـن (أمـيرة).. عـلى الفـور التقطـت الـرأس مـن داخـل لفافتهـا وخلعـت اللفائـف سريعـا بيـد مرتعشـة وهـي مغمضـه عينيهـا وصرخت في (إيـاد) محـذرة ألا ينظـر.. التفتـت لهـا (زنوبيـا) بعينـين تحمـلان غضـب الدنيـا، فوضعـت قدمـا فـوق جسـد (عبـد العزيـز) لتجـذب السـكين وتلتفـت لـ(أمـيرة) إلا أنهـا رفعـت الـرأس عـلى الفـور ووضعتهـا أمـام وجـه (زنوبيـا)..

صرخــت (زنوبيــا) صراخــا مروعــا عندمــا رأت وجــه (ميدوســا) يواجههــا بملامحـه البشـعة وأفلتـت السـكين ثـم مـدت يدهـا محاولـة أن تمسـك الـرأس التـي وضعتهـا (أمـيرة) أمـام وجههـا كي تقذفهـا بعيـدا..

واختلطت صرختها بصرخة (أميرة) وصرخة الرأس التي أصبحت أشرس..

جنـت ثعابـين (ميدوسـا) وصـارت تتراقـص بشـكل جنـوني وهـي تطلـق ألسـنتها المشـقوقة وكأنهـا تحتفـل بالعـودة النشـطة مـن سـباتها.

لم تكن (زنوبيا) أسرع من تأثير (ميدوسا) هذه المرة..

اختفـى صـوت الـصراخ إلا مـن صـوت صراخ (أمـيرة).. فصمتـت تحـاول أن تفهـم..

شعرت (أميرة) بالرأس تخف وزنها وكأنها علقت في الفراغ بشيء ما..

أفلتتهـا مـن يدهـا وفتحـت عينـا واحـدة ببـطء وبخـوف لتجـد الـرأس معلقـة بـين كفـي تمثـال (زنوبيـا) تواجههـا وجهـا لوجـه..

تمثال مخيف لامرأة صارخة تنظر إلى الثعابين الماجنة البارزة بين كفيها..

انحنـت (أمـيرة) وألقـت عـلى الـرأس مـن الخلـف قطعـة مـن الأقمشـه الكتانيـة التـي كان يلفهـا بهـا (عبـد العزيـز) لتخفـي عينيهـا الشـيطانيتين.

ثـم انحنـت (أمـيرة) إلى (عبـد العزيـز) المطعـون والـذي يجاهـد لالتقـاط أنفاسـه تحـت قـدم التمثـال الثقيـل لتسـمعه:

- اخبروا جدي العبيدي أني نجحت في إصلاح ما أفسدته..

نهضـت (أمـيرة) وهرولـت تبحـث عـن هاتفهـا بأحـد الأدراج والـذي رأتهـم يضعـوه بهـا حـين انتهـت مـن إرسـال رسـالة (إيـاد) لتطلـب الإسـعاف لهـما والنجـدة؛ فقـال (إيـاد) الـذي كان قـد اقـترب زاحفـا منـه ولم تكـن حالتـه أفضـل بكثـير:

- لا ترهق نفسك ياصاح.. سننجو وتقص عليه كل شيء بنفسك.

ابتسم (عبد العزيز) وهو يقاوم غلق عينيه وأكمل:

- يكفيني أني انتقمت لـ(ماهر).. فأنا السبب في بداية كل شيء.. إننا نمتلك أبا عن جد رأس (ميدوسا) الملعونة، تلك الأسطورة الإغريقية الشهيرة، وكان هذا هو السر الأعظم الذي لا يعرفه سوي الشخص المختار في عائلتي جيلا بعد جيلا..

عليكم التأكد من تدمير رؤوس تلك التماثيل لكيلا يعودوا مجددا..

هشموهم..

هكذا فعلت قبيلتي بتماثيل الرجال المتحولون قديما.

وقف (إياد) علي قدمه مقاوما ضعفه وألمه واقترب مما تمسك به (زنوبيا) بين كفيها ويخفيه النسيج القماشي الذي ألقته (أميرة)؛ فتحسسها (إياد) عبر القماش بيده ليشعر بحركة الثعابين الحية الماجنة التي تخرج من أعلى الرأس الملعونة وشعر بملامح وجهها قاسية مقبضة غاضبة تتحرك تحت يده..

كان يحاول إدراك مايتحدثون عنه.

قالت (أميرة) محذرة وهي تتناول هاتفها وتحاول فتحه لتتصل بالنجدة ولكن بطاريته كانت قد فرغت:

- رأس (ميدوسا) هي من أنقذتنا يا (إياد).. لا تلمسها أو تنظر إليها وإلا تحولت إلى تمثال أنت أيضا.. اتركها مخفية حتى نتدبر أمرها.. إنها لعنة شيطانية إغريقية.. إنها من اقوي وأقدم شرور الأرض.

قال (إياد) بوهن وهو يفكر كيف يسحب (عبد العزيز) الذي مازال يفقد الكثير من دمائه ومعلق تحت جسد التمثال المتحجر فوقه:

- كيف عرفت مكاننا يا(عبد العزيز) وفشلت الشرطة.

فقال بصوت أضعف وابتسامة واهنة:

- شـقة (ماهـر) في (بـين السرايـات) وأنـا عشـت فيهـا معـه عـام كامـل ومعـي مفتاحهـا حتـى الآن في سلسـلة مفاتيحـي.. إن قـوة الشرطـة لـن تجـدي مـع قواهـم الخارقـة فأنتـم لا تحتاجـون بنـادق ومسدسـات لإنقاذكـم.. كنتـم تحتاجـون رأس (ميدوسـا) التـي معـي فقـط لإنهـاء الأمـر..

أخـذ (عبـد العزيـز) نفسـا صعبـا و(أمـيرة) تحـاول أن تسـحبه بـلا جـدوى مـن تحـت قـدم تمثـال (زنوبيـا)، فقـال:

- سـأموت.. أعلـم أنكـما سـتحفظان سر رأس (ميدوسـا) ولـن تخـذلاني.. جـدي (العبيـدي) الكبـير سيتولي أمـر التخلـص منهـا.. هـو يعلـم مـاذا سـيفعل..

- ستعيدها له بنفسك يا بطل.. ستعيدها منتصرا.. تمسك بالحياة.

قالهـا (إيـاد) لـ(عبـد العزيـز) بعـين تدمـع وتحامل على نفسـه محـاولا الحركة عـلى قدمـه وهـو يمسـك ضلوعـه بيـده والدمـاء تسـيل مـن أنفـه ورأسـه.. ولكـن نظـر عبـد العزيـز الي الفـراغ واستسـلم للموت.

وفجأة..

شعروا بصوت كالبركان تحت أقدامهم..

كأنها انفجارات متتالية..

اهتزت الأرض وأخذت تترنح..

زلزال قوي..

الحوائط تنشق..

ماذا يحدث؟.

صرخ (إياد):

- العقـار يسـقط الآن.. إنـه آيـل للسـقوط منـذ البدايـة، وتدمـير البـاب

بحائطـه والعنـف الـذي دار أضعفـه.. أسرعـا.. إنـه يسـقط.

لكـن كان (عبـد العزيـز) قـد فـارق الحيـاة بالفعـل، وجحظـت عينـاه وشردتـا في العـالم الـذي لا يعـود منـه أحـد!.

ألقـى عليـه (إيـاد) نظـرة حزينـة ثـم غالـب آلامـه وحـاول أن يجـري مـع (أمـيرة)..

فتحـا البـاب سريعـا ليهربـا وهـم يعـدوان عـلى الـدرج الـذي أخـذ ينشـق ويسـقط منـه أجـزاء بينـما الحوائـط تتهـدم وتسـقط حولهـما حتـى انهـدم الـدرج الـذي كان يخطـو عليـه (إيـاد) كاشـفا فوهـة سـحيقة سـقط فيهـا، لكنـه ببقايـا قـوة وتشـبث بالحيـاة تعلـق بذراعـه السـليم عـلي حافـة الفجـوة لتتفجـر آلام جسـده وكاد أن يـترك الحافـة ويـترك نفسـه لمصـيره المحتـوم..

ولكـن (أمـيرة) عـادت إليـه وحاولـت أن تجذبـه مـن ذراعـه.. لم يسـتطع أن يسـاعدها وإنمـا همـس بصـوت متقطـع:

- اتركيني.. واهربي.. العقار ينهار بالكامل.

قالها (إياد) وهو ينظر برعب إلى الهاوية أسفله، فردت بحسم:

- لن أخرج بدونك.. لنمت سويا!.

فقال (إياد) صارخا بأواخر قوة في جسده:

- اتركيني..

تجاهلـت كلامـه واسـتنفرت قواهـا وصرخـت حتـى جذبتـه ليصبـح بجانبهـا عـلى حافـة الجـزء الغـير مهـدم، فسـحبته (أمـيرة) سريعـا وهـي تحـاول ألا تتركـه لـكي لا يسـقط منهـا وهـو يجـر نصـف جسـده المهشـم..

نظـر لوجههـا الجميـل في امتنـان أنسـاه للحظـة آلامـه، ثـم نهضـا وعـاودا الهـروب حتـى خرجـا مـن بـاب العقـار، وبعدهـا بلحظـات تهـدم العقـار تمامـا

مـن خلفهـما مولـدا طاقـة انفجاريـة شـديدة وسـقط متحـولا إلى كومـة مـن الـركام والغبـار والحوائـط المهدمـة ..

سقطا على الأرض غير مصدقين لنجاتهما..

التقـت أعينهـما فى نظـرة طويلـة حملـت العديـد مـن المشـاعر المضطربـة والديـون المتراكمـة بينهـما في أيـام قليلـة..

وربمـا حملـت شـيئا آخـر لا يسـتطيع أحدهـما البـوح بـه ولكـن عيناهـما أعلنتـه بوضـوح ينافـس وضـوح الشـمس.. ثـم افترشـا الأرض بالشـارع وقـد بـدأ تجمهـر المـارة واستسـلم (إيـاد) للإغـماء أخـيرا نتيجـة إصاباتـه المتعـددة..

كانـا مغطيـان تمامـا بالأتربـة والغبـار والدمـاء وسـط زحـام النـاس الذيـن رفعـوا هواتفهـم ليصـوروا فيديوهـات حصريـة لعقـار (بـين السرايـات) المنهـار.

***

فى داخـل سـيارة الإسـعاف كان يرقـد (إيـاد) بـين الحيـاة والمـوت، وأمامـه المسـعفون يهتمـون لأمـر كسـوره المتعـددة وجروحـه المتناثـرة، ويعلقـون قنـاع استنشـاق الأكسـجين عـلى أنفـه لحـين نقلـه إلى المستشـفى، بينـما أخـذ مسـعف آخـر يفحـص جـروح (أمـيرة) عـلى حافـة أريكـة السـيارة بجـوار السريـر الـذي يرقـد فيـه (إيـاد)..

فتحـت هاتفهـا أخـيرا بعـد شـحن سريـع مـن (بـاور بانـك) أحـد المسـعفين، لتجـد رسـالة صوتيـة تصلهـا مـن (خالـد):

- أعـرف أنـكِ أخـذتِ نسـخة مـما كان عـلى الـلاب تـوب أيتهـا القـذرة وسـأقتلك افتحـي تليفونـك فـورا وأجيبـي عـليّ وإلا عـليّ الطـلاق..

لم تكمـل سـماع الرسـالة وأغلقتهـا عـلى الفـور، ثـم وضعـت اسـمه في قائمـة الحظـر..

اضطربت ضربات قلبها وزادت وهي تتحسس جيب بنطالها الخلفي..

تذكرت وجود تلك الذاكرة الرقمية الصغيرة التي تحوي نسخة من ما تحدث عنه (خالد)..

نسخة من نجاسته وقذارته..

لم تتمالك نفسها وسالت دموعها..

رغما عنها أخذت تبكي بمرارة..

أخذت نفسا عميقا شق صدرها ألما..

ياللخسارة..

عمر ضاع في حب من لا يستحق..

سلسلة طويلة من التنازلات بلا أي قيمة..

حب موجه في اتجاه خاطىء!.

رفع (إياد) رأسه ونظر لها بشفقة ووهن وصمت..

هل سمع أنينها أم شعر بألم قلبها!.

كان وجهه مخفيا معظمه بقناع الأكسجين..

شعرت بحركته رغم وهنها.. التفتت إليه وهي تمسح دموعها الهاربة من عينيها، ثم نهضت وربتت على كتفه السليم وكأنها سمعت مايقوله من نظرة عينيه.. نظرت له بضع لحظات قبل أن تهمس بصوت رقيق:

- انتهي شر التماثيل الملعونة.. ولكن الشر الذي يحيط بنا لن ينتهي بتلك السهولة..

***

الفصل الثلاثون

رقـد (إيـاد) فـوق سريـر مستشـفى الشرطـة بـ(العجـوزة) معلقـا قدمـه الموضوعـة في الجبائـر أمامـه، وذراعـه موضـوع فى جبـيرة أخـرى مثبتـة إلى قميصه المصنـوع مـن الجبـس والـذى يلـف ضلوعـه بعـد خضوعـه إلى أكـثر مـن عمليـة جراحيـة حرجـة..

انفتـح البـاب كاشـفا عـن زيـارة مديـر أمـن (الإسـكندرية) برفقـة مديـر أمـن (القاهـرة) الذيـن أتيـا إليـه لزيارتـه بعـد اسـتقرار حالتـه لأول مـرة بعـد أسـبوع مـن مكوثـه بـين غرفـة العنايـة المركـزة وغرفـة العمليـات..

كان (إيـاد) متعطشـا لمعرفـة مـا فاتـه مـن أحـداث، لذلـك بمجـرد أن رآهـم هتـف مسـببا لنفسـه ألمـا فى الصـدر:

- هل تم تهشيم جميع التماثيل المنتشلة من بين الأنقاض؟.

هل تأكدتم من تدميرها وفصل رؤوسها؟.

فرد مدير أمن (الإسكندرية).

- نعم.. يتم ذلك رويدا رويدا، لا تقلق.. انتهى الأمر يابطل.

فقال بمرارة:

- هل استخرجتم جثة (عبد العزيز) من بين الأنقاض؟.

فقال مدير أمن (القاهرة):

- تمكنـت قـوات الدفـاع المـدني مـن انتشـال جثتـه بالفعـل منـذ يومـين، وتـم تسـليمها لذويـه لدفنهـا اليـوم..

- و(أمـيرة)؟ لا أعلـم مـاذا حـدث لهـا مـن بعـد أن كانـت معـي بسـيارة

الإسعاف..

- إنها بخير .. مجرد كدمات وجروح غير خطرة.. إنها قوية لا تقلق.. بالمناسبة كانت تأتي لزيارتك يوميا وتتابع في نفس الوقت عملية انتشال التماثيل من تحت الأنقاض بنفسها.

وفى نفس اللحظة وعلى ذكر اسمها دخلت (أميرة) الحجرة.. لم تفتح الباب بهدوء كما هو يفترض، وإنما كان يغزو ملامحها الفزع..

وجهت كلامها لمديري الأمن وقالت وهى تلهث - دون أن تبدي اهتماما لإفاقة (إياد) لأول مرة منذ أسبوع، أو ربما هي لم تنتبه له، مما ضايقه فعلا- :

- انتهت عملية رفع الحطام كله اليوم تقريبا.. لم يكن بين الحطام إلا أربعة تماثيل فقط وتم استخراجها بنجاح.. ولكن لا يوجد أثر لتمثال (زنوبيا) ولا لرأس (ميدوسا) التي كانت تمسك بها وقت انهيار العقار..

اختفت (زنوبيا) واختفى معها الرأس بلا أي أثر!.

انتفض (إياد) لسماعه ما قالت (أميرة) وفغر فمه مندهشا وعذر زعرها وعدم اهتمامها بإتيكيت زيارة المرضى، فأكملت وهي تناوله ورقة مطوية كأنها سمعت ما يدور في ذهنه من سؤال تعرف إجابته:

- لقد استعدت وعيك في اللحظة المناسبة ..هذا هو تقرير الطب الشرعي لجثة (عبد العزيز) والذي تم فحصها في مشرحة (زينهم) قبل تسليمها لذويه.. مررت على المشرحة وأخذت نسخة منه قبل أن أمر عليكم..

مد مدير أمن (القاهرة) يده يلتقط الورقة من يد (أميرة) وفضها ثم قرأ بصوت مسموع ما فيها إلى أن وصل لهذا الجزء: «كسور بالعظام بسبب انهيار العقار، حدثت بعد الوفاة الفعلية، آثار لتعرض الجثة لنوع من الصدمات الكهرومغناطيسية ، الجثة خالية من الدماء تماما»

تبادلوا نظرات خائفة وقد فهموا معنى التقرير.

فى أحد المقاهي الراقية التى تطل على نهر النيل، وعلى إحدى الطاولات المعزولة نوعا والمواجهة للنيل جلس شاب وسيم الملامح يبدو عليه القلق نوعا.. كان يحول نظره بين ساعته وهاتفه المحمول طوال الوقت، حيث كان في انتظار مقابلة ساخنة يمتلىء لها جسده حماسا..

مقابلة وعدته بها فاتنة من فاتنات التواصل الاجتماعى، والتي تعرف عليها خلال الأيام الماضية تحت اسم مستعار..

كانت حادة وصارمة فى كلامها نوعا؛ لكنها أرسلت له بعض الصور الجميلة والتي - وحتى هذه اللحظة - يظن أنها ليست لها أساس من الصحة!.

صورها كانت أقرب لنجمات السينما أو إحدى ملكات الجمال..

ثم دخلت المكان فخفق قلبه فى عنف وانبهار..

ورغما عنه لاحظ التفاف رؤوس معظم رواد المكان حيث المدخل؛ ليجدها حقا كما رآها بالصور..

بل ربما أجمل بقليل!.

خطت بقدمها داخل المكان ليرقص قلبه طربا..

فاتنة طويلة القوام ذات شعر أسود فاحم غزير، ترتدى فستانا احمر ضيق الخصر يصل إلى ركبتيها..

تحمل وجها منمقا، ثم اقتربت منه لتطل عليه كحلم رائع ..

كانت تتفجر أنوثة وجمالا لا يحتاجان إلى مجهود لإبرازهما..

نهض ليصافحها وقد تحشرج صوته من فرط انبهاره، ثم جلست أمامه في نعومة قبل أن تخلع نظارتها الأنيقة لتسحر ناظريه بعينين فائقتي الجمال..

ابتسم الشاب بانتصار وهو يظن فى رجولته ظنونا رائعة.. فكيف يمكن

لهذه أن تنظر لـه هـو إلا إذا كان بالـغ الوسـامة والفحولـة! يبـدو أنـه لم يعـرف قـدر نفسـه حـق المعرفـة بعـد!.

واتسـعت ابتسـامته وهـو يلـف بعينيـه فى نظـرة سريعـة إلى باقـي رواد المـكان بفخـر.. الحسـناء اختارتنـي أنـا مـن دونكـم كلكـم.. كـم هـو رائـع!.

تنحنح ليسلك حشرجة حلقه قبل أن يقول بصوت ناعم مرتجف:

- أنتِ أجمل بكثير من كل صورك وكل...

قاطعته قائلة بجمود ملامح، وبلهجة بطيئة تحمل شيئا من الحدة:

- لن نطيل الحديث..

أنا هنا لعقد اتفاق معك..

اتفاق سيسعدك ويرضيك..

أولا: أحتاجـك معـي في عمليـة تجميـع أشـلاء بعـض التماثيـل المهشـمة وإعـادة بنائهـا بسريـة تامـة..

شـعر بصدمـة تجتـاح كيانـه.. هـل اسـتدرجته الفاتنـة مـن أجـل عمـل مـا؟ ثـم مـا هـذه الطريقـة قليلـة الـذوق التـى تحدثـه بهـا!.

كان ينظـر لهـا بعـدم فهـم؛ هـو كان يعتقـد أنـه علـي موعـد غرامـي لا موعـد عمل !

أكملـت الحسـناء بنفـس الصرامـة وهـي تقـترب بوجههـا منـه وتخفـض صوتهـا الـذي اكتسـب صلابـة وقسـوة:

- إن ساعدتني سأحقق لك كل ما تتمناه بل سأضاعفه أضعافا مضاعفة..

أنـا أملـك مـالا يملكـه بـشر.. ولـن يسـتطع أحـد منعنـا مـن عبـور أي بوابـات وتحقيـق أهدافنـا ومـا سـوف نخطـط لـه سـويا..

أيا كان!.

قال وصوته يخرج ببحة عدم فهم لما يدور وماتقوله:

- ولماذا أنا تحديدا؟ هل تعرفيني من قبل؟.

ابتسمت وعادت بظهرها على المقعد وهي تقول:

- أنت.. ربما أنت تحديدا لا قيمة لك، ولكن لي ثأر مع عاملة آثار رومانية، وثأر مع ضابط شرطة.. وأنت بالنسبة لي مفتاح ثأر موجع لهما، وأنت أيضا لك ثأر عندهما..

وكما ترى فبيننا أمر مشترك يا.. باشمهندس!.

قال وقد اتسعت عيناه:

- (أميرة)!.

ابتسمت وهي تقف وتسحب حقيبتها وتضع نظارتها الشمسية علي وجهها ثم قالت:

- سأتواصل معك مرة أخرى لترتيب الأمور.

استدارت لترحل سريعا بعد أن مكثت معه دقائق بسيطة، فوقف هو الآخر قائلا بصوت عالٍ:

- انتظري.. ماسمك الحقيقي؟.

ابتسمت وهي تقول ومازالت في طريقها دون أن تلتفت له:

- (زنوبيا)..

اسمي (زنوبيا) يا(خالد)!

تمت

إن كلـمات الشـكر لا تكفـي لـكي تعـبر عـن مـا أحملـه مـن ديـن في رقبتـي إلي صديقـي الـوفي الكاتـب الموهـوب العظيـم أسـتاذ /أحمـد زكي والـذي ربمـا لمـا كنـت لأرضى عـن روايـاتي دون مسـاعدته لي كـما تعـود وكـما فعـل في كل روايـاتي السـابقة بـأن يقتطـع مـن وقتـه لـكي يراجـع روايتـي لغويـا ليعطينـي شرف وضـع اسـم كاتـب كبـير متألـق مثلـه ويتحمـل أسـألتي ونقـاشي معـه في الأحـداث وطرحـي عليـه اقتراحـات للخـط الدرامـي لثقتـي في رأيـه .. فهـو دومـا يسـمعني بصـدر رحـب دون أن يضعنـي في قائمـة الحظـر بـل زاد هـذه المـرة بـأن وضـع مـن لمسـاته الأدبيـة التـي أضافـت الكثـير مـن الـثراء الأدبي لروايتـي والتـي شرفـت بـأن يضـف إليهـا مـن أسـلوبه الرائـع خاصـة في المقدمـة وأحـداث ماقبـل الفصـل الأول .. فلـك أديـن بالكثـير والكثـير أيهـا الصديـق الكريـم -الجـدع -الـذي أهدتنـي الدنيـا إيـاه .. اتمنـي أن تصـل إلى القمـة .. فأنـت تسـتحقها بجـدارة..

***

ماما ..أمـيرة مـع وضعـي الخطـوط الأولي لأحـداث تلـك الروايـة كنـتِ أول مـن يناقشـني في الخطـة الدراميـة للروايـة وأحداثهـا وبرغـم إصابتـك بالكورونـا معـي وتعبـك فكنتـي تقرأيـن مـا أكتبـه فصـلا بفصـل وحـرف بحـرف .. فلقـد بـدأتي تقرأيـن ذلـك الملـف عندمـا ولـد بـه أول ألـف كلمـة مـن الخمـس وخمسـون ألـف.. سـتظلين دومـا سـندي وصديقتـي وحبيبتـي وابنتـي وأمـي فانـا أنجـح مـن أجلـك أنـتِ.. لذلـك عندمـا فكـرت في اسـم البطلـة لم أجـد إلا اسـمك ..أمـيرة

***

إيـاد.. لا لا ليـس الضابـط البطـل .. بـل ابنـي الصبـي ذو الإحـدي عـشرة عامـا والـذي أصبـح صديقـي وأبي وابنـي وأخـي .. أحبـك.. وأتمنـى أن تظـل فخـورا بي كـما أنـا فخـورة بـك ..فليحفظـك اللـه لي يـا أجمـل أحـداث حيـاتي.. أسـميت البطـل باسـمك لأنـك بطـل حيـاتي.

عن الكاتبة

د/ سالي مجدي

*تخرجت من كلية طب الفم والأسنان عام ٢٠٠٦ جامعة القاهرة

الأعمال السابقة:

*ما قبل الهستريا ٢٠١٤

* لعنة القرين عام ٢٠١٥

* رواية ليلة مرعبة عام ٢٠١٦

*رواية كوكب امون عام ٢٠١٧

*رواية برعاية دراكيولا عام ٢٠١٨

*رواية كوكب آمون ٢ (خت آمن رع) عام ٢٠١٩

*رواية زنوبيا عام ٢٠٢١